الجامعة الإسلامية العالمية – إسلام آباد

كلية اللغة العربية

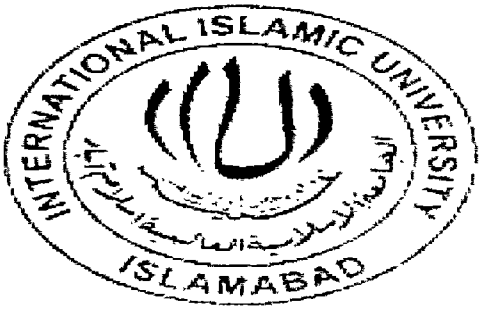

الابتكار والتقليد في

شعر الحرب بين المتنبي وأبي فراس الحمداني

(دراسة مقارنة تحليلية)

بحث تكميلي للحصول على درجة الدكتوراه في اللغة العربية

(قسم الأدبيات)

تحت إشراف فضيلة الأستاذ: الدكتور محمد علي غوري الأستاذ ورئيس قسم البحوث والدراسات العليا بكلية اللغة العربية

اسم الطالب: عنايت الله

رقم التسجيل: 101-FA/PhD/FO8

العام الدراسي: 2016م - 2017 م

Accession No TH:18460

Ph.D

892.791
ع ن ا

ا- ادب عربی - شعر - مقارنة -

الإهداء

إلى كل من جاهد للحق على سطح الأرض وأفنى حياته للهدف النبيل ورفع كلمة الصدق في كل حين وتحت كل الظروف.

وإلى والدي اللذين أحسنا تربيتي وسهرا لأجلي وما وصلت إلى ما وصلت إليه إلا بفضل الله وبفضلهما.

شكر و تقدير

قال النبي صلى الله عليه وسلم: مَنْ لَمْ يَشْكُرِ النَّاسَ لَمْ يَشْكُرِ اللهَ(رواه الترمذي)، فامتثالا لهذا القول المبارك أتوجه بالشكر إلى من أنفق جهده بالتفات قلبه وروحه لتدريبي وإصلاحي- من طفولتي إلى هذا اليوم- لأكون عضوا مفيدا للأمة الإسلامية وللمجتمع الإنساني ولأكون من الذين ينفع الناس، في هذه المرحلة السعيدة عندما حققت هذا البحث الهام – في نظري-، يفيض قلبي بعواطف الشكر والمحبة والامتنان لجميع الأساتذة في هذه الجامعة الشريفة الذين أخلصوا جهودهم ليسددوا خطواتي إلى سبيل الرشاد لأصل إلي إتقان اللغة العربية وآدابها، ولأهتدي إلى التذوق الحقيقي للغة الضاد. وعلى رأسهم الأستاذ الدكتور محمد علي غوري، والأستاذ الدكتور مؤيد فاضل، والأستاذ الدكتور محمود مخلوف، والأستاذ الدكتور محمد حماد، والأستاذ الدكتور محمود شرف الدين، والأستاذ محمد ناشي، والأستاذ الدكتور حبيب الرحمن عاصم، والدكتور ثناء الله الأزهري، وغيرهم من الأساتذة الكرام الذين أسهموا في تزويدي بالعلم والمعرفة. وهنا لا أنسى المساعدة التي قدمها الدكتور فيضان لتصحيح الترجمة الإنجليزية. لا شك أنهم كنوز المعارف ومعادن العلم، وجدير بالذكر أن الأستاذ الكريم الدكتور محمد علي غوري نفخ فينا – نحن طلاب الكلية- روح العلم ونشطنا للعمل والكفاح المستمر، وقد نفعني الله به كثيرا وأفادني بعلمه ومعارفه، كما أتوجه بأطيب مشاعر الامتنان والشكر إلى روح أستاذنا الراحل الأستاذ الدكتور سيد عبد الرازق

الـذي بإخلاصـه البـالغ، تمكـن مـن قلـوب المتعلمـين وتـرك الانطباعـات الخالـدة في أذهـانهم. فـلا أنسـى جهـود هـؤلاء الكـرام الـبررة، وأسـأل الله تعـالى أن يجـزيهم خـير جـزاء المحسـنين ويمـلأ حيـاتهم سـعادة ورحمـة لقولـه تعـالى: (هَـلْ جَـزَآءُ الْإِحْسَانِ إِلَّا الْإِحْسانُ)[1].

[1]- الرحمن، رقم الآية: 60

المقدمة

الحمدلله رب العالمين الذي لا تنفد كلماته في الحمد والثناء وإن كان البحر مدادا لها، والذي علّم الإنسان ما لم يعلم، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء وخاتم المرسلين الذي أخرج الناس من الظلمات إلى النور، وعلى آله وأصحابه أجمعين.

أما بعد:

فإن العصر العباسي قد حوى شعراء كُثرا تأثروا بالتطورات الحديثة، إذ أخذت حركة التجديد تسرى في كلام الشعراء حيث تطورت صورة الشعر في العصر العباسي في البديع والتجدد، وذلك بسبب اختلاط العرب بغيرهم نتيجة الفتوحات الإسلامية، فتداخلت الثقافات المختلفة والعلوم الحديثة والتقدم الحضاري، وعلى الرغم من أن الشعر حافظ على التقاليد الفنية في بعض الجوانب، وتابع الأصناف الشعرية في المدح والرثاء والهجاء والنسيب فإن سمات التجديد ظهرت في بعض الجوانب، وأبو الطيب أحمد بن حسين الجعفي المعروف بالمتنبي، والحارث بن سعيد بن أبي العلاء التغلبي- المشهور بأبي فراس الحمداني- كانا من فحول الشعراء في العصر العباسي واشتركا في كثير من النواحي، كلاهما تعلق ببلاط سيف الدولة، يمدحه ويأخذ منه العطايا الجزيلة، وكان أكثر شعرهما في مدح سيف الدولة ووصف انتصاراته في الحرب لأن الممدوح كان رجلا شجاعا وفارسا مغوارا، واشتغل في معظم حياته في المعارك والحروب، ومن هنا أخذ الشاعران يمدحانه بتصوير شجاعته في الحرب، وحسن تدبيره وقيادته، فلهذا نشأ الشعر الحربي القوي لدى هذين الشاعرين، وكلاهما مات قتيلا مصداقا لما ورد في شعرهما.

وبالنسبة إلى مشهد الحرب، كان لأبي فراس درجة على قرينه حيث إنه كان مقاتلا شجاعا خاض المعارك، ولا جدال في أن هذه الصفة زادت قوة شعره وصدقه في مشاعر الحرب وأعطته منزلة عالية بين شعراء الحماسة، بينما قرينه المتنبي لم يُعرف كفارس مقاتل مثله، وقلما خاض الحروب، وطبعا كان أبعد من أبي فراس في تجربته الشخصية في الحرب، ولكنه لم يفارق سيف الدولة عند المعارك، وكان شاهد عيان على القتال، فارتبطت مشاعره بالحرب، وفضلا عن ذلك أنه أعطي موهبة فطرية، وتذوق خالص، وقريحة ناضحة للشعر حتى ملأ الدنيا بشعره، وبلغ مكانة رفيعة في الشعر بين معاصريه، وقد ظهر التأثر على الشاعرين بالتطورات العصرية إلى حد كبير كمخالفة التقليد في استهلال القصيدة، واختيار البديع إلى حد كبير.

قد اخترتُ العصر العباسي الثاني للدراسة المقارنة في مجال الابتكار والتقليد، لأنه عصر الازدهار العلمي وعصر ملتقى الثقافات الأجنبية التي نشأت بامتداد الفتوح الإسلامية، والتي أحدثت تغيرا واسع المدى في المجتمع العربي، فتهيأت تربة خصبة لنبت الابتكار في الأدب القديم الذي عُرف بالتزام التقاليد المتوارثة، فعارضتُ العصر الجاهلي والإسلامي والأموي بهذا العصر لدراسة التطور في الشعر ونشأة الابتكار فيه وبخاصة العصر الجاهلي، أبديتُ له اهتماما أكبر لأنه منبت التقليد وجذوره، والشعراء الجاهليون أرسوا سننا تُتبع بعدهم، والنقاد أخذوا من كلامهم الخصائص والمعايير التي يقيسون عليها جودة الشعر يقال لها عمود الشعر، كما صرح بذلك الدكتور ناصر الدين الأسد بقوله: " إن الشعر الجاهلي هو الأصل الذي انبثق منه الشعر العربي في سائر عصوره، وهو الذي أرسى عمود الشعر، وثبت نظام القصيدة، وصاغ المعجم الشعري العربي عامة، ... ثم إن في هذا الشعر الجاهلي وفرة من القيم الفنية الأصيلة لم يحظ بها كثير من الشعر العربي بعده؛ ففيه من خصب الشعور، ودقة الحس، وصدق الفن، وصفاء التعبير، وأصالة الطبع، وقوة الحياة، ما يجعله أصفى تعبير عن نفس العربي، وأصدق مصدرا

لدراسة حياته وحياة قومه من حوله".[1] وتبين من الأسطر السابقة أهمية الشعر الجاهلي، فلذا نال عناية بالغة عند كبار النقاد، ولم تقل قيمته في عصر من العصور حيث نقلوا من أخبار أبي عمرو بن العلاء (المتوفى سنة 154هـ) أنه قد بلغت عنايته بالشعر الجاهلي مبلغا كبيرا حتى قال الأصمعي: جلست إلى أبي عمرو بن العلاء عشر حجج، ما سمعته يحتج ببيت إسلامي.[2]

ولم يتوقف عصر من العصور عن الارتقاء العلمي والتطور الأدبي، وكذلك العصر العباسي الثاني الذي كان عصر الازدهار العلمي، ومن الطبيعي أن يُلمح هذا الازدهار في الشعر، لأنه ممثل ذاك العصر ومرآة صافية له، أما الابتكار فظل دائما مرغوبا ومقبولا بين الناس حيث حاز امرؤ القيس على درجة أشعر الشعراء لأنه أول من ذكر الوحوش، وأول من شَبّه النساء بالظباء، وذكر الآمدي الإبداع والابتكار في شعر امريء القيس حيث إنه يقول في الموازنة: " ألا ترى أن العلماء بالشعر إنما احتجوا في تقديمه بأنهم قالوا هو أول من شبه الخيل بالعصا وذكر الوحش والطير وأول من قال قيد الأوابد...فهل هذا التقديم إلا لأجل معانيه."[3]

وينشأ السؤال في الأذهان، كيف يزيد هذا البحث في المعارف العلمية وما فائدة دراسة الابتكار والتقليد وعقد المقارنة بينهما؟ إجابة لهذا السؤال أقول إن دراسة الابتكار تفيد لفهم طبيعة الأدب والمسار الأدبي من عصر إلى عصر والتطورات الشعرية عبر العصور وما يتأثر الشعر من البواعث المختلفة والدوافع المتفرقة في كل عصر، فهذه الدراسة تكشف وتبين التغير الكبير الذي حدث في شعر العصر العباسي، فجعل نوافذه مفتوحة للتجدد والابتكار، لأن الشاعر ممثل للمجتمع الذي يعيش فيه، ولصيق به ولا يكاد يعيش بمعزل عنه، فلا بد للشاعر أو الأديب

---

[1]- مصادر الشعر الجاهلي وقيمتها التاريخية، الدكتور ناصرالدين الأسد، دار الجيل - بيروت، 1996م، ص: 5- 6

[2]- المصدر السابق، ص: 155

[3]- تاريخ النقد الأدبي عند العرب، د.إحسان عباس، ط: 3، دارالثقافة- بيروت، 1983م، ص: 161

أن يستجيب لميول الناس ورغباتهم والتزام قيمهم وثقافاتهم فلا يغفل عنها طرفة عين، ويُظهر أيضا ما يختلج في نفسه من عواطفه، فالشاعر مرهف الحس بطبعه، ومتوقد الذهن بحيث يستطيع أن يعبر عما بداخله من مشاعر لا تخلو من إبداع وفكر نادر، فالابتكار يتدفق في كلامه تدفق العين الجاري من الحجر.

فالابتكار ظل دائما محمودا ومستحسنا عند الناس، ويتلقونه بترحيب دافيء وكما فعلوا بطبقة المحدثين حيث إنهم أقبلوا عليهم بإقبال حسن واستحسنوا كلامهم وفكرهم، وبعد أن كانوا يسأمون من التشبيهات المكرورة والأفكار المحددة التي تدور حول الصحراء والأطلال، ليس لديهم المشبهات إلا السماء الصافية والنجوم اللامعة والحصان الجاري يطارد الصيد والحروب المتتابعة بين القبائل. وأما في العصر العباسي، فقد تحوّل الذوق الشعري عند الناس، حيث تغيرت الأحوال البسيطة الساذجة إلى الحضارة الراقية والمدنية المترفة تذهل العقول وتخطف الأبصار، يبدو الانبهار عندهم تجاه التشبيهات الجديدة والأفكار المبتكرة كما عند ابن المعتز في تشبيه هلال العيد والسماء السوداء بالقارب المملوء بالعنبر أو كالذي فاغر فاه ليأكل العناقيد حيث إنه شبه النجوم بالعناقيد، وكما شبه بشار بن برد مثار النقع والسيوف بالليل الذي تهاوى كواكبه، وكما غير أبو نواس النهج التقليدي في استهلال القصيدة.

فالعصر العباسي- كما شهد له التاريخ- عصر العلوم والفنون وملتقى الثقافات الأجنبية ومهد الحضارة الراقية حيث اختلطت الأقوام في المجتمع العربي الخالص مع تقاليدهم وعاداتهم وميولهم، وتلك المؤثرات أثرت في الأدب والشعر تأثيرا عميقا، فبدأت الثورة على كل قديم شعرا كان أو نثرا، فخرجوا من إطار التقليد فظهرت طبقة المحدثين على صعيد الأدب ونالوا شهرة وترحيبا في الأوساط الأدبية.

وكذلك نرى انطباعات التجديد والابتكار في كلام أبي الطيب المتنبي وأبي فراس الحمداني إلا أن المتنبي قد تفوق في الإبداع والابتكار مستفيدا من معطيات العصر الحديث، وأما أبو فراس، فلم يتقبل التيارات العصرية في شعره مثل المتنبي حيث إنه تابع الشعراء الجاهليين في إظهار عواطفه بالحماسة والفروسية والذود عن القبيلة بعيدا عن التعقيد الفلسفي. وأما المتنبي، فكلامه لا يخلو عن فكر فلسفي، وعمق معرفي، والتعقيد، والإسراف، وبذلك يمكن أن يُعَد نموذجا من نماذج الابتكار، وأبو فراس، هو ممثل صادق للتقاليد ويمكن أن يُعد نموذجا للشاعر التقليدي إلا أن بعض آثار التجديد وردت في شعره لأنه عاش في عصر التقدم والازدهار.

فكلا الشاعرين أخذ نصيبه من التجدد والابتكار إلا أن المتنبي كان أكثر ميلا إلي الابتكار والتجديد وطابت له الأفكار النادرة الفريدة، وذلك بسبب تكوين شخصيته على دأب خاص وعاش طفولته في البؤس والحرمان، ولكنه أوتي من الله تعالى الذكاء الخارق والحاسة القوية، وكل هذه العناصر تتصل بالإبداع، وهو شاعر عبقري امتلأ قلبه بعواطف الفخر والعجب بكلامه ويرى نفسه أفضل وأشعر من الشعراء المعاصرين والذين من قبلهم، فهذا الشعور ولّد فيه عواطف الغطرسة والكبر التي دفعته إلى الإنحراف عن التقاليد القديمة والميل إلى الأفكار المبتكرة وخلق الإبداع والسير في الآفاق الجديدة.

وأما أبو فراس، فقد عاش حياة سوية جياشة لم يُفتر له أن يشتغل عن الحروب إلى الاشتغال في الأمور الأخرى، فاجتنب التعقيد الفلسفي والإسراف المتجاوز عن الحدود كما هو الحال عند المتنبي، وعُرف شعره بصدق العاطفة والتجربة الشخصية والفروسية للفارس المغوار يلمح فيه الحماس الزائد والشجاعة الخارقة، وبعيد عن التمويه وزخارف الكلام وكأنه في أبياته

يبازر الأعداء ويذكر فيها الحروب التي دارت بين سيف الدولة ابن عمه والروم، فشارك فيها، وكانت له فيها مواقف مثيرة.

وأذكر بعض المشاكل والصعوبات التي اعترضت في طريق إكمال البحث، فأنفقت كل ما استطعت من جهد، وبلغت مني المشقة، وحجزتني المشاكل والصعوبات، فما أنجزت هذا العمل المتواضع إلا بمعونة ربي في تثبيت قدمي ومنحي الصمود والمثابرة في طريق النجاح، فوصلت إلى المنزل المقصود، وحصلت على الهدف المنشود، ولا شك أن هذا الموضوع فتحت لي المجالات الجديدة للبحث العلمي، وقد تمكنتُ من معرفة طبيعة الأدب في العصر العباسي وميزاته البارزة وتجلت أمامي الخصائص المتميزة لكلام أبي الطيب المتنبي وأبي فراس الحمداني إلى حد بعيد.

خلال إكمال البحث واجهت المشكلة في تحديد مواضع الابتكار وأنواعه، لأنه مجال صعب لم يدخل فيه من قبل إلا القليل من الناس، ولا يوجد فيه كتاب معين ولا مصدر مؤثق أرجع إليه، إلا هناك بعض الإشارات في الكتب، فاصطفيت منها، ولم أصادف التأليف الذي استقل بهذا العلم الذي يبين التطور الأدبي ويكشف دوافع الابتكار والتجديد في الشعر في المنظور العلمي المحقق، فظل هذا المجال مخفيا، مغلق الحقائق أمامي، فهناك تمس الحاجة لكشف أسراره وإزالة غطائه، لأجل هذا وجهت التفاتي إلى دراسة مظاهر الابتكار والتجديد في كل عصر من قبل العصر العباسي الثاني ولأتعرف على الارتقاء الشعري في الأدب العربي ولأسهم في المجتمع ببضاعتي من العلم.

فلما رفعت القلم حول هذا الموضوع المعقد، كنت قليلَ الزاد لأني لم أجد سبيلا إلى المنهج السديد، ولا منفذا إلى النجاح البعيد، فوقفت موقف الضال المتحير في الصحراء الممتدة

إلى الأفق البعيد لاتحصى ثغورها ولا تقطع مسافتها، فلم أجد المواد المطلوبة إلا بشكل العبارات المنتشرة أو الكتابات المنتثرة في طيات الكتب القديمة والحديثة وقنوات الإنترنيت التي لا تشفي الغليل.

فلم أجد أمامي منفذا إلا القراءة الواسعة، فجلست منكبا على الكتب، حتى بدا لي بريق الأمل والرجا بتوفيق الله وانفتح الغبار بالجـ ـد والاجتهاد، وخلال إكمال البحث، لم أنس المساعدة والحث والتشجيع مما قُدم إليّ من قبل أصدقائي بتزويدي بالمصادر والمراجع، فنجحت في استيعاب شوارد الموضوع وقيدت أوابدها وبخاصة من قبل أستاذي الكريم الدكتور محمد علي غوري التي حثني دائما على الاجتهاد المستمر وأخذ الإتقان والرسوخ في اللغة العربية- تكلما وكتابة- ما سددت به خطواتي على الطريق المستقيم، فقمت لحمل هذا العبء الثقيل وإنجاز العمل الكبير، فبتوفيق الله نجحت لصياغ البحث المتواضع بتقديم حصائد اكتسابي وثمار جهودي، والله ولي التوفيق.

إشكالية البحث :

يطرح هذا البحث سؤالا حول شعر الحرب لدى شاعرين فحلين من شعراء العربية.

1: إلى أي مدى التزم الشاعران بشعر الحرب الذي سبق إليه أسلافهما من الشعراء؟

2: وإلى أي مدى أثريا هذا الغرض الشعري بالجديد والمبتكر في شعرهما؟

أهمية الموضوع :

(1) هذه مقارنة بين الشاعرين الكبيرين المعاصرين في العصر العباسي الثاني اللذين اشتركا في كثير من الجوانب التي انعكست علي الأدب العربي في تلك الحقبة.

(2) ومحاولة تسليط الأضواء على أدب الحروب في العصر العباسي الثاني، وكلا الشاعرين كان ملتصقا ببلاط سيف الدولة المشتغل دائما بالحروب، فكان المتنبي شاهد عيان في المعارك بمرافقة سيف الدولة، وأبو فراس كان فارسا مغوارا خاض المعارك، فتكون لديهما الأدب الحربي العظيم ذو المستوى الرفيع، ورسالتي تحيط بهذا النوع الأدبي من الشعر.

سبب اختيار الموضوع:

(1) التعرف على الجديد في شعر الشاعرين.

(2) الوقوف على نوعية الشعر في ظل الحروب والتغيرات التي تطرأ على الأديب أو الشاعر وإظهار دور الحرب في تشكيل شاعرية الشاعر.

الجديد الذي يضيفه البحث :

إن البحث يحيط بالاتجاهات الجديدة التي أدت إلى تطور الشعر العربي في الأغراض المختلفة وذلك من خلال دراسة نوع واحد منها وهو شعرالحرب لدى المتنبي والحمداني.

الدراسات السابقة:

لم أقف على دراسة علمية مقارنة تناولت هذا الموضوع بهذا الاسم ولكن هنالك دراسات تقترب من هذا الموضوع، فمنها:

1-شعر الحرب عند العرب في العصرين الأموي والعباسي إلى عهد سيف الدولة.

تأليف : زكي المحاسني . تاريخ النشرة : 01/01/ 1970.

الناشر: دار المعارف . فيه دراسة عامة حول شعر الحرب بدون تحديد شاعر.

2- "أدب الحرب عند المتنبي". تأليف :د- حسن محمد الربابعة، الناشر: مؤسسة رام لتكنولوجيا والكمبيوتر، تاريخ النشرة :2005 م. يقدم فيه المؤلف صورة المحارب عند المتنبي، ومعدات الحرب، ودلالاتها، ولباس المحارب، ودلالاتها وصور من الخيل، وصور من فنون الحرب، ودلالاتها، ومع ذلك يتحدث فيه الشئون الإدارية والاتصالات ودورها في الحروب عند المتنبي، ولكنه يخلو عن الموازنة بأي شاعر آخر، والإهمال عن إبراز الجوانب الابتكارية والتقليدية.

3- "الفروسية في الشعر بين أبي فراس الحمداني وأسامة بن منقذ" -رسالة لمرحلة الماجستير قدمتها إحدى الطالبات بجامعة أم القرى اسمها منى بنت بخيت اللهيبي سنة 2008م.ذكرت فيها إبراز صورة الفارس في شعرهما والسمات الشخصية للشاعرين والتشابه بينهما، ركزت فيها على جمع شعر الفروسية للشاعرين ووجوه التشابه وعلاقة التأثير والتأثر بينهماا، ولكنها تركت بعض الجوانب .

4- "شعر الحرب بين البحتري والمتنبي (دراسة موازنة)". للباحث: أ.د. زيد بن محمد بن غانم الجهني، الجامعة الإسلامية، كلية اللغة العربية. قسم الأدب والبلاغة. فيه يلقي الضوء على موضوعات شعر الحرب عند الشاعرين عندهما.

5- "المتنبي الإنسان والشاعر بين أبي تمام وأبي فراس"، رسالةالدكتوراه، للدكتورة نورة الشعلان، في كلية الآداب بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية من العربي السعودية سنة 1987م.

6- "المتنبي في دراسات المستشرقين"، رسالة الدكتوراه لحسن الأمراني بجامعة محمد الخامس برباط سنة 1997م.

7- "شخصية المتنبي ونشأته وأثرهما في شعره"، موضوع رسالة الماجستير، نوقشت في كلية الآداب بجامعة الإسكندرية، تقدمت بها منى أمين مصطفى، 1994م.

يشتمل البحث على مقدمة وتمهيد وستة فصول تحتها مباحث ثم خاتمة وقائمة المصادر والمراجع على الترتيب التالي :

المقدمة: تشتمل على التعريف العام بالشاعرين –المتنبي وأبي فراس – والخصائص الشعرية لهما باختصار ثم أهمية الموضوع وسبب اختياره والدراسات السابقة.

التمهيد: يشتمل على حياة الشاعرين وجذور العلاقة بين الشعر والحرب والابتكار في الشعر العربي لغة واصطلاحا.

الفصل الأول: علاقة الشعر بالحرب، ويشتمل على مبحثين:

المبحث الأول: شعر الحرب عند الأمم المختلفة

المبحث الثاني: شعر الحرب عند العرب

الفصل الثاني: الابتكار والتقليد في تصوير خيل الحرب عند الشاعرين، ويشتمل على مبحثين:

المبحث الأول: وصف خيل الحرب عند المتنبي

المبحث الثاني : وصف خيل الحرب عند أبي فراس

الفصل الثالث: الابتكار والتقليد في تصوير سلاح الحرب عند الشاعرين، ويشتمل على مبحثين:

المبحث الأول: وصف سلاح الحرب عند المتنبي

المبحث الثاني: وصف سلاح الحرب عند أبي فراس

الفصل الرابع: الابتكار والتقليد في تصوير قادة الحرب وفرسانها عند الشاعرين،

ويشتمل على مبحثين:

المبحث الأول: وصف القادة والفرسان عند المتنبي

المبحث الثاني: وصف القادة والفرسان عند أبي فرا س

الفصل الخامس: الموازنة بين الابتكار والتقليد في صور الحرب عند المتنبي وأبي فراس،

ويشتمل على مبحثين:

المبحث الأول: صور الحرب عند المتنبي

المبحث الثاني: صور الحرب عند أبي فراس

الفصل السادس: المقارنة العامة بين الشاعرين،

ويشتمل هذا الفصل على المقارنة بين الآثار الثقافية والفلسفية والعلمية والدينية وغيرها.

الخاتمة: تشتمل على ملخص البحث والنتائج والتوصيات وبعدها قائمة المصادر والمراجع.

التمهيد:

يشتمل على:

1. حياة الشاعرين المتنبي، وأبي فراس الحمداني.

حياة المتنبي:

أولاً: ولادته ونسبه

ثانياً: تعلمه

ثالثاً: رحلاته

رابعاً: علاقته بسيف الدولة الحمداني

خامساً: وفاته وأسبابها

ولادته و نسبه:

ولد أبو الطيب، أحمد بن الحسين بن الحسن بن عبد الصمد الجعفي الكوفي الكندي،[1] المشهور بالمتنبي في الكوفة سنة ثلاث وثلاثمائة الهجرية(303هـ) في محلة يقال لها كندة، فنسب إليها وليس هو من كندة التي هي قبيلة، بل هو جعفي القبيلة،[2] عاش أيام طفوليته في الفقر والإفلاس، وماتت أمه في صباه وربته جدته، كما أخذ د.محمود شاكر من بعض قصائده إشارة دقيقة،

1- الأعلام (قاموس التراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين) لخير الدين الزركلي، دار العلم للملايين- بيروت، ط: 5، تاريخ النشر: مايو 2002م: 1/ 115

2- شرح ديوان المتنبي (الجزء الأول)، عبد الرحمن البرقوقي، دار الكتب العربي- بيروت، تاريخ النشر: 1986م، ص: 3

حيث يقول: "وفي قصيدته هذه إشارة دقيقة بليغة مقدرة، يشير بها إلى أن أمه ماتت وهو صغير، فكفلته جدته العجوز رحمها الله."([1]) إن أباه كان سقاء بالكوفة، ثم انتقل إلى الشام بولده، وإلى هذا أشار بعض الشعراء في هجو المتنبي، حيث قال:

أيُّ فَضلٍ لِشاعِرٍ يَطْلُبُ الفَضلَ مِنَ النَّاسِ بُكرَةً وَّ عَشِيًّا

عَـاشَ حين يَبِيعُ فِي الكُوفَةِ المَـاءَ وحِينَ يَبِيـعُ مَاءَ ٱلمُحَيَّا([2])

كان أبوه سقى على بعير له بالكوفة، وجدته كانت همدانية صحيحة النسب لا يشك فيها، وكانت من صلحاء النساء الكوفيات، وأما أمه فقد جهدت أن أجد لها خبرا واحدا، أو ذكرا في كلام، فما وصلت، أما ما يزعم بعض الكتاب والأدباء من أنه أراد أمه بقوله وهو في السجن، وقد كتب به إلى الوالي:

بيديّ أيها الأميرُ الأريبُ لا لشيءٍ إلَّا لِأَنِّي غريب

أو لِأُمٍّ لَهَـا إذا ذَكَـرَتْنِي دَمُ قلبٍ بدمِ عينٍ يذوب

فيه يسمى جدته أمه."([3])

هل هو علوي النسب كما هو قول سائر بين الأدباء والكتاب؟ إن الدكتور محمود شاكر قد بحث عن أحواله وفحص عن أبياته وتراجمه ووصل إلى نتيجة هي أن المتنبي ليس بعلوي النسب، بل كان هو دعيا من الأدعياء عند العشيرة العلوية، وأخذ الدلائل من الروايات الواردة

---

[1] - المتنبي، محمود محمد شاكر، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بالرياض، 1936م، ص: 163

2- معاهد التنصيص على شواهد التلخيص، الشيخ إبراهيم بن أحمد العباسي، تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد، الناشر: عالم الكتب- بيروت، تاريخ النشر: 1367هـ:1/ 29

[3] - المتنبي، محمود شاكر، ص: 163

عن المتنبي حيث أنه يقول: "فكنت أول من شك في نسب أبي طيب التي رواها الرواة، ولكني لم أقف عند الشك المجرد، كما ذهب إليه من قلدني(هو الدكتور طه حسين) بل أبنت عن علة الشك، لأثبت مكانه حقيقة أخرى، دلني عليها شعره وموقفه في حياته كلها، مما كان له ارتباط وثيق بعلة الشك."[1] كما هو يقول في شعره:

وفَارَقْتُ شرَّ الأرضِ أهْلاً وتربةً بـها عَلَويٌّ جدُّه غيرَ هاشمِ[2]

وقد صرّح في هذا البيت نسبه بأنه ينتمي إلى عشيرة غير هاشمي.

وكان شاعرا مفلقا شديد العارضة راجح العقل عظيم الذكاء،قدم الشام في صباه واشتغل في فنون الأدب ولقي في رحلته كثيرا من أئمة العلم فتخرج عليهم، وأخذ عنهم، وكان من المطلعين على أوابد اللغة وشواردها، حتى إنه لم يُسأل عن شيء إلا استشهد له بكلام العرب من النظم والنثر،[3] وبعد ذلك بدأ ترحاله من بلد إلى بلد وجال الأقطار والأمصار للحصول على الكرامة و المنصب الجليل، حتى وصل إلى بلاط سيف الدولة و مكث عنده دهرا طويلا كما قيل: " ولم يمض ردحا من الزمن على تخلية سبيله حتى لحق بالأمير سيف الدولة بن حمدان، وكان ذلك سنة سبع وثلاثين وثلاثمائةه(948م)، فمدحه فأحبه وقربه وأجازه الجوائز السنية وأجرى عليه كل سنة ثلاثة آلاف دينار خلا ما كان يهبه من الإقطاعات والخلع والهدايا المتفرقة."[4]

ويتضح ذلك من قوله فيه:

---

[1]- المتنبي، المؤلف: محمود محمد شاكر، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بالرياض، ص: 73

[2]- ديوان المتنبي، تحقيق: محمد خداش، الطبعة الأولى، تاريخ النشر: 1433هـ ، دار الغد الجديد، القاهرة, ص: 178

[3]- المرجع السابق،

[4]- المرجع السابق،

تَرَكتُ السَّرَى خَلفِي لِمَنْ قَلَّ مَالُه وَأَنْعَلْتُ أَفْرَاسِيْ بِنَعْمَاكَ عَسْجُدَا

وَقَيَّدتُ نَفْسِي فِي هَوَاكَ مَحَبَّةً وَمَنْ وَجَدَ الْإِحْسَانَ قَيْداً تَقَيَّدَا[1]

ظل معه في حال حسن حتى حدثت بينهما جفوة ففارقه إلى مصر سنة 346 هـ ومدح كافور الإخشيدي وأبا شجاع وأقام في مصر خمس سنين وبعد أن غادر مصر ذهب إلى بغداد ثم مر بأرجان فشيراز ومدح عضد الدولة بن بويه فأجزل عطيته، ثم انصرف من عنده راجعا إلى بغداد فالكوفة.[2]

قد ذكر محمود شاكر سبب خروجه من بلاط سيف الدولة وهي قصة فاجعة بنسبته أن المشاجرة وقعت بين المتنبي وابن خالويه مما غضِب ابن خالويه[3]، فوثب عليه وشجه فسال الدم عن رأسه، فما عوقب بذلك، فرأى المتنبي الانحياز الواضح إلى ابن خالويه مما جعله غضبان، فغادر من بلاطه.[4]

---

[1]-المرجع السابق، ص: 306

[2]-ديوان المتنبي، ص: 6

3- حسين بن أحمد بن خالويه، المتوفى(360هـ---980م) أبو عبدالله، اللغوي، من كبار النحاة، أصله من همدان، زار اليمن وأقام بذمار مدة، وانتقل إلى الشام فاستوطن بحلبه، وعظمت بها شهرته، فأحله بنو حمدان منزلة رفيعة. وكانت له مع المتنبي مجالس ومباحث عند سيف الدولة، وعهد إليه سيف الدولة بتأديب أولاده، وتوفي في حلب. ومن كتبه (شرح مقصورة ابن دريد) و (مختصر في شواذ القرآن) و (إعراب ثلاثين سورة من القرآن العزيز) و (ليس في كلام العرب) و(الشجر)- (الأعلام - خيرالدين الزركلي، ط: 5، الناشر: دارالعلم للملايين ، التأريخ: 2002، ج: 2، ص231.

[4]- المتنبي- محمود محمد شاكر، ص: 3

وكذلك يذكر البرقوقي*[1] سبب خروجه من بلاط سيف الدولة بن حمدان، "ومازال منقطعا له حتى وقع بين المتنبي وبين ابن خالويه – النحوي – كلام في مجلس من مجالس سيف الدولة، فوثب ابن خالويه على المتنبي، فضرب وجهه بمفتاح كان معه، فشجه، وخرج دمه يسيل على ثيابه، فغضب، وفارق سيف الدولة."[2]

التأثيرات الخارجية في شخصيته:

التأثيرات التي أخذها المتنبي من المجتمع الذي كان ملتقى الثقافات المتنوعة ومهد العلوم المختلفة، لعبت دورا مهما في تكوين شخصيته. قد نشأ المتنبي في بيئة غلبت فيها الفكرة المذهبية القرمطية التي أهلها كانوا من غلاة الشيعة ودرس على الأساتذة الذين أكثرهم كانوا يعتقدون بهذه العقيدة،كما صرّح بذلك الدكتور طه حسين بقوله: " تأثر المتنبي بالمذهب النظري للقرامطة وغلاة الشيعة."[3] وهو أيضا تلقى الأثر الشيعي من والده. ومن الطبيعي أنه تأثر بهم مما أدى إلى الانحلال الديني والانتشار الفكري و ورود الأفكار الإلحادية، وتحت هذه التأثيرات أنه تنبأ فيما بعد كما يقول د.بلاشير*:"ولا عجب أن يكون ذلك في بلد غالبيته من الشيعة، وفي هذه المدرسة رسخت، دون ريب، عقيدة أبي الطيب الشيعية التي أخذها عن أبيه "[4]. ود.بلاشير

1-البرقوقي:(1293هـ---1363هـ) عبدالرحمن بن عبدالرحمن بن سيد بن أحمد البرقوقي: أديب مصري، ولد في منية جناج(مركز دسوق بالغربية) وقرأ في الأزهر على الشيخ المرصفي، واستفاد من دروس الشيخ محمد عبده. وأصدر مجلة(البيان) شهرية، سنة 1910م، فكانت صحيفة أدباء مصر:العقاد، والمازني، وشكري، والسباعي وغيرهم. وكان كثير العناية بجودة العبارة وجزالة الأسلوب. (الأعلام للزركلي، ص: 3/ 309)

2- المرجع السابق، ص:4

3- مع المتنبي، طه حسين، الطبعة الثالثة عشرة، الناشر: دار المعارف – القاهرة، ص: 44

* بلاشير: ريجس بلاشير المستشرق الفرنسي(1900---1973) كان له براعة في تاريخ الأدب العربي، وله مؤلفات قيمة في النقد

4-أبوالطيب المتنبي (دراسة في التاريخ الأدبي)، ريجيس بلاشير، ط: 2، ترجمة: إبراهيم الكيلاني، دار الفكر- دمشق، 1985م، ص :42

يشير أيضا إلى أن أساتذته لعلهم كانوا من الزيديين. والدكتور طه حسين أيضا يشير إلى هذه الظاهرة في كلامه: "وقد كان لهذه المدرسة تأثير ظاهر لعقل هذا الصبيّ وقلبه ينبئنا به الديوان."[1] ويقول أيضا: "مذهبا أقل ما يوصف به أنه لا يخلو من مبالغة"[2] فبهذا يعترف طه حسين أثر الغلو والإسراف في شخصيته وظهر في أبياته كما هو يقول:

فَلَمَّا دَنَا أَخْفَى عَلَيهِ مَكَانَهُ شُعَاعُ الحَدِيدِ البَارِقِ الْمُتَأَلِّقِ[3]

يقول لما قرب رسول الروم من سيف الدولة، أعشى بصره لمعان الحديد والسلاح حتى لم ير مكان سيف الدولة.[4] ومثل قوله في وصف السيف:

كَأَنَّ عَلَى الْجَمَاجِمِ مِنْهُ نَارًا وَأَيْدِي الْقَومِ أَجْنِحَةِ الْفِرَاشِ[5]

فسمة الإسراف و الغلو واضحة جدا في كلامه دون ريب، فمن المستحيل أن شاعرا مثل المتنبي لم يتخذ خطاه إلى طريق الابتكار والإبداع، حيث إنه كان ذا طبع مضطرب وعقل نشيط وذهن متوقد، تثقف في العلوم التقليدية والمتداولة، كما يصفه الدكتور طه حسين بكلمات،" ذكي القلب، مرهف الحس، رقيق المزاج، حاد الشعور، ملتهب العاطفة، قوي الخيال."[6] ونشأ في مجتمع خليط من الأجناس المتباينة مثل الفرس والترك والحبش وأهل الحضر من العراق والشام ومصر، انضموا في المجتمع العربي الخالص يتكلمون بألسنتهم، ويمثلون بحضاراتهم و تقاليدهم،

---

[1]- مع المتنبي، ص: 35

[2]- المرجع السابق، ص: 34

[3]- شرح ديوان المتنبي، الشارح: البرقوقي، الناشر: دار الكتاب العربي، 1407هـ ، بيروت: 3/ 56

[4]- شرح ديوان المتنبي: 3/ 56

[5]- المرجع السابق: 318/2

[6]- مع المتنبي، ص: 32

حاملين علومهم وآدابهم، فهناك احتكاك دائم مع الثقافات المتنوعة والآداب الأجنبية، وفي البيئة مثلها، أتاحت لأبي الطيب فرصا مغتنمة ليستقي من شتى العلوم والفنون، فمهدت له الطريق إلى الابتكار، وفتحت له العوالم الجديدة، فلا سيما هذه من مقتضيات العصر المتقدم كما يصفه طه حسين بقوله،" فهو العصر الذي نضجت فيه الحضارة الإسلامية، وأدركت رشدها، واستكملت قوتها، وأخذت تؤتي ثمرها طيبا لذيذا في كل فرع من فروع العلم والفلسفة والأدب و الفن."([1])

سبب تلقيبه بالمتنبي:

كما ذكر أن مزاجه كان مضطربا لايهدأ عن الثورة ولا يمتنع عن الحصول على الدرجات العالية فادعى النبوة كما قيل أنه قدم الشام في صباه، وجال في أقطاره، وما زال إلى أن ادعى النبوة في بادية السماوة- وهي مفازة بين الكوفة والشام، وقيل بين الموصل والشام، وهي من أرض كلب([2]) وتبعه خلق كثيرمن بني كلب، فخرج إليه اللؤلؤ- أمير حمص نائب الإخشيدية — فأسره وتفرق أصحابه وحبسه طويلا، ثم استتابه وأطلقه ومن ثم سمي المتنبي.([3]) لكن د. شاكر يرجح عدم إثبات هذه القصة كما ظهر من كلامه ويؤيد موقفه بالأدلة.([4])

فهذه الأحداث تدل على طبيعته المثيرة المضطربة وحرصه لطلب العلى ومبادرته لحصول الأهداف ولأجل ذلك استخدام جميع الوسائل. فإنسان مثل المتنبي لايبتعد عن الابتكار, فخرج عن قبعة التقاليد الجاهلية ودخل في مجال أوسع فنرى في كلامه التشبيهات الحديثة التي تتصل بعصره وتمثل ثقافته.

---

[1]- مع المتنبي، ص: 26

2- الروض المعطار في خبر الأقطار. محمد بن عبد المنعم الحميري، المحقق: إحسان عباس، مؤسسة ناصر للثقافة- بيروت، 1980م، ص: 1/ 322

[3]-المتنبي - محمود شاكر، ص: 3

[4]- المرجع السابق

ثقافته:

قد نشأ المتنبي في الكوفة وهي آنذاك مهد العلوم الجديدة وخليط الشعوب المختلفة وملتقى الثقافات، ومن الطبيعي أن طالبا متشوقا مثل المتنبي يتأثر بتلك الثقافات والعلوم ولعبت هذه التأثيرات دورا مهما في تكوين شخصيته وبخاصة قد أخذ حظا وافرا من التأثيرات الفلسفية لأثر الفلسفة اليونانية في المجتمع العربي الخالص فطبيعته مالت إلى الأفكار الجديدة الفلسفية التي أثرها في شعره فأخرج الشعر العربي من القيود التقليدية التي أغلق عليها أبو تمام والبحتري(1) ونجد عنده أثر الابتكار واضحا جليا، وأتيحت له الفرصة للقراءة في دكاكين الوراقين وكان يقضي هناك أوقاتا طويلة يقرأ الكتب، وبذاكرته القوية استفاد من هذه الفرص ودون شك أنه أخذ علما غزيرا من هذه الدكاكين واستغرق فيها قراءة الكتب،مثل كتب النحو واللغة والتاريخ التي ما استطاع أن يشتريها وكما يقول د.بلاشير*(2) "كما أن أبا الطيب استفاد من جميع الفرص السانحة للتعلم، وثم نوادر تظهره مكثرا من ملازمة دكاكين الوراقين، وكانت هذه يومئذ بمنزلة

1- أبوتمام(188هـ---231هـ)(804م---846م) حبيب بن أوس بن الحارث الطائي، أبوتمام: الشاعر، الأديب، أحد أمراء البيان. ولد في جاسم(من قرى بسورية) ورحل إلى مصر،واستقدمه المعتصم إلى بغداد، فأجازه وقدمه على شعراء وقته فأقام في العراق. ثم ولي بريد الموصل، فلم يتم سنتين حتى توفي بها. كان أسمرا، طويلا، فصيحا، حلوالكلام، فيه تمتمة يسيرة، يحفظ أربع عشرة ألف أرجوزةمن أراجيز العرب غير القصائد والمقاطع، فيشعره قوة وجزالة. واختلف في التفضيل بينه وبين المتنبي والبحتري. له تصانيف منها : فحول الشعراء، وديوان الحماسة، ونقائض جرير والأخطل.(الأعلام للزركلي:165/2)

2- المستشرق الفرنسي ريجيس بلاشير(1900م---1973م)ولد في باريس وتلقى التعليم الثانوي في الدار البيضاء تخرج باللغة العربية بكلية الآداب بالجزائر، تولى العديد من المناصب العلمية منها أستاذ اللغة العربية في معهد مولاي يوسف بالرباط، ومدير معهد الدراسات المغربية العليا(1924م---1935م)، وأستاذ كرسي الأدب العربي في مدرسة اللغات الشرقية الحية بباريس وأستاذا محاضرا في السوربون ثم مدير مدرسة الدراسات العليا والعلمية وحضارتها في باريس، من أبرز إنتاجه ترجمته معاني القرآن الكريم وكذلك كتابه(تاريخ الأدب العربي) في جزأين وترجمه إلى العربية إبراهيم الكيلاني، وله أيضا كتاب(أبوالطيب المتنبي: دراسة في التأريخ الأدبي)(معجم افتراءات الغرب على الإسلام، المؤلف: أنور محمد زناتي. جامعة عين شمس)

قاعات المطالعة يتلاقى فيها المثقفون. ولنتصور أباالطيب مستمعا، في تلك الندوات، لما يقال حوله أو مستغرقا في قراءة كتب النحو واللغة والتاريخ التي يعجز،بسب فقره، عن اقتنائها."[1]

لا سيما أنه من نوابغ الشعر وبلغ ذروة الكمال في الشعر، كما يقول البرقوقي، " إن المتنبي رب المعاني الدقاق."[2]

وقول ابن الأثير في أبي تمام والبحتري*[3] والمتنبي،" هم لات الشعر وعزاه ومنات الذين ظهرت على أيديهم حسناته ومستحسناته وجمعت بين الأمثال السائرة وحكمة الحكماء وقد حوت أشعارهم غرابة المحدثين إلى فصاحة القدماء"، والبرقوقي اعترف لأبي تمام بالفضل في استخدام المعاني المبتكرة والمتنبي أراد أن يسلك مسلكه فقصرت عنه خطاه ولكنه حظي في شعره بالحكم والأمثال واختص بالإبداع في وصف مواقف القتال.[4]

ويقول فيه أيضا: "وشأن المتنبي كشأن نوابغ الدنيا، فالشاعر النابغة لا يمهر بإرادته، ولا ينبغ بأن يخلق في نفسه مادة ليست فيها، وإنما يولد."[5]

---

[1]-المرجع نفسه، ص :43

[2]- المتنبي - محمود شاكر، ص:4

3- البحتري(206هـ---284هـ)(821م---898م) الوليد بن عبيد بن يحيى الطائي، أبو عبادة البحتري: شاعر كبير، يقال لشعره "سلاسل الذهب". وهو أحد الثلاثة الذين كانوا أشعر أبناء عصرهم: المتنبي، وأبو تمام، والبحتري. قيل لأبي العلاء المعري: أي الثلاثة أشعر؟ فقال: المتنبي وأبو تمام حكيمان، وإنما الشاعر البحتري. ولد بمنبج(بين حلب والفرات)ورحل إلى العراق، فاتصل بجماعة من الخلفاء أولهم المتوكل العباسي، ثم عاد إلى الشام، وتوفي بمنبج. له "ديوان شعر" وكتاب " الحماسة" على مثال حماسة أبي تمام.(الأعلام للزركلي: 121/8)

[4]- شرح ديوان المتنبي ، ص: 12

[5]- المرجع السابق ، ص: 14

وفاته:

يقال إنه جهز عليه فاتك الأسدي في قوم من بني ضبّة فعرض له بالصافية من سواد بغداد واقتتلا فلما رأى الدائرة عليه هم بالفرار فقال له غلامه لايتحدث الناسك عنك بالفرار وأنت القائل :

فَالْخَيلُ وَاللَّيلُ وَالبَيدَاءُ تَعرِفُنِي وَالسَّيفُ وَالرُّمحُ وَالقِرطَاسُ وَالقَلَم

فقاتل حتى قُتل هو و ولده وغلامه في آخر رمضان سنة 394هـ[1].وقال ابن خلكان: مات قتيلا في صدد(على مقربة من حمص) قتله أحد أتباع سعد الدولة ابن سيف الدولة. وكان أبو فراس خال سعد الدولة وبينهما تنافس.

وقيل أنه لما رجع من عند عضد الدولة بن بويه قاصدا بغداد ثم إلى الكوفة في شعبان عرض له فاتك بن الجهل الأسدي في عجة من أصحابه فقاتلوهم، فقتل المتنبي وابنه المحسد وغلامه المفلح بالقرب من النعمانية في موضع يقال له الصافية، وقيل جبال الصافية — من الجانب الغربي من سواد بغداد عند دير العاقول — وذلك يوم الأربعاء[2]. ولما قُتل رثاه أبو القاسم مظفر علي الطنيسي بقوله:

لَا رَعَى اللهُ سَرْبَ هذَا الزَّمَانِ إِذْ دَهَانَا فِي مِثلِ ذَاكَ اللِّسَانِ

مَا رَأَى النَّاسُ ثَانِيَ الْمُتنبِي أَيْ ثَانٍ يُرَى لِبِكْرِ الـزَّمَانِ

[1]- تاريخ الأدب العربي- أحمد حسن الزيات ، دار الثقافة ، بيروت ، ط – 26 ،ص: 300

[2] المتنبي – محمود محمد شاكر، ص:4

كَأَنَّ مِنْ نَفْسِهِ الكَبيرةِ فِي جَيشٍ وَفِي كِبرِيَاءِ ذِي سُلطَانِ[1]

آراء النقاد في شعره:

إن المتنبي شاعر من شعراء المعاني وفق بين الشعر والفلسفة وجعل أكثر عنايته بالمعنى وأطلق الشعر من القيود التي قيد بها أبو تمام وشيعته وخرج به عن أساليب العرب التقليدية فهو إمام الطريقة الابتدائية في الشعر العربي بالحِكَم والأمثال واختص بالإبداع في وصف القتال وإجادة التشبيه وحسن التخلص وصحة التقسيم وأخص ما يميز المتنبي بروز شخصيته في شعره وصدق إيمانه برأيه[2]. وكما ذُكر من قبل أنه شاعر يحب الإبداع باضطراب طبيعته وتلون مزاجه وحرصه على المكانة العالية، فكسر ربقة التقليد ووضع عنه الأغلال التي كانت على الشعرالعربي، فتوسع في المعاني واستخدم البديع وفتح نوافذ الابتكار وتتبع آثار أبي تمام في الشعرالذي دخل في مجال الابتكار من قبله.

أبو فراس الحمداني:

وأما أبوفراس الحمداني فقد ولد في موصل ويعود بنسبه إلى بني تغلب القبيلة العربية المشهورة، وهو من الأمراء الفرسان الطموحين، ولد سنة 320هـ وتوفي سنة 357هـ، وكانت الدولة العباسية في طريق الإنحلال آنذاك حيث سيطر العنصر الشعوبي من الفرس والأتراك على مقدرات الدولة وأزمة سلطتها* وعاش أبو فراس في بلاط ابن عمه سيف الدولة الملك الحمداني في مدينة

1- معاهد التنصيص على شواهد التلخيص، الشيخ عبدالرحيم بن أحمد العباسي، الناشر: عالم الكتب- بيروت، 1367هـ: 31 /1

* قد ظهر العنصر الشعوبي في المجتمع العربي الخالص عند اختلاط الأمم الأجنبية بالعرب فبدأ الجيل الجديد، وإن كان آباؤهم من العرب ولكن أمومتهم الفارسية أو التركية أو الرومية ما أنبتت لديهم العصبية العجمية وكانوا يطعنون تاريخ العرب وآثارهم كما صرح بذلك الجاحظ في البيان والتبيين، دار الصعب- بيروت، ص: 200.

2-المرجع السابق، : 1/ 30

حلب فخصه هذا بعطف خاص لما رأى فيه من مخائل النجابة وبوادر الشجاعة، وكان له منزلة عالية في بلاطه كأمير للجيش وفارس، وكانت له صلة قرابة بالأمير سيف الدولة الحمداني، وقد تحقق أمل سيف الدولة بابن عمه فنشأ هذا فارسا مقداما وشاعرا مبدعا يهوي الحب والمغامرة في سبيل المجد كما يهوي الشعر ويبدع فيه ويخلص لابن عمه فيحمي له مملكته ويؤدب القبائل التي تثور على سلطانه فهو يقول :

وَكُنَّا كَالسِّهامِ إذا أَصَابَتْ مَرَامِيهَا فَرَامِيهَا أَصَابَا

وَلَمَّا اشْتَدَّتِ الْهِيجَاءُ كُنَّا أَشَدَّ مَخَالِبًا وَأَشَدَّ نَابَا

كان فارسا مغوارا في الحرب لا تلين له قناة ولا يعرف للهزيمة طريقا وقد أبلى بلاء بطوليا في محاربة البيزنطين كما كان شاعرا وناقدا موهوبا في ندوات الأدب وقد تعرض لكثير من شعراء عصره ونابغة الشعر العربي المتنبي فنقده وناظره مرارا حتى أن هذا كان يتحاشى جانبه ويتجنب الاجتماع معه في مجلس واحد خاصة وأنه ابن عم الملك ومن المقربين إليه ولكن أيام الحروب في زمنه زادت بعددها على أيام السلم وقد أسر وعانى الكثير في أسره فكانت هذه المعاناة السبب الأول في خلوده الأدبي كما يقول :

جَرَاحٌ وَأَسْرٌ وَاشْتِيَاقٌ وغُربَةٌ أَحمِـلُ أَنِّي بَعْدَهُ لَحَمُولُ

وَمَا نَالَ مِنِّي الْأَسْرُ مَا تَرَيَانُهُ وَلكِنَّنِي دَامِي الْجَرَاحِ عَلِيلُ

وقيل أسره الروم ونقلوه إلى القسطنطينية وتعذرت المفاداة فلبث في الأسر أربع سنين ظهرت فيها أشعاره الروميات ممتلئة بعواطف الحب والحنين إلى أهله وأحبابه ممثلة ما يكن صدره من لواعج

الشوق لأمه العجوز وابنته الوحيدة، وعوامل الحب لسيف الدولة ولم يزل أبو فراس يعالج مرارة الأسر وحرارة الشوق حتى تنوظر في أمر الهدنة والأسرى فأطلقه الروم بعد أن أكرموه وبجلوه.

وفاته:

لم تمهله المنية أن يسترد ما ذهب من شبابه أيام عذابه فتوفي سيف الدولة وخلفه ولده أبو المعالي ابن أخت أبي فراس فأراد الأمير الشاعر أن يضم إليه مدينة حمص فأبى عليه ذلك أبو المعالي وجرت بينهما معركة قُتل فيها أبو فراس. وقيل أن أبا المعالي كان صبيا وقرغويه –كان من أمراء الترك– وعُيّن لإدارة شئون البلاد يريد السيطرة على العرش ويخاف أبافراس لشجاعته فتورط ضد أبا فراس وأرسل جماعة لاغتياله، فقتلوه([1]).

صفاته وأخلاقه :

عرف أبو فراس بالفروسية والشجاعة والبسالة، ومخائل القائد العسكري، والأقدام، وكان يحب الاشتغال في الحروب والاقتحام في المعارك، وقيل أنه برع في كل فضل ولم يُرى في عصره أفضل منه في الخلق والمكارم وفي حسن ظاهر وباطن وفروسية تامة، وشجاعة كاملة، وكرم مستفيض([2]) كان أبوفراس بطلا أبيا سخيا معجبا بشعره وبنفسه ،كثير الفخر بأصله وبقومه عزوفا عن الشراب والمجون ،فبرئ شعره من كل ذلك وانطبعت أخلاقه فيه وهو القائل :

لَأَنْ خُلقَ الأَنامُ لِحَسوِ كَأْسٍ وَمِـزْمَـارٍ وَطَنْبُورٍ وَعُــودِ

فَلَمْ يُخْلَقْ بَنُـو حَمْدَانِ إِلَّا لِمَجْدٍ أَو لِبَأْسٍ أَوْ لِجُودِ([3])

[1]- نشوار المحاضرة وأخبار المذاكرة، أبو علي المحسن بن علي التنوخي البصري، ط: 1، دار الكتب العلمية- بيروت، 2004م، 1/ 150

[2]- المرجع السابق، 1/ 150

[3]- ديوان أبي فراس الحمداني، محمد عبدالقادر مايو، ص: 115

وعرف بأبي فراس ببسالته وشجاعته مثل الأسد، كما قيل: " أبو فراس هو كنينة الأسد، فَرَسَ الأسد فريسته يفرسها فرسا وافترسها: أي دق عنقها، وبه سمي أبو فراس بن حمدان، أخو سيف الدولة بن حمدان، وكان ملكا جليلا وشاعرا مجيدا.([1]) وكان له منزلة كبيرة كأمير الجيش وفارس مغوار، وكان له صلة قرابة بالحاكم سيف الدولة الحمداني ولكن جميع الحيثيات العالية لا تمنعه عن الخوض في المعارك ومحاربة الأعداء، لا سيما أنه كان فارسا قبل أن يكون شاعرا، فالفروسية كانت صفة لازمة لشخصيته ومن الأغلب أن فروسيته سبقت شعره، فليس بمستغرب أن يأتي بتمثيل صادق لمواقف القتال في شعره وتظهر فيه قوة الاتصال بالحرب ولا تخلو حياته المختصرة عن المعارك المتتابعة ضد الأعداء.

شعر أبي فراس:

شعر أبي فراس يدل بوضوح على شخصية الشاعر وهو أبيّ النفس، شجاع، كريم، وطني، فالعاطفة هي ما تنضح من شعره وخصوصا في الروميات، وهي القصائد التي نظمها في أثناء أسره والتي تطالعنا فيها العاطفة الجياشة والإحساس الصادق والتصوير الدقيق والحزن والألم وذلك ما خلد ذكره إلى الأبد.([2])

وقيل شعر أبي فراس على مثال الشعر القديم متانة وأسلوبا إلا أن عليه رواء الطبع وسمة الظرف وعزة الملك ولم تجتمع هذه الخلال قبله إلا في شعر عبد الله ابن المعتز وكان الصاحب بن عباد يقول،"بدئ الشعر بملك وختم بملك - يعني امرأالقيس وأبا فراس . وقد تصرف هذا الشاعر بأغلب فنون الشعر، فأجاد إلا أن منزلته في الفخر والاستعطاف والعتاب أعلى ورومياته أدل

[1]- حياةالحيوان الكبرى، كمال الدين محمد موسى الدميري، دار الكتب العلمية- بيروت، 1424هـ 2/ 323

[2]-المرجع السابق، ص: 304

وأجل على فضله.[1] ولكونه فارسا مغوارا ومقاتلا في درجة عالية، يتأثر بالخصال التقليدية أكثر بنسبة المتنبي، لأن الفروسية والحماس والغيرة تُعَدّ في العصر الجاهلي من أكرم الصفات، وكذلك عنده، فلذا أبو فراس تابع فيها الشعراء الجاهليين كما هو يقول:

إِنَّا لَنَرْمِي الْجَهْلَ بِالْجَهْلِ مَرَّةً إِذَا لَمْ نَجِدْ مِنْهُ عَلى حَالَةٍ بُدَّ[2]

قد يظهر فيه عزم أبي فراس لدفع الأعداء وردّه بالجهل، فهذه فكرة خالصة للعصر الجاهلي، كما يقول عمرو بن كلثوم في معلقته الشهيرة :

أَلَا لَا يَجْهَلَنْ أَحَدٌ عَلَيْنَا فَنَجْهَلْ فَوقَ جَهْلِ الْجَاهِلِينَا[3]

كما يظهر من هذا البيت أن أبا فراس قد أخذ منه، مع اختلاف قليل في ترتيب الكلمات وأضاف بعضها ولكنه قدم فيها فكرة متشابهة. وكذلك الحسام الهندي من أبرز الشعائر التقليدية التي ذكرها كثير من الشعراء الجاهليين في كلامهم لصلابته، وقطعه، ومتانته، ولاسيما أنه كان من خير الأسلحة وأحسن آلة القتال آنذاك، ولا يخلو ديوان من دواوين الشعراء الجاهليين من ذكر الحسام المهند إلى أن صار ذكره تقليدا يتبع، كما يقول طرفة بن العبد في وصف المهند:

وَظُلْمُ ذَوِي الْقُرْبَى أَشَدُّ مَضَاضَةً عَلَى الْمَرْءِ مِنْ وَقْعِ الْحُسَامِ الْمُهَنَّدِ[4]

---

[1]-المرجع السابق .

[2]- ديوان أبي فراس الحمداني، بشرح نخلة قلفاط، الناشر، مكتبة الشر- بيروت، 1910م، ص: 46

[3]- ديوان عمرو بن كلثوم، شرح وتحقيق: الدكتور إميل بديع يعقوب، الناشر: دار الكتاب العربي، 1411هـ ، ص: 78

1- ديوان طرفة بن العبد، شرح و تقديم: مهدي محمد ناصرالدين، الناشر: دار الكتب العلمية- بيروت، 1423هـ، ص: 27

وتابعها عدة من الشعراء الذين جاءوا من بعدهم. وأما العصر العباسي الثاني الذي عاش فيه أبو فراس فقد تطورت الآلات الحربية كما نشاهد التطور والارتقاء في جميع أصناف العلوم والفنون والصنائع، فلا بد في سلاح الحرب، ولكن أبا فراس تابع الشعراء الجاهليين في هذه السمة التقليدية ما يدل على الطابع التقليدي في شعره حيث يقول:

وَإِنْ حَارَبُوْا كُنتُ الْمَجَنَّ أَمَامَهُمْ وَإِنْ ضَارَبُوا كُنتُ الْمُهَنَّدَ وَالْيَدَا[1]

ويقول أيضا:

وَقَدْ حَطَّمَ الْخَطِّيُّ وَاخْتَرَمَ الْعَدَى وَفُلَّلَ حَدُّ الْمُشْرَفِيِّ الْمُهَنَّدِ[2]

وفي هذا البيت ذكر أبو فراس "الخطي" الرمح الشهير في العصر الجاهلي- مع ذكر المهند، ويقول أيضا:

يُطَاعِنُ عَنْ أَعْرَاضِكُمْ بِلِسَانِهِ وَيَضْرِبُ عَنْكُمْ بِالْحُسَامِ الْمُهَنَّدِ[3]

ولكنه مع الصفات التقليدية تلمح في شعره بعض آثار التجديد والابتكار، وإن كان قليلا، تدل على التغيير الفكري عند بعض الشعراء لذلك العصر وكذلك عند أبي فراس وبخاصة وهو يتأثر بفكرة الجهاد الإسلامي أكثر بنسبة الشعراء الآخرين وهذه السمة تغلب على أبياته كما هو يقول:

لِمَنْ جَاهَدَ الْحُسّادَ أَجْرُ الْمُجَاهِدِ وَأَعْجَزُ مَا حَاوَلتُ إِرْضَاءَ حَاسِدِ[1]

2- ديوان أبي فراس الحمداني، تقديم و شرح: عبد القادر محمد مايو، الناشر: دار القلم العربي- سورية، 1420هـ، 1999م، ص: 89

[2]- ديوان أبي فراس الحمداني، نخلة قلفاط، ص: 33

[3]- ديوان أبي فراس الحمداني، عبد القادر مايو، ص: 100

وقد توضحت هذه الظاهرة في أبياته عندما ذكر المعارك مع الجيش الرومي ما يدل أنه اقتبس من القرآن عندما يذكر الجهاد والمجاهدين، فنرى فيه صورة ممثلة للمجاهد الإسلامي في القرون الأولى، ولا سيما أنه استلهم من القرآن الكريم وكما يقول في بيت آخر يمدح سيف الدولة على إنفاق أمواله في سبيل الله ولنصرة الدين المتين فيقول:

مَنْ كَانَ أَنْفَقَ فِي نَصْرِ الْهُدَى نَشَبَا فَأَنْتَ أَنْفَقْتَ فِيهِ النَّفْسَ وَالنَّشَبَا[2]

والنشب ما يقتنى من العقار والمال. قد مدح أبو فراس سيف الدولة لمشاركته في الحرب ضد الروميين بأمواله ونفسه، كما يوجد التحريض من الله تعالى في القرآن الكريم: (**يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوْا هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلى تِجَارَةٍ تُنْجِيكُمْ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ. تُؤْمِنُونَ بِاللهِ وَرَسُوْلِهِ وَتُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللهِ بِأَموَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ**)[3] ولما أسر بأيدي الروم وطال عليه الأسر، أرسل إلى سيف الدولة من السجن يحثه على دفع الفدية إلى الروميين ليفتدي به قائلا:

فَإِنْ لَمْ يَكُنْ وُدٌّ قَدِيْمٌ نَعُـدُّهُ وَلَا نَسَبٌ بَينَ الرِّجَالِ قِرَابُ

فَأَحْوَطَ لِلْإِسْلَامِ أَنْ لَايُضِيعَنِي وَلِيَ عَنكَ فِيهِ حَوطَةٌ وَمَنَابُ[4]

ففيه حث كبير لسيف الدولة يستعين هو بفكرة الجهاد الإسلامي مخاطبا سيف الدولة إن لم ترع الود القديم بيننا ولا القرابة، فادخرني للإسلام الذي يجاهد أنا وأنت من أجله. وقال أيضا:

---

[1]- المرجع السابق: ص: 107

[2]- ديوان أبي فراس الحمداني، عبد القادر مايو، ص: 30

[3]- سورة الصف، الآية:

[4]- ديوان أبي فراس الحمداني، قلفاط، ص: 40

إِنَّا إِلَى اللهِ، لَمَّـا نَابَنَـا وَفِي سَبِيلِ اللهِ خَيرُالسَّبِيلِ[1]

وفي مكان آخر قال مادحا الغزاة في سبيل الله:

أَيُّهَا الْغَازِي الَّذِي يَغْزُو بِجَيشِ الْحُبِّ جِسْمِي مَا يَقُومُ الْأَجْرُ فِي غَزْوِكَ لِلرُّوم بِإِثْمِيْ[2]

ويُلاحظ في شعره تأثير القرآن الكريم حيث قال:

كَانَ قَضِيباً لَهُ انْثِنَاءُ وَكَانَ بَدْرًا لَهُ ضِيَاءُ

فَـزَادَهُ رَبُّـهُ عِـذَارًا تَمَّ بِهِ الْحُسْنُ وَالْبَهَاءُ

كَذَلِكَ اللهُ كُلَّ وَقْتٍ يَزِيدُ فِي الْخَلْقِ مَا يَشَاءُ [3]

وقال الله تعالى في القرآن الكريم(...**يَزِيْدُ فِي الْخَلْقِ مَا يَشَاءُ إِنَّ اللهَ عَلَى كُلِّ شَيءٍ قَدِيْرٌ**)[4]

وقال أيضا:

ألله يعلـم ما لقيـ ـت من الهوى وكفى بعلمه

وقال الله تعالى في القرآن الكريم: (**وَكَفَى بِاللهِ عَلِيمًا**)[5] وقال الله تعالى في آية أخرى:(**وَكَفَى بِهِ بِذُنُوبِ عِبَادِهِ خَبِيرًا**)[6] وهذا التشابه يسمى في البلاغة " الاقتباس" وقال أبو فراس:

---

[1]- ديوان أبي فراس الحمداني، عبد القادر مايو، ص: 270

[2]- شرح ديوان أبي فراس، ص:187

[3]- شرح ديوان أبي فراس الحمداني، عبد القادر مايو، الناشر: دار مكتبة الحياة بيروت، ص: 216

[4]- سورة الفاطر- 1

[5]- سورة النساء- 70

[6]- سورة الفرقان - 58

أَرَى المَعَالِي، إِذْ قَضَى نَحْبَهُ، تَبْكِي بُكَاءَ الْوَالِهِ، الثَّاكِلِ[1]

وقال الله تعالى: (**فَمِنْهُمْ مَنْ قَضَى نَحْبَهُ وَمِنْهُمْ مَنْ يَنْتَظِرُ**)[2]

وقال أبو فراس أيضا:

اَلْحَمْدُ لِلّهِ حَمْدًا دَائِمًا أَبَدًا أَعْطَانِي الدَّهْرُ مَا لَمْ يُعْطِهِ أَحَدًا[3]

قد استعمل أبو فراس في شعره جملة حمدا لله تعالى ما يدل على التأثير القرآني في شعره، وتبدأ عدد من السور القرآنية بحمد الله تعالى، مثل قوله تعالى: (**اَلْحَمْدُ لِلّهِ الَّذِيْ أَنْزَلَ عَلى عَبْدِهِ الْكِتَابَ وَلَمْ يَجْعَلْ لَهُ عِوَجًا**)[4] وقال الله تعالى: (**اَلْحَمْدُ لِلّهِ الَّذِي خَلَقَ السَّموَاتِ وَالْأَرْضَ**)[5]وقال الله تعالى: (**اَلْحَمْدُ لِلّهِ الَّذِي لَهُ مَا فِي السَّموَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَلَهُ الْحَمْدُ فِي الْآخِرَةِ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْخَبِيْرُ**)[6] قد توضح بهذا البيت اتصال أبي فراس بالقرآن، حيث إنه استعمل الكلمات القرآنية في أشعاره.

سماته الشخصية:

إنه كان صادق القول في الشعر، كان جريئا، شجاعا، فارسا مغوارا. كلما أنشد الشعر تظهر فيه المشاعر الحقيقية من الشجاعة الخارقة التي لا تصنّع فيه ولا تكلف، لأنه قاتل الأعداء من الروم والمحاربين ضد عرش سيف الدولة مما زاد قوة البيان والتأثير العاطفي. مع أن شعره يخلو من

---

[1]- شرح ديوان أبي فراس، ص: 151

[2]- سورة الأحزاب- ص: 23

[3]- شرح ديوان أبي فراس، ص: 194

[4]- سورة الكهف- 1

[5]- سورة الأنعام- 1

[6]- سورة السبأ- 1

التعمق الفلسفي مثل المتنبي ولكنه ملئ بالحماسة والقوة وعواطف المقاتل الجرىء الذي خاض المعارك والحروب بدون تأمل، فأشعاره هي عواطفه الداخلية القوية لها تأثيرفي القلوب، فحسبه ما قيل في يتيمة الدهر:" كان فرد دهره، وشمس عصره، أدبا وفضلا، وكرما ونبلا، ومجدا وبلاغة وبراعة، وفروسية وشجاعة، وشعره مشهور سائر بين الحسن والجودة، والسهولة والجزالة، والعذوبة والفخامة، والحلاوة والمتانة، ومعه رواء الطبع، وسمة الظرف، وعزة الملك."[1]

الابتكار:

الابتكار هو الشئ الذي لا نظير له من قبل، ويُستعمل أيضا في معنى الجدة، والتجديد، والإبداع، والاختراع. ولا تخلو الحياة الإنسانية عن الابتكار والاختراع في كل زمن وتحت كل ظروف، ونراه في المجالات العلمية والفنية كعلم الطبيعة، والكيمياء، والفلك، والجيولوجيا، والفيزياء، ترتقي كل يوم بالأعمال المبتكرة، فهناك إيجاد أشياء في مجال التكنولوجيا، وكذلك الابتكار في الأدب يلعب دورا هاما في تنشيط الأعمال الأدبية ومسايرة العصر الحديث، ودائما يتأثر الأدب بتيارات العصر ويتطور، وكذلك جميع الاختراعات والايجادات قد بقي وجودها بالابتكار كما تحل كل سنة ألوان من الموديلات الحديثة في المحلات التجارية من الماكينات والحافلات والسيارات والطائرات والملابس من الطراز الجديد تجذب عيون الناس إليها، فلا منازع أن الابتكار ملأ الحياة الإنسانية بالحيوية والنشاط بتوفير شتى الآلات والتسهيلات للإنسان، وكذلك يُرى الابتكار في الانتاجات الأدبية ومجال الشعر.

1- يتيمة الدهر، لأبي منصور الثعالبي، الشرح و التحقيق: الدكتور مفيد قميحة، دار الكتب العلمية- بيروت، 1403ه، ص: 58

معنى الابتكار لغويا:

في المعجم الوسيط: ابتكر الشيء: ابتدعه غير مسبوق إليه[1] وفي تاج العروس: ابتكر: إذا أكل باكورة الفاكهة[2] وفي تهذيب اللغة: ابتكر إلى الجمعة: أدرك أول الخطبة،[3] وفي تاج العروس: ابتكرت المرأة: ولدت ذكرا في الأول،[4] وفي القاموس المحدث: ابتكار: ابتداع (innovation, fashioning, designing, invention)

والابتكار له صلة الترادف بالإبداع وفي تاج العروس: أبدع الشاعر: أتى بالبديع من القول المخترع على غير مثال سابق.[5]

التعريفات المختلفة للابتكار:

وقال عالم النفس الانجليزي تشارلز سبير مان(Charles Edward Spearman): أما الابتكار فهو قدرة تؤدي إلى التجديد في الأفكار والأداء، وهو يربط بالذكاء ويتأثر بالنشأة والبيئة".[6] ويرى سبيرمان أن هناك علاقة ما بين الذكاء والابتكار وهذا ما تميل إليه وتؤيده مشاهدات الممارسين، والابتكار قدرة تؤدي إلى التجديد في العلم والأداء والفنون والأفكار. ويرى بعض العلماء " أن الابتكار هو المقدرة على تطوير فكرة أو عمل أو تصميم أو أسلوب أو

---

[1]- المعجم الوسيط . ج/1، مجمع اللغة العربية، ط:2، دار الأمواج- بيروت، 1987م

2- تاج العروس من جواهر القاموس ، المؤلف: محمد بن محمد بن عبدالرزاق الحسيني، أبو الفيض، الملقب بمرتضى، الزبيدي، الناشر: داراالهداية- القاهرة، (بدون التاريخ)، ص: 246

[3]- تهذيب اللغة، أبو منصور الأزهري، تحقيق: محمد عوض مرعب، دار إحياء التراث العربي- بيروت، 1983م، 2/ 382

[4]- تاج العروس: 10/ 346

[5]- المرجع السابق: 20/ 311

[6] - عنوان الشبكة: byona kenanaonline.com

أي شيء آخر وبطريقة أفضل وأيسر وأكبر استخداما."[1] ثم فرّقوا بين الابتكار والاختراع فرقا دقيقا "وهناك لبس كبير بين الابتكار والاختراع عند عموم الناس، فالابتكار هو ما أشرنا له سابقا، والاختراع هو إيجاد الفكرة أو التصميم أو الأسلوب من العدم بحيث إنه لم يكن له مثيل من قبل."[2] ولكن يرى بعض العلماء أن الابتكار هو خلق شئ ليس له وجود من العناصر الموجودة بالفعل. والتقليد هو عمل شيء مثل هذا الشيء، والابتكار هو الاختراع- الإتيان بشيء جديد، إذن هناك آراء متنوعة حول تعريف الابتكار.

هل الإبداع من الابتكار؟ الإبداع والابتكار كلمتان مترادفتان ولكن توجد بينهما فروق دقيقة، وقيل في تاج العروس: أبدع الشاعر: أتى بالبديع من القول المخترع على غير مثال سابق،[3] وفي المعجم الوسيط: الإبداع: إيجاد الشيء من عدم فهو أخص من الخلق[4] وفيه أيضا، ابتكر: الشيء ابتدعه غير مسبوق إليه، [5] وكذلك تعطيي أكثر المعاجم المعنى المشترك للابتكار والإبداع إلا أن بينهما فروقا دقيقة لا يعتد بها ونستخدم إحداهما مكان الآخر. وعرف عالم النفس الأمريكي الشهير" كارل روجر" الإبداع وهو يقول،" عملية الإبداع هي عبارة عن ظهور إنتاج ارتباطي جديد في العمل نابعا من الفرد ومن الحوادث ومن الناس." ثم يلخص د. مصطفى العدواني جميع الأقوال." إن عملية الإبداع عملية ذاتية متجددة بمعنى أنها تقدم ما هو جديد و تجدد القديم."[6] فنستطيع القول إن الابتكار والإبداع كلمتان مترادفتان وتسيران معا في

---

[1] - عنوان الشبكة: mawdoo 3.com

[2] - المرجع السابق

[3] - تاج العروس: 20/ 311

[4] - المعجم الوسيط: 1/ 43

[5] - المعجم الوسيط: 1/ 68

[6] - byotna kenanaonline.com

في الأعمال الأدبية ويطبق مفهوم إحداهما على الأخرى مع أن وجود الفروق اللغوية الدقيقة بينهما إلا أنه لا يعتد بها.

الابتكار في شعر العرب

لاجدال في أن الابتكار قد اكتسب قبولا حسنا بين الناس عبر العصور والتفتت إليه الأنظار ومالت إليه الطبائع حيث إنه أحلى للمسامع والقلوب، وكان امرؤ القيس أول من استخدم الابتكار في شعره وكان يعتاد إتيان التشبيهات الجديدة التي ما سمعوا من قبل، فلذا احتل مكانا عاليا بين الشعراء أصبح قائدهم وحاز على لقب أشعر الشعراء وفيه رواية ذكرها الطبراني في المعجم الكبير: "عن عفيف بن معدي كرب عن أبيه عن جده قال: بينما نحن عند رسول الله صلى الله عليه وسلم إذ أقبل وفد من اليمن وذكروا امرأ القيس بن حجر الكندي... فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ذاك رجل مذكور في الدنيا منسي في الآخرة، شريف في الدنيا خامل في الآخرة يجئ يوم القيامة معهم لواء الشعراء يقودهم إلى النار."[1] ويقول الآمدي في الموازنة يصفه بالمبتكر والجديد في شعره:

" وفضل امرؤ القيس لأن الذي في شعره دقيق المعاني وبديع الوصف ولطيف التشبيه وبديع الحكمة، فوق ما استعار سائر الشعراء منه في الجاهلية والإسلام، ولولا لطيف المعاني واجتهاد امرئ القيس فيها وإقباله عليها لما تقدم على غيره ولكان كسائر شعراء أهل زمانه. ألا ترى أن العلماء بالشعر إنما احتجوا في تقديمه بأنهم قالوا هو أول من شبه الخيل بالعصا وذكر الوحش والطير وأول من قال قيد الأوابد الخ. فهل هذا التقديم إلا لأجل معانيه."[2]

---

[1]- المعجم الكبير، أبو القاسم الطبراني، تحقيق: حمدي بن عبد المجيد السلفي، مكتبة العلوم والحكم- موصل، 1404هـ : 18/ 100

[2]- الموازنة للآمدي، (باب في فضل أبي تمام)، تحقيق: السيد أحمد صقر وعبد المحارب، دار المعارف- القاهرة، ص: 96

وكان المتنبي شاعرا مبدعا يُمنح بموهبة الابتكار قدرا كبيرا إذا قورن بالشعراء الآخرين في عصره كما قيل فيه، " هو شاعر الإبداع في وصف مواقف القتال"[1] فلا جدال أنه كان مجدد الشعر الجاهلي في بعض النواحي مثلما يصف بيض الهند في أسلوب جديد يثير انتباه السامع حيث يقول:

تَهَابُ سُيُوفُ الْهِنْدِ وَهِيَ حَدَائِدٌ فَكَيفَ إِذَا كَانَتْ نِزَارِيَةً عُرْبَا[2]

فيه يمدح سيف الدولة مدحا في أسلوب جديد حيث إن الممدوح كان عربيا نزاريا، فانظروا إلى أسلوبه وتوظيفه للصورة التقليدية في شكل جديد ومثل قوله في بيض الهند:

أَ تَحْسَبُ بِيضُ الهِندِ أَصْلَكَ أَصْلَهَا وَأَنَّكَ مِنْهَا؟ سَاءَ مَا تَتَوَهَّمُ[3]

فأنظروا إلى أسلوب المدح يمدح فيه سيف الدولة يجدد التقاليد القديمة ويعرضها في أسلوب مبتكر يثير اهتمام القراء والسامعين.

صور الابتكار:

للابتكار صور عديدة، سأذكر في هذا المكان ما له صلة بهذا البحث:

عرف أن الابتكار هو تجديد القديم واختراع الأفكار الجديدة وتقديم الكلمات والمصطلحات الجديدة، وفي التالي بعض صور الابتكار التي يسهّل به طريق الوصول على مفهومه.

---

[1]- تاريخ النقد الأدبي عند العرب، المؤلف: إحسان عباس، الطبعة الثالثة، 1983م، دار الثقافة- بيروت.

[2]- ديوان المتنبي، محمد خداش، ص: 270

[3]- المرجع السابق، ص: 254

الصورة الأولى: الابتكار في الأشياء التي لم يعمله الآخرون، فمثلا، اشتهر الأمريكان بصناعة السيارات الكبيرة المستهلكة للوقود بشراهة، فتفوق اليابانيون على نظرائهم الأمريكان، وقاموا بتصنيع السيارات الصغيرة ذات الوقود الاقتصادي.

الصورة الثانية: التفكير في الشيء بصورة عكسية يُعَدّ من أسهل الطرق لتوليد فكرة جديدة، ولذلك اقلب تفكيرك في أي شيء ستجد نفسك وصلت إلى فكرة إبداعية, فتقول مثلا، من المعروف المسلّم به أن الطلاب يذهبون إلى المدرسة. اقلب التفكير وفكر في أن المدرسة تأتي إلى الطلاب، وقد تحققت بالفعل هذه الفكرة الإبداعية من خلال الدراسة بالإنترنت والمراسلة وغيرها.

الصورة الثالثة: غير اتجاهك أو انطباعك أو وجهة نظرك، أنظر إلى العزيمة على أنها نصر، وإلى المحنة على أنها منحة، وابعث عما في الانتصار من خلل وتقصير وسلبيات، وإذا حصل لك شيء ما غير جيّد، فكّر في الأشياء الإيجابية التي تعلمتها، وإذا حدث لك انتصار كبير، فكّر في الأشياء السلبية التي حدثت حتى لا تتكرر مرة أخرى، فلا شك في هذا الأمر أن هذه صورة إيجابية للابتكار.

الصورة الرابعة: هو الدمج، أن يدمج عنصران أو أكثر للحصول على فكرة إبداعية جديدة مثل، سيارة+قارب= مركبة برمائية.([1]) ويُستنتج من العبارة السالفة أن الابتكار له عدة أشكال وصور ويحصل على إدراك صحيح إذا طُبّقت هذه الصور على الأعمال الأدبية.

[1]-عنوان الشبكة: www. Elebda 3.com

العصر العباسي – عصر الابتكار:

في العصر العباسي قد تحولت حياة البادية إلى الحياة المترفة والعيشة البسيطة إلى الحضارة الراقية المعقدة وأصبح المجتمع الإسلامي ملتقى الثقافات، فبدأت الثورة على الظواهر التقليدية، فمهدت تلك الظروف طريقا إلى الابتكار، قد ظهرت نزعة الابتكار في الشعر منذ صدر الإسلام حيث يقول مصطفى صادق الرافعي يبين مراحل ظهور الابتكار في الشعر العربي:" قد جاء المخضرمون ولا مزية لهم على شعراء الجاهلية في الاختراع، ثم جاء بعدهم شعراء الصدر الأول من الإسلاميين فزادوا في دلك بعض الزيادة بما مكنتهم منه الحالة الدينية، ثم كانت طبقة جرير والفرزدق والأخطل وأصحابهم ذهبوا في التوليد والإبداع والاختراع مذهبا واضحا، وطرقوا لذلك طريقا سابلة، ثم أتى أبو المحدثين بشار بن برد وأصحابه فنظروا إلى مغارس الفتن ومعادن الحقيقة ولطائف التشبيهات، فأحكموا سبرها وساروا إليها بالفكر الجديد والغريزة القوية، وقد التقى إليهم طرفا العربية في منطقة البداوة الزائلة ومفتتح الحضارة الثابتة، فأصبح شعرهم خلقا جديدا."[1] فلا منازع أن التذوق الشعري قد تغير في ذاك العصر حيث أن الشعراء قاموا بإتيان التشبيهات الجديدة، كما في قول قيس بن الخطيم أحد شعراء العصر العباسي:

وَقَدْ لَاحَ فِي الصُّبْحِ الثُّرَيَّا لِمَنْ رَأَى كَعُنقُودِ مُلَّاحِيَّـةٍ حِـينَ نَوَّرَا[2]

ومثل قول ابن المعتز:

كَأَنَّ عُيُونَ النَّرْجَسِ الْغَضِّ حَولَهَا مَدَاهِنُ دُرٍّ حَشْوُهُنَّ عَقِيقُ

2- تاريخ الأدب العربي، المؤلف: مصطفى صادق الرافعي، المراجعة والضبط: عبد الله المنشاوي، مهدي البحقيري، مكتبة الإيمان- القاهرة، ص: 49

1- أسرار البلاغة في علم البيان، الإمام عبد القاهر الجرجاني، التعليق: السيد محمد رشيد رضا، دار الكتب العلمية- بيروت، ص: 75

وقال أيضا:

قَدِ انْقَضَتْ دَولَةُ الصِّيَامِ وَقَدْ بَشَّرَ سُقْمُ الْهِلَالِ بِالْعِيدِ

يَتْلُـو الثُّـرَيَّا كَفَـاغِرٍ شَـرَّهُ يَفْتَحُ فَاهُ لِأَكْلِ عُنقُودَ [1]

قد بيّن الرافعي مراحل تحول العقلية العربية عبر العصور بتغير البيئة الاجتماعية والثقافية ما أثر في الأصناف الأدبية وبخاصة في الشعر، وظهرت طبقة الشعراء المحدثين الشعراء على الساحة الأدبية الذين ثاروا على الخصائص التقليدية في الشعر العربي صورة عنيفة، على استهلال القصيدة مثلا، قد اتخذه أبو نواس سخرية أن يبدأ القصيدة بالوقوف على الأطلال والبكاء عليها حيث صرح به الدكتور صبحي كبابة واضحا جليا وهو يقول: "إن التجديد الفعلي في الشعر إذا، لم يحدث إلا في العصر العباسي، وسط مناخ جديد، أقل ما يقال عنه: إنه ثورة على كل التقاليد وسبيل إلى أي تطور. فقد كانت ظاهرة الإباحة والإسراف في حرية الفكر وكثرة الازدراء لكل قديم، دينا كان هذا القديم أم خلقا أم سياسة أم أدبا، ظاهرة غريبة مدهشة في هذا العصر."[2] وقال أيضا " فانتصرت، نتيجة لذلك، الحضارة الحديثة في العصر العباسي، وكان انتصارها عاما شمل الحياة المادية والفكرية، فكان لا بد أن يتأثر الأدب أيضا بذلك، ويتغير خطابه"... ففكر العرب المحدثون بطريقة تخالف مخالفة شديدة تفكير العرب القدماء"[3] واتضح من السطور السابقة أن آثار الحضارة الجديدة قد أثّرت في الأذهان والقلوب وقد تغيرت العقلية العربية مع ظهور العلوم والفنون وأمسى الابتكار في الشعر مقبولا بين الناس لأجل ذلك سلك

---

[1] - أسرار البلاغة في علم البيان، الإمام عبد القاهر الجرجاني، ص: 76

3- الخصومة بين الطائيين و عمود الشعر العربي، المؤلف: الدكتور وحيد صبحي كبابة، اتحاد الكتّاب العرب، دمشق، 1997م، ص: 10

[3] - الخصومة بين الطائيين: 9، 10

الشعراء مسلك الإبداع والابتكار ونشأت طائفة المحدثين وظل الابتكار محمودا دائما في عيون الكتاب والأدباء كما تعكس عباراتهم هذه الحقيقة، والرافعي يستحسن الابتكار في الشعر كما يقول، "غير أن الشعر العربي مع هذا كله لم يوف قسطه ولم يبلغ مبلغه في مجاراة هذه النهضة قوة ابتكار وسلامة اختراع وحسن تنوع، لسببين: أنه لا يزال كما كان منذ فسدت اللغة العربية، شعر فئة لا شعر أمة، فهو يوضع للخاصة لا للشعب، ويدور مع الأغراض والحاجات لا مع الطبائع والأذواق، وذلك لو تأملت هو من بعض الأسرار في سمو هذا الشعر وقوة إحكامه وإبداع تنسيقه وجمال توشيحه منذ الدولة العباسية إلى القرن الخامس؟"[1] ويقول ابن جني في امرئ القيس،" أشعر شعراء الجاهلية وأسبقهم إلى ابتكار المعنى ." ويقول أدونيس – المحقق الفرنسي – يصف الابتكار في شعر بشار،" كان بشارا في أساس ابتكار اللغة الشعرية المحدثة، أي في أساس الخروج على الأصول الشعرية القديمة، وقد قيل عنه أنه " أستاذ المحدثين، من بحره اغترفوا، وأثره اقتفوا ." ويقول أيضا،" كان مسلم بن وليد أول من حاول أن يجعل من الشعر إبداعا جماليا بالألفاظ وأول من ألطف في المعاني ورقق في القول."[2] ويقول القلقشندي في مؤلفه يستحسن السرقة الشعرية إذا كانت مبتكرة ويرى أن الأفكار والتشبيهات في الشعر مكرورة ولكن الشي المهم أن الشاعر كيف يعرض هذه الأفكار والتشبيهات في شعره بصورة مبتكرة قائلا،" وأنه لم يبق من المعاني إلا وقد طرق مرارا. وقال في المثل السائر: والصحيح أن باب الابتداع مفتوح إلى يوم القيامة... كقولهم في الغزل:

---

[1] – وحي القلم ، المؤلف: مصطفى صادق الرافعي: 3/ 306

3- الخصومة بين الطائيين وعمود الشعر العربي، المؤلف: الدكتور وحيد صبحي كبابة، الناشر: من منشورات اتحاد الكتب العرب، التاريخ : 1997م، ص:15

عَفَتِ الدِّيَارُ وَمَا عَفَتْ آثَارُهُنَّ مِنَ القُلُوبِ[1]

لا شك أن هذا سرقة المعنى والأفكار من شعر لبيد بن ربيعة من معلقته المشهورة الذي قال فيها:

عَفَتِ الدِّيَارُ مَحَلُّهَا فَمُقَامُهَا بِمِنًى تَأَبَّدَ غَوْلُهَا فَرِجَامُهَا[2]

وكما قال أبو فراس الحمداني:

عَدَاوَةُ ذِي ٱلْقُرْبَى أَشَدُّ مَضَاضَةً عَلَى الْمَرْءِ مِن وَقْعِ الْحُسَامِ الْمُهَنَّدِ[3]

ولكننا إذا نظرنا في كلام شعراء العصر الجاهلي لرأينا طرفة بن العبد البكري يقول مثل هذا البيت،حيث قال:

وَظُلْمُ ذَوِي الْقُرْبَى أَشَدُّ مَضَاضَةً عَلَى الْمَرْءِ مِن وَقْعِ الْحُسَامِ الْمُهَنَّدِ[4]

يبدو فيه أن أبا فراس يحتذيه احتذاء تاما إلا كلمة واحدة، فهذه من الأمثال الشاذة إذا الشاعر يأخذ من شاعر سابق له كل البيت ولم يبتكر شيئا، ولكن الأخذ المستحسن إذا الشاعر قد أخذ منه الفكرة وألبسها المعنى المبتكر الجديد فهذا مستحسن عند النقاد، وهويقول أيضا،"وقد رامه بعض المحدثين فاتضح مع العلم بأن ابتكار المعنى والسبق إليه ليس فيه فضيلة ترجع إلى المعنى، وإنما ترجع الفضيلة فيه إلى من ابتكره وسبق إليه"[5] وهو يرى أن مثل ذلك لا يطلق عليه السرقة من الأول، وإنما يطلق اسم السرقة في معنى مخصوص. ثم يأتي في ذلك المثال من كلام المتنبي،

---

[1]- صبح الأعشى، المؤلف: القلقشدي، دار الكتب المصرية- القاهرة، 1340هـ، ص: 304

[2]- ديوان لبيد بن ربيعة العامري، دار صادر- بيروت، ص: 163

[3]- شرح ديوان أبي فراس الحمداني، ص: 242

[4]- ديوان طرفة بن العبد، شرح و تقديم: مهدي محمد ناصرالدين، دار الكتب العلمية، 1423هـ، ص: 26

[5]- صبح الأعشى، المؤلف: القلقشنددي، ص: 304

قال في مثل السائر: "وهذا من أدق السرقات مذهبا وأحسنها صورة، ولا يأتي إلا قليلا، فمن ذلك قول المتنبي:

وَإِذَا أَتَتْكَ مَذَمَّتِي مِنْ نَاقِصٍ فَهِيَ الشَّهَادَةُ لِي بِأَنِّيَ كَامِلُ

وهذا المعنى استخرجه المتنبي من قول بعض شعراء الحماسة، وإن لم يكن صريحا فيه حيث يقول:

لَقَد زَادَنِي حُبًّا لِنَفسِي أَنَّنِي بِغِيضٌ إِلَى كُلِّ امْرِئٍ غَيرَ طَائِلِ

قال في مثل السائر: والمعرفة بأن هذا المعنى من ذلك المعنى عبر غامض غير متبين إلا لمن أعرق في ممارسة الشعر، وغاص لاستخراج المعاني. قال: وبيان ذلك أن الأول يقول: إن بعض الذي غير طائل إياي قد زاد نفسي حبا إلي، أي قد جمّلها في عيني وحسنها عندي كون الذي هو غير طائل منقصي، والمتنبي يقول : إن ذم الناقص إياه بفضله كتحسين بعض الذي هو طائل نفس ذاك عنده."([1]) فلا منازع أن الشعراء دائما يمدحون بفضل الابتكار وحسن الابتداع حيث إنه نضرة الشعر ورونقه. وكذلك أصحاب أبي تمام يدعون له بابتكار المعاني والغوص فيها والبدائع في البيان بينما معارضوها أخذوا عليه بالسرقة حيث إنه أخذ الأفكار من الآخرين ولكن أصحابه يزعمون أن هذه الصفة من محاسن شعره ومن وجوه الافتخار يفضلونه بها على الشعراء.([2]) الشعر مجال واسع للابتكار والتجديد بالنسبة للفنون الأخرى من التاريخ والقصة والخطابة وغيرها من الفنون، لأن الشاعر ينطلق فكرُه بدون قيد ويطير إلى الأفق البعيد. أما الكاتب أوالأديب، فهو يعيش مع الواقع الموجود على سطح الأرض ولا يكاد يخرج منها، وأما الشعراء فهم قلما يلتزمون

---

[1]- المرجع السابق، ص: 305

3- تاريخ النقد العربي عند العرب، المؤلف: إحسان عباس، الطبعة:4، تأريخ النشر: 1984م، الناشر: دارالثقافة- بيروت - لبنان، ص:164

الواقع عند التشبيه أو الوصف ويهيمون في كل واد ويقولون مالا يفعلون. فإذن رحاب الشعر متسع للابتكار والتجديد، كما يقول الدكتور شوقي ضيف،" وكان الشعر أكثر فلسفة وإبداعا من التاريخ، لأن التاريخ يصور ما حدث والشاعر يصور ما يحتمل حدوثه."[1]

والابتكار قد يكون في الألفاظ أو في المعاني أوفي التراكيب الجديدة أو الإتيان بالتشبيهات النادرة التي لم يأت بها القدماء، وكذلك نرى العمل الابتكاري في كتب المعاجم، في البداية إذا جمع الخليل الكلمات العربية من شتى الوسائل، ثم رتبها بترتيب جديد أول مرة اعتمادا على مخارج الألفاظ من الجهاز الصوتي، وكان من حسن الابتكار لم يعرف لدى العرب من قبل ذلك، ثم يأتي من بعد ذلك في العصور المتلاحقة، فمؤلفو المعاجم رتبوا الألفاظ العربية بترتيباتهم المبتكرة ولم يقلدوه في ذلك الأمر تقليدا جامدا ليسهلوا على الناس التماس الكلمات المقصودة وتزداد رغبة وتداولا بينهم.

وكذلك الابتكار له دور متميز في تقديم الروائع الأدبية القديمة بشكل حديث تعكس فيها مشاكل الحياة العصرية كما ألف نجيب محفوظ سلسلة من إلكتب التي أخذ موضوعاتها من العهد الفرعوني وقدمها بتوظيف جديد يشير فيها مشاكل العصر، فبهذه الأعمال المبتكرة يمثل العصر الذي يعيش فيه. وكذلك نرى الابتكار في الميادين الأخرى في الصرف مثلا قدم ابن جني مصطلح الاشتقاق الأكبر الذى لم يعرف لدى النحويين من قبل ذلك، فهو ابتكار ابن جني الذي أرجعه هو نفسه إلى شيخه علي الفارسي، وهو القائل،" هذا موضع لم يسمه أحد من أصحابنا، غير أن أبا علي- رحمه الله- كان يستعين به ويخلد إليه مع أعواز الاشتقاق الأصغر،

[1]- البحث الأدبي، شوقي ضيف، الناشر: دار المعارف- القاهرة، ط:1، ص: 100

لكنه مع هذا لم يسمه، وإنما كان يعتاده عند الضرورة."[1] يظهر في هذه العبارة حاجة القدماء إلى الابتكار وبخاصة عندما ظهرت العلوم وكثرت الفنون موسعة مجالات البحث والدراسة للطلاب بإثارة رغبة الباحثين إليها، فاستجابوا لمتطلبات العصر، وفتحوا باب الابتكار للتيسير على الناس و ليسيروا مع العصر بسهولة. والشعراء المحدثون في العصر العباسي بدأوا يسلكون مسلك الابتكار في الشعر بالمخترعات والبدائع وسموها البديع، ومن ناحية أخرى كانوا يستفيدون التراث القديم من الشعر الجاهلي، وكان هذا الابتكار من حيث الألفاظ والمعاني والأفكار الجديدة والتشبيه النادر وأتوا بأشياء ما لم يأت بها القدماء. وألف ابن المعتز كتابا على هذا الموضوع سماه "البـديع" وأثبت فيه أن الابتكار ليس دأب المحدثين فحسب، بل كان موجودا في كلام القدماء والقرآن الكريم والحديث النبوي الشريف وأتى بالأمثلة لإثبات قوله.

الابتكار في كلام الله والحديث الشريف:

إن الشريعة الإسلامية تقوم على عمادين كبيرين، هما كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم. والقرآن هو كلام الله تعالى الذي أعجز الناس بأسلوبه الباهر الذي أذهل عقول العرب، وكذلك كان الرسول صلى الله عليه وسلم أفصح العرب كما صرح بذلك في قوله صلى الله عليه وسلم، " أوتيت جوامع القلم" [2]. فالعرب لاحظت في كلامهما الكلمات العديدة التي لا نظير لها من قبل ذلك وأحسوا شعور الانبهار، فالشريعة أعطت الكلمات التي فيها الابتكار على سبيبل المثال الكلمات الجديدة التي استخدمت القرآن الكريم لم تعرف عند العرب بهذه

1- مصطلحات النقد العربي السيماؤي، المؤلف: الدكتور على بوخاتم، الناشر: موقع اتحاد الكتاب العرب .دمشق،2005 م : شبكة الانترنت العنوان www.awu.dam.org.

1- شعب الإيمان، لأبي بكر أحمد بن الحسين البيهقي، تحقيق: محمد بن السعيد بسيوني زغلول، دارالكتب العلمية- بيروت، ط: 1410هـ

المعاني والشريعة الإسلامية ألبستها معان جديدة مثل الصلاة والزكوة والنكاح والطلاق واللعان والصوم والتيمم والقرآن ثم السورة والركوع والمنزل وغيرها فهذه الأشياء رحبت بها العرب ترحيبا حارا وأتى القرآن بالتشبيهات الجديدة وفي الآية: (**طَلْعُهَا كَأَنَّهُ رُؤُوسُ الشَّيَاطِينِ**)[1] وكذلك الحديث النبوي الشريف توجد فيه الأمثلة الكثيرة للابتكار مثل الوضوء والمسح والوهن ثم اصطلح الفقه الإسلامي الكلمات الكثيرة إذ انكب الفقهاء الكرام على تدوين أحكام الشريعة الإسلامية بالتفصيل لأمور الحياة اليومية ما يدل أن الحياة الإنسانية لا تخلو من الابتكار. من أجل ذلك أخذ الدكتور طه حسين على الأدباء والمؤلفين الذين يهملون الابتكار في النص نقده قائلا:

"وأما من ناحية القيمة فيكفي أن تلقي نظرة على ما وضع من كتب في دراسة الشعر الجاهلي وما يدور عليه من فصول في كتب تاريخ الأدب العامة لترى أن مؤلفي هذه الكتب والفصول قد اصطلح معظمهم على عدد من الأقوال يتناقلونها و يرددونها فلا يأتون فيها إلا بالمعاد المكرور ولا يعني أحدهم بتمحيصها، واتفقوا على موضوعات معينة يتعاورونها ويحبسون اهتمامهم عليها دون أن يزيد عليها أحدهم شيئا أو يأتي فيها بجديد أو يمتحن الآراء السائدة بمعيار الشعر الجاهلي نفسه ليرى نصيبها من الصحة أو الخطأ ومن الدقة أو التخليط." [2]

الفرق بين الابتكار والتقليد فرق كبير. فالابتكار هو إبداع الجديد، أما التقليد فهو المطابقة والمماثلة كالنسخة الواحدة من الكتاب المطبوع عندما يتطابق مع بقية النسخ الأخرى.هذا من ناحية الفرق بين الابتكار والتقليد, أما من ناحية القيمة فالتقليد مظهر الثبات وعدم الحركة ،

---

[1] – الصافات، رقم الآية: 64

[2] –الشعر الجاهلي – منهج في دراسته وتقويمه، الدكتور محمد النويهي، الدار القومية للطباعة والنشر، القاهرة، ج:1، ص: 7

بينما الابتكار مظهر الحيوية والنشاط[1] . وفي رأي ،" نحن لا نتصور كيف تكون الحياة لو سارت على وتيرة واحدة وأن كل ما ترى، تراه على صور مماثلة ؟ إنها بلا شك تصبح الحياة مملة أو على الأقل تصبح الحياة فقدت بريقها وحيويتها. كذلك الأحوال أطلقت على مجال الأدب لو أن الأدب أصبح مملوءا بالتشبيهات المكرورة والأفكار الجامدة ملّت عنه الطبائع أو على الأقل يصبح الأدب فاقدا لبريقه وحيويته. فلذلك نجد الشعر العباسي مملوءا بالحيوية مثل قول بشاربن البرد :

كَأَنَّ مُثَارَ النَّقْعِ فَوقَ رُؤُوسِنَا وَأَسْيَافَنَا لَيلٌ تَهَاوَى كَوَاكِبُهْ[2]

ومن الطبيعي قد تأثر المتنبي وأبو فراس بعادات العصر وعلومه وثقافاته تأثرا كبيرا ويلاحظ طالب الأدب العربي خلال دراسته هذا التأثر في كلامهما ويلمح فيه لون الابتكار جليا واضحا ما يدل على سمات العصر وتطوير الشعر العربي، وكذلك التشبيهات الجديدة النادرة عند ابن المعتز وأبي نواس ومسلم.ورد الابتكار في شعر العرب عندما تغيرت البيئة الاجتماعية والثقافية في المجتمع العربي الخالص وتأثر الآداب الإسلامية بأدب الأمم الأخرى وبخاصة الأمة الفارسية، لا سيما في العصرالعباسي ظهر الإعراض بين الناس عن تقاليد العصر الجاهلي في الشعر وظهر الابتكار في كلام الشعراء المحدثين. فالبديع مثلا من الابتكار الذي سلك به الشعراء في العصر العباسي كما ذكره ابن المعتز في مؤلفه " كتاب البديع" وصرح بذلك أن هذا الابتكار يوجد في كلام المتقدمين إلا أنه قليل وأما المتأخرون فأكثروا في البديع فلذلك سمي هؤلاء الشعراء بالمحدثين كما يقول: " أن بشارا ومسلما ومن تقيلهم وسلك سبيلهم لم يسبقوا إلى هذا الفن ولكنه أكثر

---

[1]-www. Akhbaralyom. Com-

[2]- يتيمة الدهر، للثعلبي، ص: 165

في أشعارهم فعرف في زمانهم حتى سمي بهذا الاسم فأعرب عنه ودل عليه."[1] ثم يأتي ببعض الأمثلة من القرآن الكريم والحديث الشريف وأقوال الصحابة والتابعين لإثبات موقفه قائلا، "من الكلام البديع قول الله تعالى(**وَإِنَّهُ فِي أُمِّ الْكِتَابِ لَدَينَا لَعَلِيٌّ حَكِيمٌ**). ومن الشعر البديع قوله: ...**وَالصُّبْحُ بِالْكَوكَبِ الدُّرِّيِّ مَنْحُورٌ**. وإنما هو استعارة الكلمة لشيء لم يعرف بها من شيء قد عرف بها مثل "أم الكتاب" ومثل "جناح الذل" ومثل قول القائل: الفكرة مخ العمل، فلو كان قال "لب العمل" لم يكن بديعا. وقال الله تعالى (**هُوَالَّذِي أَنزَلَ عَلَيكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُّحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ**) وقال الله تعالى (**وَاخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ**) وقوله تعالى: (**وَاشْتَعَلَ الرَّأْسُ شَيبًا**) وقوله تعالى: (**أَوْ يَأْتِيهِمْ عَذَابُ يَومٍ عَقِيمٍ**) وقوله تعالى: (**وَآيَةٌ لَّهُمُ اللَّيلُ نَسْلَخُ مِنْهُ النَّهَارَ**)"[2]. فالكلمات "أم الكتاب" و"جناح الذل" و" واشتعل الرأس" و"يوم عقيم" و" نسلخ منه النهار" لم تعرف عند العرب، ولكن لا يقال عن كلام الله أنه مبتكر بل هي صيغ تعبيرية لم يعهدها العرب من قبل. وقال النبي صلى الله عليه وسلم،" خيرالناس رجل ممسك بعنان فرسه في سبيل الله كلما سمع"هيعة " طار إليها"[3]. وقوله صلى الله عليه وسلم: "لا ترسلوا فواشيكم وصبيانكم إذا غابت الشمس حتى تذهب فحمة العشاء فإن الشياطين تنبعث إذا غابت الشمس حتى تذهب فحمة العشاء.[4]" وقوله صلى الله عليه وسلم: "دبّ إليكم داء الأمم قبلكم؛ الحسد والبغضاء، والبغضاء هي الحالقة، لا أقول تحلق الشعر ولكنها تحلق الدين. والذي نفسي بيده لا تدخلوا الجنة حتى تؤمنوا، ولا تؤمنوا حتى تحابّوا، ألا

---

[1]- كتاب البديع -عبدالله ابن المعتز، دار المسيرة- بيروت، 1982م، ص:1

[2]- المرجع السابق

[3]- المعجم الكبير، المؤلف: أبو القاسم الطبراني، مكتبة العلوم والحكم- الموصل، 1404هـ: 10/ 315

2- الصحيح المسلم، لمسلم بن الحجاج القشيري، باب: الأمر بتغطية الإناء وإيكاء السقاء، وإغلاق الأبواب، وذكر اسم الله عليها، وإطفاء السراج، والنار عند النوم، وكف الصبيان والمواشي بعد المغرب، رقم الحديث: 3757

أخبركم بما يثبت ذاك لكم، أفشوا السلام بينكم.[1]"ففي هذه الأحاديث كلمات "هيعة" و"فحمة العشاء" و"حالقة الشعر" و"إفشاء السلام" الكلمات المبتكرة عند العرب لم تسمعها من قبل فهي من الابتكار في الحديث النبوي الشريف. وكذلك الابتكار في كلام الصحابة رضوان الله عليهم كما في قول علي ابن أبي طالب رضي الله تعالى عنه في كتابه إلى ابن عباس وهو عامله على البصرة " **أَرْغِبْ رَاغِبَهُمْ وَاحْلُلْ عُقْدَةَ الْخَوفِ عَنْهُمْ**"[2] ففي هذا الكلام " واحلل عقدة من الخوف من الابتكارالذي لانظير له في قول العرب.

الابتكار في منظور قضية السرقات:

إن قضية السرقات التي تعرضت للنقاش الشديد في حلقات النقد والجرح منذ الزمن القديم، وما زالت عرضة للرد والقبول، قد تجلت في منظورها حقيقة الابتكار واضحة جلية. والنظرة العامة حولها أن المعاني قد استنفدت- استعملها الشعراء الأقدمون- فالذين جاءوا من بعدهم فما بقيت لهم إلا التشبيهات المكرورة والمعاني المستنفدة التي تمل منها الطبائع وتسئم الآذان، حتى حان عصر المحدثين الذين لم يرضوا بالاتباع الأعمى للقدماء، فسلكوا مسلك الإبداع والابتكار، فأخذوا الكلمات نفسها وألفوها بتأليف حسن جميل عادت رونقها حيث أنها أحلى على المسامع و لها مورد في القلوب، فمن كبار النقاد إحسان عباس يلقي عليها الضوء ودور الابتكار فيها قائلا: " ثم تطور الشعور بالحاجة إلى البحث في السرقات خضوعا لنظرية — ربما كانت خاطئة- وهي أن المعاني قد استنفدها الشعراء الأقدمون، وإن الشاعر المحدث قد وقع في أزمة، تحد من قدرته على الابتكار، ولهذا فهو إما أن يأخذ معاني ممن سبقه أو يولد معنى جديدا من معنى سابق، فلهذا يتفاوت المحدثون في قدرتهم من هذه الناحية، فمنهم

---

[1]- مسند أبي داؤد الطيالسي، لسليمان بن داؤد الطيالسي، دار المعرفة- بيروت، 1419هـ: 1/ 159

[2]- كتاب الصناعتين لأبي هلال العسكري، علي محمد البنجاوي محمد أبي الفضل إبراهيم، المكتبة العصرية-بيروت،هـ1406

من يقصر عن المعنى السابق، ومنهم من يحتذيه، ومنهم من يزيد عليه، ومنهم من يولد معنى لم يخطر للأول، وبذلك حل التوليد محل الابتكار."[1] تظهر من العبارة السابقة أن المعاني قد نفدت على أيدي الشعراء الأقدمين والتشبيهات مكرورة، ويأخذ كل شاعر معنى واحدا من السابقين ولكن يتفاوت شاعر دون شاعر في صياغة الألفاظ وروعة الأسلوب وبراعة التصوير ويؤلف شاعر تأليفا رائعا جميلا يظهر فيه الابتكار، ويقول ابن الأثير: " وهذا من أدق السرقات مذهبا وأحسنها صورة ولا يأتي إلا قليلا، فمن ذلك قول بعض شعراء الحماسة:

لَقَدْ زَادَنِي حُبًّا لِنَفسِي أَنَّنِي بَغِيضٌ إِلَى كُلِّ امْرِيءٍ غَيرِ طَائِلِ

أخذ المتنبي هذا المعنى و استخرج منه معنى آخر غيره إلا أنه شبيه به:

وَإِذَا أَتَتْكَ مُذَمَّتِي مِنْ نَاقِصٍ فَهِيَ الشَّهَادَةُ لِي بِأَنِّي كَامِلٌ

فيبدو من السطور السابقة أن السرقات قد عمت في كلام الشعراء آنذاك، حيث يذكر الآمدي سرقات أبي تمام يبرر له ويذكر كثرة مآخذه من أشعار الناس ومعانيهم ما أدت إلى المخترعات الكثيرة والبدائع المشهورة في كلامهم.[2] وقد أخذوا من الأقدمين معانيهم وألبسوها لباسا جديدا. كما أخذ المتنبي تشبيه بيض الهند وعرضها بأسلوب جديد وهو يقول:

أَتَحسَبُ بِيضُ الهِندِ أَصْلَكَ أَصْلَهَا وَأَتَكَ مِنْهَا؟ سَاءَ مَا تَتَوَهَّمُ[3]

في هذا البيت ثبت أبو الطيب بأسلوب مبتكر جميل أن سيف الدولة أشرف من سيوف الهند وأجل منها شأنا و أعظم أصلا. وكذلك شعره:

---

[1] – تاريخ النقد الأدبي عند العرب، المؤلف: إحسان عباس، من باب (قضية السرقات الشعرية)، ص: 33

[2] – الموازنة، للآمدي، ص: 30

[3] – ديوان المتنبي، محمد خداش، ص: 254

تُهَابُ سُيُوفُ الهِندِ وَهِيَ حَدَائِدٌ فَكَيفَ إِذَا كَانَتْ نِزَارِيَّةً عُرْبَا

وكذلك أمثل قوله في الابتكار:

سَرَى السَّيفُ مِمَّا تَطْبَعُ الْهِندُ صَاحِبِي إِلَى السَّيفِ مِمَّا يَطْبَعُ اللهُ لَا الهِندِ[1]

وكذلك مثل قوله في الليث في الأسلوب الجديد:

أَيُنكِرُ رِيحَ اللَّيثِ حَتَّى يَذُوقَهُ وَقَدْ عَرَفَتْ رِيحَ اللُّيُوثِ الْبَهَائِمِ[2]

فبعد القراءة لهذه الأبيات نستنتج منها أن المتنبي لم ينصرف عن التقاليد كل الانصراف، بل غير أسلوبه مع استخدام التقليد وقدمها في زيّ جديد. فالبيض الهندية رمز تقليدي معروف يستعمل لوصف السيف وإظهار قوة البأس والقطع في العصر الجاهلي، فظل هذا الرمز مؤثرا قويا في العصور المتلاحقة وحتى في العصر العباسي الثاني، ولكن انظر كيف يؤظف المتنبي هذا الرمز في أسلوب رائع جميل، ومع ذلك أنه تابع المتقدمين الشعراء في التقليد ولكنه مال إلى الابتكار فكساه معنى جديدا.

بواعث الابتكار في شعر المتنبي و أبي فراس الحمداني

1:الآثار الثقافية:

في زمن المتنبي احتمعت الثقافات واختلطت المذاهب والمسالك وتغير المجتمع العربي الخالص إلى ملتقى الثقافات والأديان والتقاليد للشعوب المتنوعة من الفرس والأتراك والأحباش وغيرهم، فكلا الشاعرين عاش بين هؤلاء وتنفس فيه، فمن الطبيعي أن المتنبي استقى من هذه

[1]- ديوان المتنبي، محمد خداش، ص: 167

[2]- المرجع السابق، ص: 320

الثقافات والأديان حظا وافرا بالنسبة لقرينه أبي فراس الذي قضى معظم حياته في الحروب، وأما المتنبي فأتيح له فرصة واسعة لمخالطة أصناف من الناس وأنواع من المذاهب، فأثر ذلك في شعره تاثيرا بارزا حتى أعرض عن بعض التقاليد العربية القديمة، كما يدل الدكتور طه حسين على هذه الحقيقة قائلا، " وكان العراق بالضبط أخصب مركز لهذه الحضارة الناضجة الراشدة المثمرة، فيه التقت أكثر الاجناس التي تتألف منها الدولة الإسلامية، أو على أكثر تقدير، أكثر هذه الأجناس استعدادا للحضارة، وأحسنها بلاء فيها، وأعظها حظا من الإنتاج قديما وحديثا. فيه كان العرب ومعهم تراثهم التليد والطريف من الأدب والدين. وفيه كان الفُرس ومعهم حضارتهم الساسانية... ولم يخل العراق من اليونانيين انحدروا إليه وأقاموا فيه... وبيزنطين وبحكم الرق أيضا. ولم يخل العراق من الهنود الذين كانوا يفدون طوعا أو كرها كاليونان... كانوا يفدون للتجارة، وكانوا يفدون للسياسة، وكانوا يفدون لطلب العلم أيضا.وكل هذه الأجناس كانت تلتقي متعارفة لا متناكرة، مؤتلفة لا مختلفة، ومتعاودة لا متقاطعة، قد زالت بينها الفروق، وألغيت بينها الحجب، وصبغتها الحضارة الجديدة صبغة واحدة. وجعلت لها لغة واحدة هي اللغة العربية، بها تتحدث، وبها تكتب، وفيها تدون. وعن هذا كله نشأت الظاهرة التي تعنينا الآن، وهي أن رُقيّ العقل في هذا العصر قد انتهى إلى ما لم ينته إليه قط في العصور الإسلامية السابقة، فأحدث آثارا غريبة أقل ما توصف به أنها كانت متناقضة أشد التناقض."[1] قد توضح من العبارة السابقة الآثار الثقافية في المجتمع العربي الخالص التي أحدثت فيه التغييرات في الأدب والشعر، وكذلك نرى سمة التجديد في ذاك العصر أي العصر العباسي الثاني واضحة جلية، وقد اتصفت بها طائفة من المحدثين الذين تأثروا بالثقافة الجديدة لأنهم يعيشون في عصر الحضارة الناضجة الراقية، ولا

[1] – مع المتنبي، طه حسين، ط: 13، الناشر: دارالمعارف، القاهرة، التاريخ: لايوجد، ص: 28، 29

سيما أن الأدب يعكس فيه صورة المجتمع الذي يعيش فيه الأديب، فلذا لون التجديد قد ساد في إنتاجات ذلك العصر.

البواعث العلمية:

عرف هذا العصر بانتصار العلوم والفنون حيث امتلأت المكتبات بآلاف الكتب وأقيمت الأسواق للوراقين، والناس انكبوا على العلوم من الطب والفلسفة والهيئة والنجوم والمنطق والكلام واللغة والنحو والتاريخ والفقه والحديث والشعر وغيرها من أصناف العلوم التي نشأ بها الشعب المسلم الجديد وتربت في حضنها الحضارة الجديدة، وتلمح هذه السمة في شعر معظم الشعراء لهذا العصر الذين أرادوا الالتحاق بركب الحضارة متسلحين بعلوم ذلك العصر. وكانت للمسلمين حينئذ فُرص واسعة للحصول على أنواع العلوم والفنون، حيث إن الكتب كانت متهيئة، وأقيمت المدارس والمكاتب وحلقات الدرس في المساجد، وأحيانا يبلغ عدد الطلاب فيها إلى الآلاف في حلقات كبار العلماء، فتتبعوا أسرار الطبيعة ورموز الكون البسيط، حيث إنهم أدركوا حقيقة قول النبي صلى الله عليه وسلم،"عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: الكلمة الحكمة ضالة المؤمن فحيث وجدها فهو أحق بها."[1] فالناس في ذلك العصر

1- السنن الترمذي، المؤلف: أبو عيسى، الترمذي، الباب: ما جاء في فضل الفقه على العبادة، رقم الحديث: 2611

انكبوا على الكتب، وكان أكبر اهتمامهم هو أخذ العلوم ولو كان بالصين. فترجمت الكتب في دار الحكمة التي كانت تأتي من أنحاء العالم، والعلوم اليونانية وتراجم كتبهم جاءت في زمن الرشيد والأمين والمأمون،* كما صُرح بذلك في نصرة الثائر،" وهذه العلوم اشتهرت في أيامهم، خصوصا في زمن المأمون، فإنه رتب الذهب لمن يترجم كتب اليونان من اليونانية إلى العربية مثل حنين بن إسحق، وابن بختيشوع* وغيرهما."[1] ولتأييد موقفه يستشهد المؤلف شعر أبي نواس حيث قال:

فَقُلْ لِمَنْ يَدَّعِي فِي ٱلعِلْمِ فَلْسَفَةً حَفِظْتَ شَيئاً وَغَابَتْ عَنكَ أَشْيَاءُ

ويرى المؤلف أن هذا الشعر لا يدل على رفضه لهذه العلوم، بل قال هو في سياق خاص[2]. كذلك الدكتور طه حسين يلقي الضوء على الظروف والأحوال التي تحتها دخلت الثقافة والعلم من قبل الأمم المختلفة في المجتمع العربي الأصيل بعد أن امتدت ثغور الحكم الإسلامي إلى الممالك البعيدة قائلا، "وفيه كان الفرس ومعهم حضارتهم الساسانية المعقدة التي تمتاز بالترف المادي والعقلي معا، وفيه كانت أخلاط الساميين الذين نقلوا تراث اليهود، وتمثلوا تراث اليونان،

---

*كان العصر العباسي عصرالحضارة الراقية وازهرت فيه العلوم والفنون وترجمت الكتب الواردة من شتى البلاد وكان لهؤلاء الخلفاء المذكورين لهم نصيبا وافرا في ترويج العلوم.

* إسحاق بن حنين:إسحاق بن حنين بن إسحاق العبادي، أبو زيد، مؤرخ، طبيب، مترجم، كان أبوه صيدلانية من أهل الحيرة(في العراق) وسافر حنين إلى بصرة فأخذ العربية عن الخليل بن أحمد، ... وتمكن من اللغات اليونانية والسريانية والفارسية، فانتهت إليه رياسة العلم بها بين المترجمين، مع إحكامه العربية،... اتصل بالمأمون فجعله رئيسا للترجمة. (الأعلام للزركشي ـ 2/ 287)

ابن بختيشوع: عبيد الله بن جبرئيل بن عبيد الله بن بختيشوع، أبو سعيد، طبيب باحث، من أهل ميافارقين، له تصانيف منها " مناقب الأطباء" و "الروضة في الطب، مات في سنة 453هـ".(الأعلام للزركشي- 4/ 192)

1- نصرة الثائر على المثل السائرللصفدي، تحقيق: محمد علي سلطاني، مجمع اللغة العربية- دمشق، ص: 43

2- المرجع السابق، ص: 43

وكانوا تراجمة لهذه الحضارة الجديدة ينقلون إليها تراث الأولين من أهل الشرق والغرب،... ولم يخل العراق من اليونانيين انحدروا إليه وأقاموا فيه طائعين للاقتصاد والتماس المنفعة، وكارهين بحكم الحرب."[1] قد توضح بالتصريحات السابقة أن الفرص للحصول على العلم كانت متاحة لهم واتسع رحابهم للعلوم والفنون. ومن الطبيعي أن العرب تعلمت منها كثيرا، ما أدت إلى التغيير في التذوق الشعري لديهم.

البواعث المذهبية:

نشأ المتنبي في بيئة عراقية تغلغلت فيها المذاهب والأديان، وتداخلت فيها الشعوب التي تحمل أفكارا متنوعة متقاطعة، فمن الطبيعي أن يدور بينهم النقاش والمجادلة حول أصناف من المذاهب والأفكار، فليس من المستغرب أن يأخذ المتنبي منها حظا وافرا ويتأثر بها تأثرا عميقا مما أدى إلى تكوين عقلية خاصة في شخصيته يقبل فيها التنوع والتحلل والتحرر من إطار التقاليد العربية الأصيلة، كما يشير إليه أد. طه حسين بقوله: "وحصل العلوم الإبتدائية بالمدرسة على مذهب الشيعة، ودرس على علمائهم، فلا شك في أنه استقى منها كثيرا من الأصول والفروع"[2]. وكان له مساس لمذهب القرمطة*[3] كما صرّح بذلك الدكتور طه حسين لما كان لهم غلبة واستيلاء على سياسة البلاد، وشاهد غاراتهم وسفكهم دماء الناس وشغفهم في الحرب، وعاش معهم

---

[1]- مع المتنبي، طه حسين، ص: 28

[2]- مع المتنبي، الدكتور طه حسين، ص: 35

2- القرمطة مذهب من مذاهب الباطنية الداعي إلى الإلحاد والأباحية وهدم وحدة المسلمين. فقد انتقل مؤسس الباطنية ميمون بن ديصان من أصبهان إلى الأهواز، ثم إلى البصرة، ثم إلى سلمية الشام، واتخذها معقلا له، مدعيا الانتساب إلى محمد بن إسماعيل بن جعفر الصادق، ومن سلمية بعث دعاته إلى الكوفة واليمن والمغرب... وقامت دولة العبيديين (التي دعوها بالفاطمية) في المغرب ومصر واليمن حتى جاء الحاكم بأمرالله حيث ادعى الألوهية... ومن البارزين بين الباطنية حمدان بن الأشعث (الملقب بقرمط) في سواد الكوفة وقد استولى على الحجر الأسود.

سنوات في البادية القرمطية حتى عاد قرمطيا أو قرمطي السيرة."[1] فلا جدال في ، أن العراق حينئذ كان رحابا واسعا لالتقاء شتى الأديان والمسالك من اليهود، والنصارى، والمجوس، والقرامطة، والشيعة، والأحناف، والشوافع، والحنابلة، والأشاعرة، والمعتزلة، والزنادقة، وغيرها من الفرق، والمتنبي عاش في تلك البيئة، وتنفس فيها، وتأثر بها والدكتور طه حسين يرى بأغلب الظن أن المتنبي تأثر كثيرا بدعاة القرامطة حينما أقام في البادية، ثم حين عودته منها وذهابه إلى الشام طالبا للرزق، فلا بد له وهذا أقرب إلى القياس أنه لقي في الشام وفي بغداد عددا من دعاة القرامطة، فأثرت هذه الدعوة في أحاسيسه، ومن المعلوم أن المذهب القرمطي يدعو إلى إحلال جميع القيود التي فرضت الشريعة الإسلامية على أتباعها. فظهر هذا التأثير في شعره، وكسر بعض القيود الجاهلية التي كانت عليه وبدأ يخطو خطواته في الابتكار الذي يلائم مذهبه كل الملائمة لأن أبرز سمة في هذا المذهب هو التحلل والتحرر عن جميع القيود الشرعية والفرائض الدينية، فالمتنبي قد استقى من هذه السمة أكثر قياسا بمعاصره أبي فراس الحمداني النهضة العقلية والأدبية وقد أصبح هذا الأمر واضحا جليا أن التقدم الحضاري والعلمي أدى إلى النهضة العقلية والأدبية وتغير المجتمع العربي الخالص، وحولهم إلى شعب رائد للأمم الأخرى إلى الحضارة الراقية، وجعل الشعوب يسترشدون بهم ويخالطونهم لتحصيل العلم، فنتيجة لهذه المخالطة ارتقت عقلية العرب ونضجت. فتولدت النهضة العقلية بينهم، والمجتمع العربي الخالص قد تغير تغيرا واسعا وأثّر هذا التغيير في كل النواحي سواء كانت سياسية أو ثقافية أو اقتصادية، فتحولت الحياة الجاهلية البسيطة إلى الحياة الراقية المترفة التي تستدعي اللوازم المتقدمة، فأقيمت المكتبات، وتغلغلت العلوم والفنون، وترجمت الكتب الواردة من الشعوب الأخرى المتحضرة من الفرس والرومان والإغريق والهند، وأسست دارالحكمة في عصر الخليفة " هارون الرشيد". فبدأ الاحتكاك الدائم بين

[1]- المرجع السابق، ص: 43

ثقافات الأمم المختلفة لتشكل المجتمع المتقدم الجديد، فنتيجة لهذا التطور ظهر النضوج العقلي من كل صنف من الأصناف الأدبية، ومن الطبيعي أن يتأثر الأدب بهذة النهضة العقلية لأنه أشد التصاقا بالمجتمع، فتطرق إلى الابتكار والتجديد ليقدم التصوير الصادق للمجتمع.

الفلسفة اليونانية:

لامنازع أن اليونان عرفت بالفلاسفة العملاقة، ولهم دور بارز في تطوير العقل الإنساني وارتقائه، فها هو الدكتور طه حسين يعترف بتأثير الفلسفة اليونانية في المجتمع العربي الخالص وهو يقول،" وما أستبعد أن يكون سيف الدولة قد ألم شيئا باليونانية وثقافة اليونانيين، لاتصاله اليومي أثناء حياته كلها باليونان وشئون اليونان. فمن الحق على الشاعر الذي يريد أن ينقطع لأمير كهذا الأمير، ويشارك في مجلس كمجلس سيف الدولة، أن يهييء نفسه لذلك أحسن التهيئة، ويعدها له أقوى إعداد."[1] وقال أيضا معترفا بالابتكار والتجديد في شعر المتنبي،" وإذن فلم يكن رقي شعر المتنبي في هذا الطور شيئا مفاجئا، ولا أثرا من آثار المصادفة، وإنما كان شيئا طبيعيا، ونتيجة لازمة لهذه الحياة الجديدة التي انغمس فيها، ولما كان قد رُكّب في طبعه من ذكاء القلب، ونفاذ البصيرة، وحدة الذهن، وقوة العقل والشعور معا."[2] في العبارة المذكورة بين الدكتور طه حسين آثار الثقافات المتلونة المتنوعة على المجتمع في ذلك العصر ما أدت إلى التغيير الفكري وأحدث هذا التفكير في الأدب والشعر شيئا من الابتكار والتجديد، ونشأت طائفة من الشعراء المحدثين الذين لهم إلمام بالثقافة اليونانية والرومانية والفارسية، وارتدوا عن التقاليد الشعرية القديمة إلى التجديد والابتكار، فلا شك في أن الفلسفة اليونانية قد أثّرت في الأذهان وفتحت منافذها إلى الآفاق الجديدة والعوالم المبتكرة بعيدة المدى. فلا منازع أن شاعرا مثل المتنبي قد أخذ

---

[1] - مع المتنبي، ص: 184

[2] - المرجع السابق، ص:184

نصيبا وافرا في هذا الابتكار والتجديد. وأما قرينه ومعاصره أبوفراس فكان نصيبه منه أقل بالنسبة إلى المتنبي لأنه كان فارسا مغوارا يشارك في الحروب دائما كما ذكرنا من قبل، فحبسه اشتغاله الدائم عن العلوم المعاصرة وحفظه عن التأثيرات الثقافية واسعة المدى إلا اللمم، فنرى في شعره التتبع للتقاليد العربية العريقة،كما هو يقول:

وأعددت الكتائب معلمات تنادى كل آن، بي: سعارا([1])

أو كما يقول:

كما قال حسان بن ثابت:

إذا عضـل سيقت إلينـا كأنهـم جداية شرك، معلمات الحواجب([2])

وأما المتنبي فقد اغتنم الفرصة لالتقاء الأديان الأخرى وشاهد طقوسهم وشعائرهم وكلمهم وعاش معهم ودار النقاش بين المذاهب والأديان، والصدام بين الشعوب والأمم، والاحتكاك بين اللغات والألسن واللهجات، مما نتج عنه الظاهرة الجديدة في المجتمع العربي الأصيل وتسبب في رقي العقل ونضوجه. فكل هذه المؤثرات لعبت دورا مهما في تكوين شخصية المتنبي، إلى أن نضجت قريحته، وبلغ إلى ذروة الأدب في الشعر، فخرج عن إطار التقليد الجاهلي إلى الأفق الجديد، وبسط يديه إلى النجوم، والتمس مكانته يروم إلى أسباب السماء.

---

[1]- ديوان أبي فراس الحمداني، ص: 97

[2]- ديوان حسان بن ثابت، شرح وتحقيق: البرقوقي، بمطبعة الرحمانية بمصر، 1928م، ص:8

البواعث النفسية:

قد ظل هذا الجانب للنقد مهملا وغامضا منذ الزمن القديم إلى القرن العشرين حيث إن العلماء والنقاد لا يهتمون به في تقييم الشعر والأدب ولا تلتفت إليه الأنظار، والعلماء في القرن العشرين، كفرويد*(1) وأدلر و يونج و غيرهم من علماء النفس، قد أحسوا بأهمية هذا الجانب وبدأوا يهتمون به حتى صار هذا الجانب علما مستقلا عن الفلسفة، ويشير إليه د. حسن أحمد عيسى في تأليفه "الإبداع في الفن والأدب" حيث يقول: " وخاصة علم النفس الذي كان آخر العلوم التي استقلت عن الفلسفة ."(2) فالعلماء المعاصرون قد أثبتوا بدراساتهم أن الإبداع في الأدب والفن بظروف الإنسان النفسية وبخاصة الحرمان والبؤس والآلام في الطفولة التي تختزن في اللاشعور وجميع أعمال الحياة الإنسانية التي تخضع لأثر اللاشعور، ذلك الأثر الذي تدور حوله كل حياته، وفرويد قد سمى هذه الحالة بالكبت كما صرح بذلك د.حسن أحمد عيسى إذ يقول: " أكد فرويد أن الكبت هو الدافع للإبداع، والكبت الذي يتولد في ذاته بسبب حرمانه وفشله لإشباع رغباته ويختزن في اللاشعور ويظهر بشكل الإبداع في مجالات شتى في حياة الإنسان، إما في مجال العلوم والفن والأدب والشعر وغيرها."(3)

قد اتضح بهذا الرأي إن الكبت هو حالة نشأ في الإنسان بسبب الحرمان، ويصبح بعدها جزءا في اللاشعور، ولو درسنا حياة المتنبي من المنظور النفسي لكشفنا الستائر عن شخصيته، أنه نشأ في أسرة فقيرة وكان والده سقاء، وماتت أمه في طفولته وربّته جدته، وعاش حياته في البؤس

---

*1- سيغموند فرويد(23 سبتمبر1939م--------6مايو1856) هو طبيب نمساوي من أصل يهودي، اختص بدراسة الطب العصبي و مفكر حر، يعتبر مؤسس علم التحليل النفسي.

2-الإبداع في الفن و العلم، المؤلف: د. حسن أحمد عيسى، الناشر: عالم المعرفة- الكويت، ديسمبر 1979م ص: 15

3- الإبداع في الفن و العلم، ص: 63

والألم، مما أدى إلى توليد حالة الكبت في داخله، وعلاوة عن ذلك قد أعطي من الله الذكاء الخارق والذهن المتوقد، فتهيئت له العناصر الخصبة للابتكار. وقال الدكتور محمود شاكر يلخص ما قرأ حوله من التراجم: "إني إذا قرأت تراجمه وأخباره وما كتب عنه، رأيت رجلا عاش حياة غامضة مضطربة متناقضة لا استواء فيها، يعسر فهمها على وجه صحيح."[1] قد حرم المتنبي في طفولته عن إشباع رغباته وإكمال أمنياته وبقي هذا النقص في لاشعوره ولعب دورا أساسيا في تكوين شخصيته، كما يقول أدلر*(Alfred adler)[2] من تلامذ فرويد واتفق معه في نظرة الإبداع إلا أنه أضاف وأصلح بعض جوانبه وقدم نظريته الخاصة " الشعور بالنقص" أو بتعبير أصح" الشعور بالدونية"(inferiority feeling)يعده من دوافع الإبداع...فهو يرى أن النبوغ إنما ينتج بالنقص"[3] فحياة المتنبي مليئة بالأحداث والوقائع، مثل حرمانه من حضن أمه وأسره في السجن وميله إلى مذهب القرامطة التي لعبت دورا هاما في تكوين شخصيته فتطرق إلى الابتكار كما يرى فرويد: "فحاضر الفنان ليس سوى نتيجة لهذا الماضي البعيد، مثله مثل أي شخص فيما يرى فرويد أن حاضر الناس هو نتيجة حتمية للماضي الطفولي"[4] فعاش المتنبي في طلب العلاء والمناصب الجليلة وجميع حياته تمثل حالة التوتر والاضطراب والثورة الداخلية، تارة يجمع الناس حوله وتارة يفارق أميرا ويلجأ إلى أمير آخر ولم يستقر قلبه طول حياته، وبعض علماء النفس يربط التوتر بالإبداع، مثل قوله: "فالتوتر يسهم بنصيب كبير في تحديد الهدف

---

[1] – المتنبي، المؤلف: الدكتور محمود شاكر، ص: 48

3*– الفرد ادلر، عالم النفس النمساوي، ولد بتاريخ الثامن والعشرين من مارس، سنة 1870م، كان من تلامذة فرويد، وتابعه و أصلحه و أسس الفرودية الجديدة، والتي اعتبر فيها أن– الشعور بالنقص– هو الذي يلعب دورا مهما في النمو النفسي للشخص، وليس الدوافع الجنسية، كما قال بذلك مواطنه فرويد.

[3] – الإبداع في الفن و العلم، ص: 68

[4] – الإبداع في الفن و العلم، ص: 69

والطريق إليه."[1] فلا ينكر التوتر دوره لتوليد الإبداع في الشاعر والأديب، وقد اتضح من السطور السابقة أن الكبت والشعور بالنقص في شخصية الإنسان يلعبان دورا كبيرا في خلق الابتكار في شخصيته، وحياة الإنسان تدور حول اللاشعور، إذا كان " يونج" من أشهر علماء النفس ومن تلامذة فرويد، اتفق مع فرويد في أهمية اللاشعور وبأنه هو مصدر الإبداع... بما فيه من رغبات ودفعات مكبوتة.[2] فالشاعر المبدع، أو الكاتب أو الفنان قد يخلق شعرا مبتكرا، أو أدبا مرموقا، أو عملا فنيا رائعا تحت حرمان شديد أو حالة التوتر أو النقص. وكذلك حياة المتنبي تعرضت للحرمان والنقص والفقر والبؤس التي أثرت فيه وكان سببا للكبت وينبع منه الإبداع، وعلاوة عن ذلك توفرت له الوسائل التي تمهد له الطريق إلى الابتكار حيث إنه عاش في عصر الازدهار والتقدم، وله الطبع المضطرب والذهن المتوقد والذكاء الخارق، فلم يقتنع بالصور التقليدية بل له آمال يطير بها في السماء و بما وهب الله له موهبة خارقة، أراد أن يفتح العوالم الجديدة، واتخذ شعره سلما لإشباع رغباته وللوصول إلى الدرجات العالية والمناصب الجليلة.

معنى التقليد لغويا:

في تاج العروس: (قلدتها قلادة) جعلتها في عنقها فتقلدت، ومنه التقليد في الدين، وتقليد الولاة الأعمال،[3] وفي المعجم الوسيط: (التقاليد) العادات المتوارثة التي يقلد فيها الخلف السلف، مفردها تقليد[4].وفي قاموس عربي – فرنسي – انجليزي: تقليد: محاكاة،(copying,

---

[1]- المرجع السابق، ص: 140

[2]- المرجع السابق، ص: 69

[3]- تاج العروس، ج: 9، ص: 69

[4]- المعجم الوسيط، ج: 2، ص: 754

imitation وهو مجاز[1]. فالتقليد، هو التتبع للأسلوب القديم والعادات القديمة المروجة. فتوضح التقليد ببعض جوانبه بكلام الدكتور محمد النويهي وهو يقول:"وفي رأيي أن كل دراسة صحيحة للشعر العربي في كل عصر من عصوره يجب أن تبنى على علم دقيق وثيق بطبيعة الشعر العربي في المرحلة الأولى مرحلة العصر الجاهلي. فالعصر الجاهلي هو الذي وضع الأساس الذي قام عليه الشعر العربي كله، وهو المرحلة التي تجلت فيها العبقرية العربية الخالصة في حالتها البكر بكل مزاياها وحدودها دون تأثير من عبقرية أخرى."[2]

سمات التقليد في الشعر الجاهلي: من أبرز خصائص الشعر الجاهلي هي، صدق العاطفة، الواقعية، العواطف الفطرية، والشاعر الجاهلي بعيد عن التصنع والتكلف ويصف الأشياء كما يرى بدون زيادة، فالايجاز من أبرز خصائصه ويقل فيه الاستعارة والمجاز والمبالغة ويتصف بالبساطة والموضوعات المحدودة البسيطة والأفكار غير المرتبطة والاستطراد — أن يطيل القصائد وقد يخرج أحيانا عن الموضوع الأساسي إلى الموضوعات لا تتعلق من قرب أو من بعد وهذا يسمى استطراد[3]، لو نغير ترتيب الأشعار في القصيدة لما ينقص ذلك قيمتها. فالشعر الجاهلي يخلو عن الأفكار الفلسفية المعقدة.ويقول دكتور عمر فروخ في تأريخ الأدب العربي،" كانت البادية بيئة الشعر الجاهلي ولذلك كان الشعر مرآة للحياة البدوية، يدور حول الجمل والطلل."[4] وقال الزيات في خصائص الشعر الجاهلي،" وعوثة الصحراء، وخشونة العيش، وحرية الفكر، وطبيعة الجو، وسذاجة البدو، كل أولئك مع الشعر الجاهلي بطابع خاص ... الصدق في تصوير العاطفة، وتمثيل الطبيعة، فلا تجد فيه كلفا بالزخرف ولا تكلفا في الأدا، فكثر لذلك الإيجاز، وقل

---

[1]- قاموس (عربي- فرنسي- انجليزي)، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، تونس، 1985م، ج: 1، ص: 1509

[2]-الشعر الجاهلي - منهج في دراسته وتقويمه - الدكتور محمد النويهي، ج:1، الدار القومية للطباعة والنشر، القاهرة.

[3]- تاريخ الأدب العربي، مؤلف: د. عمر فروخ، ص:87

[4]- تاريخ الأدب العربي، مؤلف: د. عمر فروخ، ص: 76

المجاز، وندرت المبالغة".[1] ويرى الزيات أن ليس عندهم القصيدة المرتبطة بوحدة الأفكار وعدم النظر الفلسفي لديهم كما يقول،" علائق المعاني ضعيفة واهية، ومساق الأبيات منفك مضطرب. فإذا حذفت أو قدمت أو أخرت لا تشعر القصيدة بتشويه أو نقص، وذلك لأن الساميين ومنهم العرب ينقصهم النظر الفلسفي".[2] وقال أبو محمد (ابن قتيبة): وسمعت بعض أهل الأدب يذكر أن مقصد القصيد إنما ابتدأ فيها بذكر الديار والدمن والآثار، فبكى وشكى، وخاطب الربع، واستوقف الرفيق، ليجعل ذلك سببا لذكر أهلها الظاعنين عنها، إذ كان نازلة العمد في الحلول والظعن إلى خلاف ما عليه نازلة المدر، لانتقالهم من ماء إلى ماء، وانتجاعهم الكلأ، وتتبعهم مساقط الغيث حيث كان، ثم وصل ذلك بالنسيب، فشكا شدة الوجد وألم الفراق، وفرط الصبابة والشوق، ليميل نحوه القلوب، ويصرف إليه الوجوه،... وشكا النصب والصهر، وسرى الليل وحر الهجير، وإنضاء الراحلة والبعير... فالشاعر المجيب من سلك هذه الأساليب، وعدل بين هذه الأقسام،"[3] ويذكر دكتور فروخ الأغراض الشعرية التقليدية لديهم وهي الموضوعات التي يتناولونها في القصيدة، وهي عادة "أمور ممهدة" للفن(الغرض الرئيسي) الذي يرمي إليه الشاعر، ولقد كان الوصف والنسيب في القصيدة الجاهلية غرضين رئيسيين وأغراض الشعر الجاهلي كثيرة منها:

---

[1]- تاريخ الأدب العربي، مؤلف: أحمد حسن الزيات، ص: 20

[2]- المرجع السابق، ص:20

2- الشعر والشعراء، مؤلف: ابن قتيبة، تحقيق: الدكنور عمر الطباع، ط: 1، الناشر: شركة دار الأرقم بن أبي الأرقم، بيروت، 1418هـ ، ص: 30، 31

1-وصف الأطلال:

هذه من تقاليد القصائد العربية القديمة، فمطالعها التقليدية تتحدث عن الأطلال وبكاء الآثار والدمن كما يشير إليه الدكتور صبحي كبانة.([1]) يأتي الشاعر لزيارة حبيبته فيجد أهلها قد رحلوا بها عن المكان الذي عهدهم نازلين فيه، فيقف على طلل الخيمة (المكان الذي كانت الخيمة منصوبة فيه) فيصفه ويصف ماحوله وينسب بالحبيبة ويتشوق إليها. يقول ابن قتيبة إن الشاعر الجاهلي يبدأ قصيدته بذكر الأطلال التي كانت بيوتا مسكونة من قبل ورحلوا وبينهم حبيبة الشاعر رحلت معهم فيظهر عليها حزنه العميق بذكر الأطلال وبما بقيت آثارهم فيها التي عاشت فيها حبيبته في زمن من الزمان وبذلك يصف أحوال السفر والمشقة التي يواجهها ويصف راكبته حتى وصل إلى الممدوح الذى يطلب منه الجائزة، يصف له آلام السفر ومصائب الصيف والحر الحوادث التي وقعت، ثم بذكر جود الممدوح وحسن عطائه. وعادة العرب أنهم كانوا يفتتحون قصائدهم بوصف الأطلال والبكاء على آثار الديار.([2]) وقال شاعر:

يا باكيَ الأطلال في رسم دمنة ترود بها عين المها والجآذر([3])

2- وصف الراحلة:

وكذلك يصف الشاعر الراحلة أو المطية(الناقة أوالفرس) التي يركبها للوصول إلى الحبيبة أوالممدوح، وقيل للظعينة الراحلة التي ترحل ويظعن عليها.([4])

3-وصف الصيد:

---

[1]- الخصومة بين الطائعين وعمود الشعر العربي، أ د. وحيد صبحي كبانة، من منشورات اتحاد الكتاب العرب، 1997م، ص: 6

[2]- تاريخ الأدب العربي(العصر الجاهلي)، شوقي ضيف، دار المعارف - القاهرة، ص: 322

[3]- الحيوان، أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ تحقيق: عبد السلام محمد هارون، دار الجيل- بيروت، 1416هـ ص: 1/ 185

[4]- خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب، عبد القادر بن عمر البغدادي، دار الكتب العلمية- بيروت، 1998م، 4/ 190

ويصتاد الجاهلي لسببين: إما طلبا للمعاش كما كان يفعل صعاليك العرب، أو طلبا للهو كما كان يفعل امرؤالقيس، أو لأنه كان يخرج في حاشية الملوك الذين يذهبون إلى الصيد كالنابغة، وكما قيل:

ومُطعَمُ الصَّيدِ هَبَّالٌ لِبُغيَتِهِ ألفَى أباهُ بِذَاكَ الْكَسْبِ يَكْتَسِبُ([1])

4-وصف الطبيعة:

يصف الشاعر عادة ما يرى أثناء رحلته من صحراء أو أودية أو مطر أو رياح أو نهر، وأشهر الوصافين في الجاهلية امرؤ القيس، وأصاب ابن رشيق لما قال: الشعر – إلا أقله- راجع إلى الوصف، ولا سبيل إلى حصره واستقصائه، وكما قال امرؤ القيس:

وَقَدْ أغْتَدي وَالطّيرُ في وُكُناتُها بِمُنجَرِدٍ قَيدِ الأوابِدِ هَيكَلِ

مِكَرٍّ مِفَرٍّ مُقْبِلٍ مُدْبِرٍ مَعَاً كَجُلمُودِ صَخْرٍ حَطَّهُ السَّيلُ مِن عَلِ([2])

5-الحماسة:

وهي وصف المعارك والفخر بالنفس أو بالأسلاف، والحماسة أيضا تتضمن المعاني التي تدل على" الصبر على الحوادث والتجلد للأيام وعلى عدم المبالاة بما ينشأ عن التحول عن الإلف وترك الصديق والعشير، لأن ترك الوطن والخلال بالعشيرة ربما أدى إلى التخاذل والتقاتل، والصبر عليه كالصبر على القتال". فأصبحت هذه الكلمة أكثر تداولا في تأليفات المختارات الشعرية مثل الحماسة للبحتري، والحماسة

[1]- الحيوان، أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ تحقيق: عبد السلام محمد هارون، دار جيل- بيروت، 1416هـ، 4/ 438

[2]- جمهرة اشعار العرب، جمع و تدوين: أبو زيد القرشي، ص: 31

لأبي تمام التي هي أشهر ها وجمع فيه من طرائف الشعراء للعصر الجاهلي والإسلامي والأموي،([1]) وغيرها من المختارات الشعرية.

6-الأدب:

تطلق هذه الكلمة على معرفة أشعار العرب وأخبارهم وأخذو يؤلفون بهذا المعنى كتبا سموها كتب أدب مثل البيان والتبيين للجاحظ، والكامل في اللغة والأدب للمبرد وغيرها من الكتب([2]) وجمعوا فيها ألوانا من الأخبار، والأشعار ، والخطب، والنوادر وفيه ذكر آراء صائبة تصدق في الواقع أو توافق المنطق وتوجز نتائج الاختبار الطويل في ألفاظ يسيرة، وليس من الضروري أن تروى الحكمة على لسان العلماء والأذكياء وأصحاب الاختبار في الحياة فقط، فلقد جرت أقوال من الحكمة البالغة على ألسن نفر من الجهال والمشعوذين وصغار السن ومن لا يكادون يبينون في كلامهم. والأمثال على لسان الحيوان تدخل أيضا في باب الحكمة، وكذلك التزهيد والمواعظ.

7-الغزل:

الغزل تعبير عن عاطفة أصيلة في الإنسان، وتغزل الجاهلي بالمرأة وحدها، إلا أن غزله هذا جرى مجريين: مجرى عفيفا ومجرى خليعا، أما الغزل العفيف فكان في البادية في الأكثر، وكان عفيف المعنى، عفيف اللفظ، وقلما صرح الشاعر المحب باسم حبيبته في الشعر، من أجل ذلك كان الغزل العفيف نسيبا يدور حول بث الشوق وتذكر الأيام الماضية والرغبة في لقاء الحبيبة، ويحسن أن نلاحظ أن الغزل كان يقال في

---

[1]- تاريخ الأدب العربي(العصر الجاهلي)، شوقي ضيف، دار المعارف- القاهرة، ص: 316

[2]- المرجع السابق، ص: 5

المتزوجات أكثر مما كان يقال في العذارى، وكما يشير القاضي الجرجاني إلى ورود عواطف الزهد في الغزل.([1])

8-الفخر:

الفخر كانت صفة كانوا يعدونها من الخصائص العالية ينوهون بها الشعراء قبائلهم ويقصون محامدهم في العصر الجاهلي، والفخر من توابع العصبية والحياة القبلية، وكان الشاعر يفتخر بقومه أولا وبنفسه ثانيا، ومقومات الفخر في الجاهلية كانت: شرف الأصل وكثرة العدد والشجاعة والكرم وما يتفرع منها، ويزيد الفخر بالنفس على الفخر بالقبيلة إذا تولى أحد بالسيادة، وكانت تعد هذه الصفة من محاسن الرجولة كما يشير إليه الجاحظ([2])، وذلك أن يكون المفتخر بقومه قد أصبح سيدا في قومه، وكان البدوي خاصة يفتخر بالنجدة(الإسراع إلى معونة الأخرين من ذات يده أو ذات نفسه أو بسيفه)، وكان أيضا يفتخر بشرب الخمر واسقائها(لأن الخمر كانت في الجاهلية نادرة غالية الثمن)

9-المدح:

كان الجاهليون يمدحون بالمكارم التي كانوا يفتخرون بها. والمدح في الجاهلية يمكن تقسيمه قسمين: مديحا للشكر والإعجاب، يغلب على أهل البادية كما نرى عند امرئ القيس وعند زهير بن أبي سلمى، ثم مديحا للتكسب، يغلب على أهل الحضر أو المترددين على الحضر، كما نرى عند النابغة والأعشى، ولا ينبغي أن يخلو المدح من مناقب لآباء الممدوح وتقريظ من يعرف به.([3])

---

[1]- الوساطة بين المتنبي وخصومه، القاضي علي بن عبد العزيز الجرجاني، الناشر: عيسى البابي الحلبي- القاهرة، 1386هـ ص: 59

[2]- البيان والتبيين للجاحظ دار الصعب- بيروت، 1968م، ص: 152

[3]- كتاب الصناعتين الكتابة والشعر، أبو هلال العسكري، الناشر: المكتبة العصرية- بيروت، 1406هـ ، ص: 104

10- **الرثاء:**

والرثاء في الحقيقة مديح للميت. ولذلك نجد الجاهليين يرثون بالخصال التي كانوا يفتخرون بها ويمدحون، ولا ريب في أن رثاء الأقارب كان في العادة أقرب إلى العاطفة، ويتصل بالرثاء النواح، وهو الشعر الذي كانت النساء ينحن به على الميت، ويبدو أن النواح كان في الجاهلية قد قطع شوطا بعيدا من التقدم. وفي العصور التي جاءت بعده أصبح فنا وصناعة وحرفة فقالوا في أمثالهم: " ليست النائحة الثكلى كالمستأجرة"([1])

11- **الهجاء:**

الهجاء كانت سمة شائعة عند العرب وتعد من الفنون القديمة، وكانوا يستخدمونها ضد الأعداء كوسيلة تكسير الهمم وخلعا عن الصفات الحميدة ونزعا للمكرمة والخلق العالية يتصفونهم بدناء الأصل والجبن والبخل وقلة نفرهم وغيرها من الأوصاف الدنيئة والخصال القبيحة.

والهجاء هو تعييب وطعن وإزالة القيم الخلقية وتشويه سمعة الأعداء، فلا جدال هو مثل السلاح الهالك الذي يؤثر في القلوب والأذهان، وكان أشد عليهم وقع ضربة السيف، وبمرور الأيام أصبح فنا وصناعة وحرفة، ولكن مما يلفت النظر أن الجاهلي كان يهجو بالعيوب النفسية الخُلقية ولم يهج بالعيوب الجسمية الخلقية. والهجاء بدوره كان قسمين أيضا: هجاء قبليا- وهو الأشهر والأكثر- ثم هجاء شخصيا في الأقل. إن الحياة القبلية كانت تستتبع أن يكون الهجاء أو العداوة التي تقتضي الهجاء قبلية ولكن لم يكن عادة العرب أن يخاطب الشاعر القبيلة المهجوة

[1]- الكشكول، الشيخ بهاءالدين العاملي، تحقيق: محمد بن عبد الكريم النمري، دار الكتب العلمية- بيروت، 1418هـ ، ص: 263

ويتوجه بالكلام إلى شاعرها. ومن المعلوم أن الهجاء خلاف القيم الدينية والأخلاق الرفيعة، فتركها بعض الناس تحت أثر النزعة الدينية، كما قيل أن مفضل الضبي قد ترك رواية شعر الهجاء في آخر أيامه لما أدرك فيها الحرج والتتبع لعيوب الناس وكشف عورات المسلمين، فأقبل يكتب المصاحف ويقفها في المساجد تكفيرا عن ذلك([1]).

[1]- أمثال العرب، مفضل الضبي، تحقيق: إحسان عباس، دار الرائد العربي- بيروت، 1401هـ ص: 22

الفصل الأول

علاقة الشعر بالحرب

هذا الفصل يتكون من ثلاثة مباحث وهي:

جذور العلاقة بين الشعر والحرب

شعر الحرب عند الأمم المختلفة

شعر الحرب عند العرب

جذور العلاقة بين الشعر والحرب:

من العصور القديمة ظل الشعر وسيلة كبيرة لإثارة العواطف الحربية وإنشاء الحماس والغيرة عند المقاتلين، وكذلك لا ينكر دوره في العصر الإسلامي وما بعده من العصور المتلاحقة لتحريض الناس على القتال كما ثبت من تاريخ الحروب ووقائع الجهاد الإسلامية عبر العصور، وما زال دوره مؤثرا في العصر الحديث لحث الناس على الجد والكفاح والانفعال الثوري، فلكل أمة لها تراث من شعر الحرب قديما أو حديثا، وكما ثبت من الوقائع التاريخية أن الشعر له علاقة وثيقة بالحرب وهو أداة لإهاجة الحرب ووسيلة لتشجيع المقاتلين في الحرب على الثبات عند لقاء العدو وأداة للفخر بالنصر وأيضا الشعر أداة لرثاء قتلى الحرب وكما وصلت إلينا من العصور القديمة في التاريخ من الملاحم اليونانية كالإلياذة لهوميروس وشاهنامة للفردوسي وغيرها من الملاحم التاريخية.

شعرالحرب عند الأمم المختلفة:

ظلت العلاقة ما بين الشعر والحرب قوية ووثيقة عبر العصور وما زال دور الشعر في إهاجة الحرب لا ينكر، شعر الحرب ليس حصرا على العرب، بل نجده عند الأمم الأخرى، على سبيل المثال شاهنامة للفردوسي تقص فيه مآثر الحكم الساساني وتاريخ الفارس الحربي تمتد ألف سنة حيث إنه جمع فيه بطولة الفرسان وأحوال الفروسية للمقاتلين، وكذلك الأدب الملحمي الهندي يمثل في "رامايانا" و "المهابهارتا"تروى فيهما وقائع الحروب الهندية القديمة، فهذه القصص الحربية حافلة بالمشاعر القومية والعواطف الملية، مع ذلك أن الشعراء تجاوزوا عن الواقع وبالغوا في وصف الأحداث الحربية حيث يقول شوقي ضيف عن أوصاف كل شاعر ملحمي: "ويتحدث

في قصته عن بطل معتمدا على خياله ومستمدا في أثناء ذلك من تاريخ قومه."[1] وكذلك أمة اليونان قد ساهمت فيه بنصيب وافر واشتغلت فيه قرونا طويلة، حينما نرى العصور الموغلة في القدم حيث الحروب الطويلة التي دارت بين اليونانيين التي عرفت عندهم الملاحم- فهي قصة الحروب الطويلة- دارت بينهم فأوجدوا الأدب الحربي الضخم. فها هي ملحمة " الإلياذة" لهوميروس، مليئة بأحداث الحرب ومآثر الشجعان والفرسان وملحمة "الأوديسا"اليونانية، وكذلك الملاحم اليونانية الأخرى جمعوا فيها الأحداث للقرون الطويلة وساهم فيها أكثر من شاعر، لا تقل جمالا وروعة، عرفت هذه الملاحم بتمثيل الأبطال والبطلات في صورة الآلهة لتمجيدهم، فجميع الملاحم مليئة بمآثر هؤلاء الأبطال والبطلات في صورة فوق الفطرية وتشتمل كل ملحمة على آلاف من الأبيات، فلا جدال في أن اليونانيين أمة أنتجت الملاحم الطويلة التي لا مثيل له في الأدب العربي إلا أن فيه بعض قصص الفروسية اكتسبت شهرة خارقة مثل الملاحم – مع ذلك أنها أقل منها بنسبة عدد الأبيات –كقصة عنترة التي هي تمثيل رائع لفروسية العرب كما يشير إليه الدكتور شوقي ضيف حيث يقول،" وعلى نحو ما نمت الأساطير حول المهلهل بطل حرب البسوس، نمت حول عنترة بطل هذه الحرب، فألفت عنه قصة شعبية مشهورة لا نبعد إذا قلنا إنها تحولت إلى إلياذة كبرى للعرب وفروسيتهم الرائعة."[2] ويقسم د.إحسان عباس الأدب الشعري اليوناني في ثلاثة أقسام: الأدب البطولي، والأدب المسرحي، والأدب الغنائي،[3] فلا سيما أن الأدب البطولي هو أضخم أدب عند اليونانيين، لأنه هو موضع الفخر ورمز العزة وأدخلوا فيها أساطير الأبطال والشجعان. والملاحم اليونانية قد أصبحت مثلا عاليا في شعر

---

[1]- تاريخ الأدب العربي- العصر الجاهلي، شوقي ضيف، دار المعارف- مصر، ص: 333

[2]– تاريخ الأدب العربي– العصر الجاهلي، المؤلف: شوقي ضيف، الناشر: دارالمعارف، التاريخ: 1999م، ص: 102

2- ملامح يونانية في الأدب العربي، المؤلف: د. إحسان عباس، الطبعة الأولى، تاريخ النشر: 1977م، المؤسسة العربية، بيروت، ص: 23

الحرب عند العرب حيث بدأ الكتّاب والنقاد يماثلون بعض الحروب الجاهلية المشهورة بالملاحم اليونانية وبالغوا في رواية قصص الشجعان على النمط الأسطوري، حيث يقول د.شوقي ضيف:" وقد طارت شهرة عنترة بالفروسية والشجاعة النادرة منذ الجاهلية، وما زالت ذكراه عالقة بأذهان العرب إلى اليوم، فهو مثلهم الأعلى في البسالة والبطولة الحربية، وقد اتخذت من أخباره نواة الملحلة المعروفة باسمه والتي يمكن أن تُعدّ إلياذة العرب، وهو فيها يحارب في الجزيرة العربية وخارجها في الحبشة وإيران وبلاد الروم والفرنج وشمال إفريقيا والأندلس، وينازل الصليبيين. وبذلك كانت هذه القصة أو السيرة تلخص تاريخ العرب وملحمة فروسيتهم في الجاهلية، وفي الفتوح الإسلامية وبعد الفتوح في حروبهم مع الروم والصليبيين في الشرق والغرب."[1]

شعر الحرب عند العرب:

الوصف والفخر والحماسة من تقاليد الشعر العربي، وكان الشعراء يتغنون بعواطف المدح والفخر والحماسة لقبائلهم وأبطالهم وساداتهم منذالقديم ويهجون أعداءهم بتذكير هزيمتهم في الحرب، وكل هذه الأغراض الشعرية لا تخلو عن الوقائع الحربية ووصف فرسان الحرب وأسلحتها وخيولها، ونرى شعر العرب مليئا بالأوصاف الحربية ولأن الحرب كانت مشغلة مستمرة فيهم، وكما يقول غنيمي هلال: "كان الشاعر أرفع منزلة من الخطيب لحاجتهم إلى الشعر في تخليد المآثر وحماية العشيرة وتهيبهم لدى القبائل."[2] فإذن جميع الأصناف الشعرية مرتبطة بالحرب فتنمو وترتقي خلال الحروب وهي تمثل سببا كبيرا لتنشيط هذه الأغراض لتسجيل مفاخرهم ومآثرهم وكانت وسائل الكتابة آنذاك قليلة نادرة عند العرب.

---

[1] - تاريخ الأدب العربي- العصرالجاهلي، د. شوقي ضيف، ص: 678

[2] -النقد الأدبي الحديث - د.غنيمي هلال، دار النهضة- مصر، 1997م، ص: 65

فاحتل الشعر مكانا مرموقا لديهم لأنه كانت وسيلة وحيدة لتخليد أعمالهم ومآثرهم، والحرب كانت أقوى مهيج للشعر لديهم وفضلا عن ذلك وهب الله لهم لسانا فصيحا وطبعا حادا متشوقا يميل إلى الشعر فاجتمع لديهم مخزن عظيم للشعر كما يشير إلى ذلك أحمد حسن الزيات بقوله:

" فزخرت بحورالشعر العربي بالفخر والحماسة والمدح والهجاء والرثاء والعتاب والغزل والوصف والاعتذار والحكمة وخلا مع اتساعه وتشعب أغراضه من الملاحم المطوّلة التي تعلن المفاخر القومية وتشيد بذكر الأبطال والفروسية وإجادة التعبير عن عاطفة الحمـاسة يوم الخصومة والجدل ."[1]

وفي معركة أحد كانت نساء قريش أسهمن في المعركة بنصيبهن إذ يتغنون الأناشيد الحربية والأبيات المثيرة للحرب على الدفوف، وحفظ التاريخ بعض أبياتهن كما ذكر صفي الرحمن مباركفوري في الرحيق المختوم:

"وقامت نسوة قريشٍ بنصيبهن من المشاركة في المعركة، تقودهن هند بنت عتبة زوجة أبي سفيان، فكن يتحولن في الصفوف ، ويضربن الدفوف، ويستنهضن الرجال، ويحرضن على القتال، ويثرن حفائظ الأبطال، ويحركن مشاعر أهل الطعان والضراب والنضال فتارة يخاطبن أهل اللواء فيقلن:

أَيُّهَا بَنِي عَبْدِ الدَّارِ أَيُّهَا حَمَاةَ الأَدْبَارِ

ضَرْبًا بِكُلِّ بَتَّارِ

وتارة يأززن قومهن على القتال وينشدن:

[1]- تاريخ الأدب العربي-الزيات، ص:31

إنْ تُقبِلُوا نُعانِقُ وَنُفرِشُ النَّمارِقَ

أو تُدْبِروا نُفَارِقُ فِراقٌ غَيرُ وَامِقِ [1]

فقد ثبت بذلك أن الحروب كانت سببا في ازدهار الشعر وانتشاره، وهيأت للشعراء المجال الواسع للانطلاق بمواهبهم الشعرية بشتى نواحيها ومختلف اتجاهاتها، فكانت حافزا قويا، ومصدرا خصبا من مصادر الألهام، وأثارت في الشعراء مختلف الأحاسيس والعواطف،فلذلك لا يكاد يخلو ديوان شاعر قديم عن الفخر والحماسة وتذكرة القتال. قد صرح يعقوبي اتصال العرب بالشعر وهو يقول:" ولم يكن لهم يرجعون إليه من أحكامهم و أفعالهم إلا الشعر، فيه كانوا يتختصمون، وبه يتمثلون، وبه يتفاضلون، وبه يتقاسمون، وبه يتناضلون، وبه يمدحون و يعيبون"[2].

وكذلك الجاحظ يثبت ذلك بقوله إن حياة العرب كانت ملتصقة بالشعر:"فكل أمة تعتمد في استيفاء مآثرها، وتحصين مناقبها على ضرب من الضروب، وشكل من الأشكال، وكانت العرب في جاهليتها تحتال في تقليدها، بأن تعتمد في ذلك على الشعر الموزون، والكلام المقفى، وكان ذلك هو ديوانها".[3]

وقال أبو هلال العسكري:"لا تعرف أنساب العرب وتواريخها وأيامها و وقائعها إلا من جملة أشعارها، فالشعر ديوان العرب، وخزانة حكمتها، ومستنبط آدابها، ومستودع علومها".[4]

---

[1] : الرحيق المختوم، المؤلف: صفي الرحمن مباركفوري، الناشر: دارالوفاء للطباعة والنشر والتوزيع المنصورة: 1991م،

[2] – تاريخ اليعقوبي، تأليف : أحمد بن أبي يعقوب، دارصادر. بيروت،1960م: 262/1

[3] – الحيوان، تأليف: الجاحظ، تحقيق: عبد السلام هارون، مصر، ط –1، 1938م:81/1

4 - كتاب الصناعتين، التأليف: أبي هلال العسكري، تحقيق : علي محمد البجاري، ومحمد أبي الفضل إبراهيم، مصر، 1971م: 144

فلا شك أن الشعر كان يحتل مكانة عالية عند العرب ووسيلة التثقيف لهم لأن فيه الحكم والأمثال، والسلاح المؤثر الذي يذودون به عن القبيلة ولا تقل فاعليته عن أدوات الحرب وفرسانها، فكثر لديهم شعرالبطولة والحرب.

بعد مجئ الإسلام ظل دور الشعراء في الحرب لا ينكر، بل زادت أهمية شعر الحرب في الإسلام لعظمة الجهاد فيه وعلو منزلته كما روي عن النبي صلى الله عليه وسلم حينما اشتد هجاء المشركين ضده فحث النبي صلى الله عليه وسلم المسلمين على ردهم كما روي عن الزهري*([1])، قال أخبرني أبو سلمة بن عبدالرحمن*([2]) أنه سمع حسان بن ثابت الأنصاري يستشهد أبا هريرة" أنشدك الله هل سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول، يا حسان أجب عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، اللهم أيده بروح القدس، قال أبوهريرة، نعم."([3]) فثبت في وقعة حسان بن ثابت اتصال الحرب بالشعر عندما بدأ المشركون يهجون الرسول والمسلمين ويقدحون الإسلام ويؤذونهم بألسنتهم، حث النبي صلى الله عليه وسلم من المسلمين الذين يستطيعون ردهم بألسنتهم ليكفوا عن إيذاء النبي صلى الله عليه وسلم، فتقدم الشعراء من المسلمين وتهيئوا لردهم حيث جاءت في الحديث النبوي الشريف، " عن عائشة رضي الله عنها أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: اهجو قريشا فإنه أشد عليها من رشق النبل، فأرسل ابن رواحة فقال: اهجهم، فهجاهم، فلم يرض، فأرسل إلى كعب ابن مالك ثم أرسل إلى حسان ابن

1*- محمد بن عبد الله بن عبيد الله بن شهاب الزهري المدني، أحد فقهاء السبعة وأحد الأعلام المشهورين عن أربع وسبعين سنة، سمع من سهل بن سعد وأنس بن مالك، وله نحو ألفي أحاديث، وقال عمر بن عبد العزيز لم يبق أعلم بسنة ماضية من الزهري وكذا قال مكحول(إسعاف المبطأ برجال الموطأ، للسيوطي).

2*- أبو سلمة بن عبد الرحمن بن عوف، وقيل اسمه عبد الله، وقيل اسماعيل، وقيل اسمه كنيته، روى عن أبيه وعن عثمان وجابر وابن عمر وعائشة وأم سلمة وخلق، وثقه ابن سعد وغيره، وكان فقيها إماما مات بالمدينة سنة أربعة وتسعين عن ثنتين وسبعين سنة(إسعاف المبطأ برجال الموطأ، للسيوطي)

1- الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله صلى الله عليه وسلم وسننه وأيامه، المؤلف: أبو عبدالله محمد بن إسماعيل بن إبراهيم البخاري، المحقق: محمد زهير بن ناصر الناصر، الناشر: دار طوق النجاة، الطبعة الأولى، التاريخ: 1422هـ: 463/1

ثابت فلما دخل حسان قال: قد آن لكم أن ترسلوا إلى هذا الأسد الضارب بذنبه، ثم دلع لسانه فجعل يحركه قال: والذي بعثك بالحق لأفرينهم فري الأدم، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: لا تعجل، فإن أبا بكر أعلم قريشا بأنسابها وإن لي فيهم نسبا حتى يخلص لك نسبي، فأتاه حسان ثم رجع فقال: يا رسول الله، قد خلص لي نسبك والذي بعثك بالحق لأسلنك منهم كما تُسل الشعرة من العجين، قالت عائشة: فسمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لحسان: إن روح القدس لا يزال يؤيدك ما نافحت عن الله ورسوله قالت، فسمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: هجاهم حسان فشفى واشتفى."[1]

فكان حسان بن ثابت رضي الله عنه يدافع عن الرسول صلى الله عليه وسلم ويصور مشاهد الحرب وهو يقول:

عدمنا خيلنا إن لم تروها تثير النقع موعـدها كداء

لنا في كل يوم من معد قتال أو سباب أو هـجاء[2]

وكانت العرب أمة تقضي معظم حياتها في المعارك والحروب تستمر سنين بين القبائل ووقعت بينهم مشاجرات الجدل والقتال على الأمور البسيطة ولكل قبيلة شاعر يتغنى بمآثر الأجداد ومحامد الشجعان ولتنشيط الفرسان يذكر محاسن الأجداد ومساوئ الأعداء والرثاء للقتلى، فأوجدوا الأدب الحربي الضخيم.

1- المعجم الكبير، المؤلف: سليمان بن أحمد بن أيوب أبوالقاسم الطبراني، الناشر: مكتبة العلوم والحكم- الموصل، الطبعة الثانية،التاريخ:1983م، المحقق: حمدي بن عبد المجيد السلفي، 4/ 38

2- شرح ديوان حسان بن ثابت الأنصاري رضي الله عنه للبرقوقي، المطبعة الرحمانية بمصر، 1929م، ص: 7-9

الفصل الثاني

الابتكار والتقليد في تصوير خيل الحرب عند الشاعرين

يشتمل على مبحثين:

1:وصف خيل الحرب عند المتنبي

2: وصف خيل الحرب عند أبي فراس

الخيل كانت تعد من أهم عناصر الحرب عند العرب في العصر الجاهلي حيث إنهم ركبوا عليها ودافعوا ذمارهم وعشائرهم وحماهم، فيأتي ذكرها في مآثر الفرسان ومحامد الشجعان فلا تخلو قصص فروسيتهم من ذكرها، فلذا شعراءهم صوروها أدق التصوير وأنشدوا أجود أبياتهم في ذكر الخيل حتى ذكروا حمحمة الخيل وعواطفها كما يقول عنترة عندما يقص شجاعته في الحرب:

فَازْوَرَّ مِن وَقْعِ ٱلقَنَا بِلَبَانِهِ وَشَكَا إِلَيَّ بِعَبرَةٍ وَتَحَمْحُمِ[1]

وقال وداك بن ثميل المازني في وصف الخيل:

تَلَاقُوا جِيَادًا لَاتَحِيدُ عَنِ الْوَغَى إِذَا مَا غَدَتْ فِي مَأزِقِ الْمُتَدَانِي[2]

وقال في وصف الفرسان:

عَلَيهَا الْكُمَاةُ الْغُرُّ مِن آلِ مَازِنٍ لُيُوثُ طَعَانٍ عِند كُلِّ طَعَانِ[3]

وقال الحريش بن هلال القريعي من أحد شعراء الحماسة لأبي تمام، وهو شاعر إسلامي شهد في غزوة حنين مع جيش خالد ابن وليد رضي الله عنه يصحب فيها مع النبي صلى الله عليه وسلم وذكر شجاعة خالد رضى الله عنه:

شَهِدنَ مَـعَ النَّبِيِّ مُسَوَّمَاتٌ حُنَيناً وَهِيَ دَامِيَةٌ الحَوَامِي

وَوَقْعَةَ خالدٍ شَهِدَتْ وحَكَّتْ سَنَابِكَهَا عَلَى الْبَلَدِ الْحَرَامِ

---

[1]- ديوان عنترة، الشرح و التحقيق: محمد سعيد مولوي، دار النشر الإسلامي، 1964م، ص: 219

[2]- شرح ديوان الحماسة، المرزوقي، تعليق: غريد الشيخ، دار الكتب العلمية- بيروت، 1424هـ، ص: 96

[3]- المرجع السابق، ص: 97

نَعْرِضُ لِلسُّيُوفِ إِذَا الْتَقَينَـا وُجُوهًا لَا تُعرضُ لِلِّطَامِ[1]

قال عمرو بن معديكرب وهو شاعر مخضرم:

أَعْدَدْتُ لِلْحَدَثَانِ سَا بِغَـةً وَعَدَّاءً عَلَنْدَى

قَومٌ إِذَا لَبِسُوا الْحَدِيدَ تَنَمَّرُوا حَلْقًا وَقَـدًّا[2]

عداء: الفرس، علندى: الضخم، الطويل[3]

المبحث الأول

وصف خيل الحرب عند المتنبي:

الخيل أهم عنصر من عناصر الحرب ولا تخلو المعارك والحروب من هذا العنصر القوي ولا يستغني عنه فارس ولا مقاتل ولا قائد حرب. ومنذ العصر الجاهلي إلى العصر العباسي احتل الخيل مكانا مرموقا في فتح البلاد وهزيمة الأعداء، وشهد المتنبي المعارك الكثيرة مع سيف الدولة وهو شاعر الإبداع في مواقف القتال، وعرض فيه أحسن التصوير لخيل الحرب ويوجد الوصف الشامل للخيل في شعر العرب قديما وحديثا .

ويذكر المتنبي الخيل في شعره باهتمام بالغ وأخذ من القدامى وابتكر فيه كما يقول:

كَأَنَّ خُيُولَنَا كَانَت قَدِيمًا تُسَقَّى فِي قُحُوفِهِمُ الْحَلِيبَا

---

[1]- شرح ديوان الحماسة، المرزوقي،ص:104

2-ديوان الحماسة-تأليف: أبي تمام بن أوس الطائ-تحقيق، د. عبد المنعم احمد الصالح، دارالشئون الثقافية العامة- بغداد ص:57

[3]- تاج العروس من جواهر القاموس، مرتضى الزبيدي، دار الهداية - القاهرة، 8/ 408

فَمَرَّتْ غَيرَ نَافِرَةٍ عَلَيهِمْ تَدُوسُ بِنَا الجَمَاجِمَ وَالتَّرِيبَا([1])

التحليلات اللغوية:

القحف: وهو العظم الذي فوق الدماغ من الجمجمة([2])

الجمجمة: عظم الرأس المشتمل على الدماغ والرأس([3])

يقول المتنبي في هذه الأبيات كأن خيلنا كانت في صغرها تسقى اللبن في أقحاف رؤوسهم فألفتهم حتى صارت تدوس جماجمهم وصدورهم ونحن عليها لا تنفر منهم... وقد جرت عادة العرب بأن تسقى اللبن كرام خيولها. هذه الأبيات تمثل صورة تقليدية وابتكارية معا حيث اتبع المتنبي عادة العرب إذ كانت تسقي اللبن كرام خيولهم، ولكنه تناوله بصورة مبتكرة حيث يقول إن خيولهم – خيول الجيش لسيف الدولة- تعتاد أن تسقى الحليب في أقحاف الأعداء وفي جماجمهم، يصور بذلك هزيمة الأعداء في أبشع صورة أرهب للأعداء التي تؤثر في القلوب.

استخدام التركيب المبتكر

وقال أيضا في وصف الخيل:

لَمَّا رَأَوهُ وَخَيلُ النَّصْرِ مُقْبِلَةٌ وَالحَربُ غَيرُ عَوَانٍ أَسلَمُوا الحِلَلَا([4])

الحرب العوان: التي قوتل فيها المرة بعد المرة، والحلل: جمع حلة، وهي المنازل التي حلوها.

---

[1]- ديوان المتنبي، محمد خداش، ص: 163

2- المحكم والمحيط الأعظم، أبو الحسن علي بن إسماعيل المرسي، تحقيق: عبد الحميد الهنداوي، دار الكتب العلمية - بيروت، 2000م: 18/3

[3]- المرجع السابق: 1/ 133

[4]- ديوان المتنبي، محمد خداش، ص: 15

يقول: منا رأت تميم هذا الممدوح وخيله المنصورة قد أقبلت عليهم ولم يقاتلهم بعد: تركوا منازلهم وهربوا في أول الأمر. [1] وفي هذا البيت استخدم المتنبي التركيب الجديد "خيل النصر" في وصف الخيل كصفة لازمة لخيل الممدوح وكأنه جعل الخيل والنصر متلازمين، وهذا أجدر له لأن طبعه المضطر كان دائما يريد السبق والعلو على الشعراء الآخرين، فما سبقه شاعر في هذا الوصف إلا شواذ منهم، كما يقول ابن هانئ الأندلسي:

وَنُوَدِّي بِالتِرحَالِ فِي فَحمِ الدُّجَى فَجَاءَته خَيلُ النَّصرِ تُردِي وتَمزعُ[2]

المبالغة في التشبيه

وقال أبو الطيب يصف الخيل:

يَذرِي اللُّقَانُ غُبَارًا فِي مَنَاخِرِهَا وَفِي حَنَاجِرِهَا مِن آلِسٍ جُرَعُ[3]

التحليلات اللغوية: اللقان: اسم قرية من الروم، آلس: اسم نهر الروم في موضع اللقان.

يقول: شربت خيل سيف الدولة الماء من نهر آلس موضع اللقان قبل أن تبتلع ما شربته، فما هذا النهر في حلوقها وقد وصلها إلى حناجرها غبار اللقان، وهناك مسافة بعيدة بين اللقان ونهر آلس، وعبارة ابن افليلي:" وصلت اللقان وحناجرها لم تجف من ماء النهر." فهو يشير إلى ركض الخيل وشدة إسراعها وهذه مبالغة. وقال ابن جني: " لا تستقر فتشرب، وإنما تختلس الماء اختلاسا بمواصلة السير". وقال أيضا: " ولا يجوز أن تكون شربت الماء قليلا لعلمها بما يعقب في

---

[1]- شرح ديوان المتنبي : 287/3

[2]- دواوين الشعر العربي على مر العصور، موقع الأدب: 272/3

[3]- ديوان المتنبي، محمد خداش: 259

الركض، وكذا يفعل كرام الخيل". وهذه الخيل كانت تختلس الماء كما ذكر ابن جني، لأن المسافة بين الموضعين بعيدة، فلو شربت كل الماء الذي في فمها لوصلت إلى اللقان وحناجرها جافة."[1]

والابتكار فيه أن الخيل قطعت مسافة بعيدة بين الموضعين وما زالت جرعة الماء في حلوقهم، وهذا من ابتكار المتنبي الذي كان نابغة من نوابغ عصره، مع ذلك تلمح فيه المبالغة الواضحة ولكن القارئ يتحير بحسن ابتكاره وروعة معناه.

وقال أيضا في وصف الخيل:

لَهُ عَسْكَرَا خَيلٍ وَطَيرٍ إذَا رَمَى بِهَا عَسْكَرًا لَم يَبْقَ إلَّا جَمَاجِمُه[2]

قيل إن له عسكرين خيله والطير التي اعتادت أن تصبحه لكثرة وقائعه حتى تأكل من لحوم القتلى، فكأنها من عديد جيشه، فإذا رمى بها عسكر العدو لم يبق إلا عظام الجماجم، لأن عسكر الخيل يقتلهم، وعسكر الطير يأكل لحومهم- وقد عاب ابن وكيع[3]* هذا البيت قال: لا أدري كيف خص الجماجم بالبقاء دون سائر العظام؟ والطير لا تأكل عظام الموتى، وذلك أن الخيل إذا حملت بمن عليها أهلكت العدو فتأكلهم الطير ولا تدع العظام إلا الوحش. فما أبدع قول النابغة في هذا المعنى:

إذَا غَزَوا بِالجَيشِ حَلَّقَ فَوقَهُم عَصَائِبُ طَيرٍ تَهتَدِي بِعَصَائِبِ

---

[1]- شرح ديوان المتنبي: 2/ 336

[2]- ديوان المتبي، محمد خداش، ص: 217

3-* **ابن وكيع**: الحسن بن علي الضبي التينسي أبو محمد، المعروف بابن وكيع: شاعر مجيد أصله من بغداد، ومولده ووفاته من تنيس(مصر) له ديوان شعر وكتاب المصنف في سرقات المتنبي، وكانت في لسانه عجمة، توفي سنة 393هـ(الأعلام للزركلي، 2/ 201

يُصَاحِبنَهُم حَتّى يُغِرنَ مُغَارَهُم مِنَ الضَّارِيَاتِ بِالدِّمَاءِ الدَّوَارِبِ[1]

فهذا معنى تقليدي أخذه المتنبي من الشعراء المتقدمين و وظفه في صورة جديدة وكانت العرب عادة تضرب الطير المحشورة كعلامة للغلبة والاستيلاء في الحرب، كما يقول المتنبي في نفس المعنى حيث قال:

سَحَابٌ مِنَ العِقْبَانِ يَزحَفُ تَحتَهَا سَحَابٌ إذَا اسْتَسْقَتْ سَقَتْهَا صَوَارِمُهْ[2]

وفي شعر المتني يبدو عنصر الغلو واضحا والإسراف في الوصف إذ يقول: إذا رمى بها عسكرا لم يبق إلا جماجم" فطبعه المضطرب المتلون دائما حثه على التماس وصف جديد مبتكر لايسبقه شاعر من قبله.

الآثار الثقافية

ويقول أيضا في وصف الخيل:

أَوَّلَ حَرفٍ مِنِ اسْمِهِ كَتَبَتْ سَنَابِكُ الخَيلِ مِن جَلَامِيدِ[3]

التحليلات اللغوية ووجوه الابتكار: الجلاميد:الصخور، وأراد بأول حرف من اسمه: "العين" لأن اسمه علي والسنبك: طرف الحافر[4]

1- ديوان النابغة الذبياني، مطبعة الهلال بالفجالة بمصر، 1911م، ص: 11

2- ديوان المتنبي، تحقيق: محمد حداش، الناشر: دار الغد الجديد، 1433هـ ، الموافق: 2013م، ص: 218

3- المرجع السابق: 246

4- شرح ديوان المتنبي: 1/ 389

يقول فيه إن حوافر الخيل لشدة وقعها على الصخور كانت تطبع فيها أثرا يشبه حرف العين في استدراته وفراغ وسطه. وطرف الحافر يشبه فم الحرف "ع" ولا جدال أن هذا تشبيه نادر مبتكر، فلا يأتي به إلا الشاعر المثقف المتعلم، وبما أن المتنبي كان يمثل المجتمع المثقف المتقدم الذي يختلف تماما عن المجتمع الجاهلي القديم فالحروف التي يتكون منها الكلمات أقرب إلى الأذهان في هذا المجتمع، فالحروف مألوفة لديهم وأفهم، ووسائل الكتابة متوافرة آنذاك فالتشبيه مثل هذا أحلى للمسامع ويؤثر في أحاسيس الناس.

الإبداع في التشبيه

وقال أيضا في وصف الخيل:

حَتَّى وَرَدنَ بِسِمْنِينٍ بُحَيرَتَهَا تَنِشُّ بِالمَاءِ فِي أَشْدَاقِهَا اللُّجُمُ[1]

التحليلات اللغوية: سمنين: اسم موضع في الروم، التنشيش: صوت الماء إذا غلي فيه،[2]

يُنظر فيه غلو وإسراف واضح كما هي سمة بارزة في شعر المتنبي.

يقول فيه أن لجم الخيل أصبحت حارة لشدة إقدامهن في الحرب حتى إذا أدخلنها في ماء البحر تنش والماء يغلي، فهذا التشبيه التمثيلي يدل على شدة الحرب وجلادة جيش الممدوح وشدة ركض خيله، ويميل فيه المتنبي إلى الإسراف في الوصف كعادته، وفيه تذكرة البلد الرومي والبحر تدل على امتداد الحرب والتوسع في التخيل، واستحرت لُجُم الخيل حتى أصبحت تنشّ بالماء.

---

[1] – ديوان المتنبي، محمد خداش، ص: 349

2– مصباح اللغات، مولانا عبد الحفيظ بلياوي، دار النشر: شركة مدينة للطباعة – كراتشي، مارس، 1982م، ص: 873

الابتكار في التشبيه

وقال أيضا في وصف الخيل:

وَمَلمُـومَةٌ، سَيفِيـةٌ، رَبْعِيــةٌ تَصِيحُ الحَصَى فِيهَا صِيَاحَ اللَّقَالِقِ[1]

يصيح الحصى: أي الحصى يصيح مثل الطير الكبير، اسمه اللقالق، جمع لقلق، طائر كبير كثير في العراق. وفي المعجم الوسيط: اللقلاق: طائر من الطيور القواطع وهو كبير طويل الساقين والعنق والمنقار، أحمر الساقين والرجلين والمنقار.[2] وفي تاج العروس: اللقلق: طائر أعجمي، طويل العنق، يأكل الحيات[3]، ويصيح الحصى فيها: أي عند وقع حوافر الخيل عليه، شبه صوت الحصى بصوت اللقالق، يراد به أن جيش سيف الدولة بلغ تلك الفلاة البعيدة، فلقلق من طير العراق، فالشعراء في جزيرة العرب لم يشبهوا بهذا الطير، فلا منازع أن هذا من ابتكار المتنبي.

الغرابة في التشبيه

وقال أيضا في وصف الخيل:

عَوَابِسَ حَلَّى يَابِسُ المَاءِ حُزمَهَا فَهُنّ عَلَى أَوسَاطِهَا كَالْمَنَاطِقِ[4]

عوابس: حال من الخيل- أي كالحة لما أصابها من الجهد، وأراد بيابس الماء: ما جف من العرق، وعرق الخيل إذا جف أبيض، والمناطق: جمع منطقة، ما يشد به الوسط.[5]

---

[1]- ديوان المتبي، محمد خداش، ص: 326

[2]- المعجم الوسيط: 2/ 895

[3]- تاج العروس: 26/ 362

[4]- ديوان المتبي، محمد خداش: 325

[5]- شرح ديوان المتنبي: 3/ 65

يقول فيه أتتهم الخيل كالحة وقد جف العرق على حزمها فأبيض، فصارت الحزم كأنها المناطق المحلاة بالفضة. فهذا من أروع الأوصاف التي قالها المتنبي في وصف الخيل وابتكر فيه وما سبقه أحد قبل ذلك. وأما "عوابس" فمن صفة الخيل تتبع فيه المتنبي تقليد بعض شعراء الجاهلية كما قالت الخنساء رضي الله عنها في صفة الخيل:

نعوا مالكا بالتاج لما هبطنه عوابس في هابي الغبار كوالحا[1]

وقال النابغة الذبياني في وصف الخيل:

على عارفات الطعان عوابس بهن كلوم بين دام وجالب[2]

استخدام التركيب المبتكر

وقال أبو الطيب أيضا في وصف الخيل:

فَأَتَتْهُم خَوَارِقُ الأرضِ مَا تَحـ ـمِلُ إلَّا الحَدِيدَ وَالأَبْطَالَا[3]

التحليلات اللغوية: فأتتهم: أي الجياد، وخوارق: حال للفرسان، من خرق المفازة إذا قطعها حتى بلغ أقصاها.[4]

يقول فيه أتتهم خيل سيف الدولة تقطع الأرض سرعة، وعليها الأبطال مدججين بالسلاح، ويقال خرق الأرض يخرقها: أي قطعها حتى بلغ أقصاها، وفي التنزيل: **(إِنَّكَ لَنْ تَخْرِقَ الأَرضَ**

---

[1]- ديوان الخنساء، شرح وتبويب: حمدو طماس، دار المعرفة- بيروت، 2004م، ص: 14

[2]- ديوان النابغة الذبياني، ص: 12

[3]- ديوان المتنبي، محمد خداش، ص: 338

[4]- شرح ديوان المتبي: 3/ 255

وَلَنْ تَبْلُغَ الْجِبَالَ طُولًا)[1] فشاعر مثل المتنبي الذي يتنفس في أرض الثقافة والعلم ويعيش في ألوان من الجنسيات والشعوب والمهرة من العلماء والفضلاء، فلا عجب أن يأتي بالجديد من التراكيب والتشبيهات المبتكرة؟ فخوارق الأرض لوصف من الخيول هو التركيب الذي اخترعه المتنبي الذي ألهمه طبعه المضطرب وذهنه المتوقد الذي كان دائما يدفعه إلى التشبيه البارع النادر الذي قلما استخدمه شاعر من قبله في وصف الخيل.

ويقول أيضا في وصف الخيل:

وَكَرَّتْ فَمَرَّتْ فِي دِمَاءِ مَلَطْيَةٍ مَلَطْيَةُ أُمٌّ لِلبَنِينَ ثَكُولُ[2]

والثكول: التي تفقد أولادها، يقول: وعادت الخيل مرت في دماء أهل ملطية ، أي سفكت دماءهم حتى خاضت فيها، ثم جعل ملطية أما لأهلها وجعلهم كالبنين لها، وقد فقدتهم حين قتلوا. في هذا البيت إن المتنبي قد جعل البلد الرومي كمثل الأم لسكانها، وجعل السكان مثل أولادها، حيث إنه يبين الاتصال الوثيق بينهما، فهذه فكرة مبتكرة نادرة لإظهار صلة الإنسان للوطن التي قدمها المتنبي، ومعها ذكر اسم بلد رومي.

التمثيل الإبداعي

وقال أيضا في وصف الخيل:

وَرُعْنَ بِنَا قَلبَ الفُرَاتِ كَأَنَّمَا تَخِرُّ عَلَيهِ بِالرِّجَالِ سُيُولُ[3]

---

[1]- سورة الإسراء، رقم الآية:

[2]- ديوان المتنبي، محمد خداش، ص:294

[3]- ديوان المتبي، محمد خداش، ص: 294

يقول فيه: لما عبرت الخيل بنا الفرات راعته – أفزعته – كثرة الخيل – أي كثرة الجيوش– التي خاضته، فكأنما تنحدر سيول بالرجال، ولما جعل الفرات مروعا استعار له قلبا لأن الروع يكون في القلب. إن المتنبي في هذا البيت جعل للنهر فرات قلب يرتجف ويتروع بأخفاف الخيل – خيل سيف الدولة – حينما تعبره، فهذه استعارة جميلة حيث ذكر فيه النهر المذعور الذي يفزع بورود خيل الممدوح، فهذا التشبيه غير معروف عند العرب، فلا منازع أن شعر المتنبي ملئ بالمبتكرات وهو دائما يلتمس في الآفاق الجديدة ويروم إلى علو النجوم حتى بلغ إلى ذروة الشعر.

وقال أيضا في وصف الخيل:

فَلَمَّا تَجَلَّى مِن دَلُوكٍ وصَنجَةٍ عَلَتْ كُلَّ طَودٍ رَايَةٌ وَ رَعِيلُ[1]

شرح الألفاظ: دلوك: موضع وراء الفرات، وصنجة: نهر بين ديار مضر وديار بكر، والطود: جبل عظيم، يقول فيه: لما فصل من هذين الموضعين وبان منهما تفرقت فرسانه فعمت راياته وخيله الجبال.

في هذا البيت ذكر المتنبي النهرين المشهورين – الفرات و صنجة- خارجا الجزيرة في بلاد الروم، وفي الشعر الجاهلي قلما ذكر الأنهار لعدم وجودها في جزيرة العرب، وذكر فيه انتشار الخيل في الأماكن الرومية من أنجادها وأغوارها، هذا يدل على أن فكرة المتنبي أعم وأوسع من فكرة الشاعر الجاهلي.

التشبيه البديع

وقال أبو الطيب في وصف الخيل:

---

[1]– المرجع السابق، ص: 293

شَوَائِلَ تَشْوَالَ العَقَارِبَ بِالقَنَا لَهَا مَرَحٌ مِنْ تَحْتِهِ وَصَهِيلُ[1]

شوائل: حال من الجرد ــ في البيت السابق الذي قال فيه، رمى الدرب بالجرد الجياد إلى العدا وما علموا أن السهام خيول – وشالت العقرب ذنبها: رفعته، وتشوال: مفعول مطلق، وبالقنا: متعلق بشوائل، وأراد الشوائل بالقنا تشوال العقارب بأذنابها، والمرح: لعب يتبعه النشاط، والضمير في" تحته" القنا، ويجوز أن يكون للممدوح، شبه الرماح على الخيل بأذناب العقارب إذا رفعتها، يشير إلى سرعة سيرها وكثرة جريها ورفعها الأذناب في ذلك الجري، وهو دليل كرمها وقوتها، والتشوال أكثر ما يكون عند الجري، ثم دل على نشاطها بمراحها وعلى عزة نفسها بصهيلها. هذا من ابتكار المتنبي أن أتى بتشبيه العقارب في الوصف الحربي، ومن قبل ذلك قد استخدمه الشعراء في الأغراض الأخرى، الحب مثلا كما يقول جرير:

كأن نقيق الحب في حاويائه نقيق الأفاعي أو نقيق العقارب[2]

وكما يقول بشار:

يشتكي من فؤاده مثل لسع العقارب[3]

وكذلك قال أبو الطيب مثل قوله، بل ابتكر هذه الفكرة وبلغ إلى الغاية في غرابة التشبيه، فهذا من طبعه المضطرب وذهنه المتوقد الذي دائما يدفعه إلى الوصف المبتكر فشبه الخيل الراكضة بالعقارب.

وقال أيضا في وصف الخيل تصويرا مبدعا:

---

[1]– ديوان المتنبي، محمد خداش، ص: 293

[2]- ديوان جرير، ص: 80

3- ديوان بشار بن البرد، شرح وتعليق: محمد الطاهر بن عاشور، لجنة التأليف والترجمة والنشر- القاهرة، 1376هـ، ص: 53

وِفِي بَطْنِ هِنزِيطٍ وِسِمْنِينَ لِلظُبَى وَصُمَّ القَنَا مِمَّنْ أَبَدْنَ بَدِيلُ[1]

" الظبى: جمع ظبة، حد السيف، وصم القنا: رماح الصلبة. يقول فيه: كانت السيوف والرماح قد أفنت أهل هذين الموضعين، فلما عاودته بعد مدة، وجدت قوما آخرين قد أدركوا بدلا ممن أفنتهم، يعني إغارة هذه الخيل على هذين الموضعين متتابعة متواصلة على الروم، وكلما أتتها طائفة منهم أفنتها هذه الخيل"[2].

في هذا البيت يصف المتنبي الخيل بأسلوب رائع جميل، وابتكر في التشبيه حيث يقول كلما دخلت خيل الممدوح في البلاد الرومية، قامت بتصفية سكانها، ثم حل مكانهم سكان آخرون، وتارة أخرى تدخل عليهم الخيل فتجد قوما آخرين فأفنتهم، فهذا يدل على الهجمات المتتابعة لخيل سيف الدولة على البلاد الرومية بدون تعب أو كلل، فهذا تشبيه رائع فيه جدة نادرة ما سبقه فيها أحد من شعراء العصر الجاهلي، وبعد ذلك أنه ذكر المدن الرومية المفتوحة ما جعله تاريخا نابضا لتلك الأحداث التي مرت في ذاك الزمن.

الإمعان في التشبيه

وقال المتنبي أيضا في وصف الخيل:

وَخَيلٍ يَرَاهَا الرَّكضُ فِي كُلِّ بَلْدَةٍ إِذَا عَرَّسَتْ فيهَا فَلَيسَ تَقِيلُ[3]

---

[1]- ديوان المتنبي، محمد خداش، ص: 294

[2]- شرح ديوان المتنبي: 224/3

[3]- ديوان المتنبي، محمد خداش، ص:293

شرح الألفاظ: "التعريس: نزول الركب آخر الليل للاستراحة، وتقيل: أي تنزل وقت الهاجرة أي نصف النهار للنوم يقول: إن خيله تضمنها ذلك الجيش هزلها لما يجشمها من العدو فهي لا تزال دائبة التسيار في بلاد العدو، فإذا نزلت ليلا في بلد لم تقم به نهارا بل تقيل لبلد آخر"([1]).

في هذا البيت يصف المتنبي الخيل بصفة رائعة جميلة ويشير إلى الحملات المتتابعة لخيل سيف الدولة في البلاد الرومية، فيظهر تحركها وركضها في كل بلد من بلادهم حيث إنهم يشاهدونها في آناء الليل والنهار حتى لا تستريح في وقت الهاجرة، ففيه دقة التشبيه والتخيل وحسن القسمة لأوقات جيشه، ما بلغها إلا قليل من الشعراء.

المبحث الثاني:

وصف خيل الحرب عند أبي فراس:

كان أبو فراس فارسا مغوارا ومقاتلا شجاعا يحب خوض المعارك الدامية، وعاش كل الحياة تحت ظلال السيوف وفي اشتغال الحروب، وكانت له مكانة عالية عند ابن عمه سيف الدولة، وإذ تلمح في كلامه عزة الملك، وبطولة الفارس المغوار، ففي شعره إحساس قوي ومشهد رائع للحرب، وبالتالي هذا بعض النماذج من شعره.

التأثر بالفكرة القرآنية

هو يقول في وصف الخيل:

أسرت وما صحبي بعزل لدى الوغى ولا فرسي مهـر ولا ربه غمـر

[1]- شرح ديوان المتنبي: 3/ 222

وَلكِنْ إِذَا حُـمَّ القَضَاءُ عَلَى امْـرِئٍ فَلَيسَ لَهُ بَرٌّ يَقِيـهِ وَلَا بَحْـــرُ[1]

التحليلات اللغوية:

العزل: الخالون من السلاح، حم القضاء: انكب ونزل، وفي تاج العروس: حم الله لك كذا: أي قضاه وقدره[2]

في هذه الأبيات يظهر الحمداني إيقانه بورود الموت على المرء وأن الموت يرد على الرجل بدون إخباره وفي الموعد المعين حيث وافق فكره بالقرآن الكريم والعقيدة الإسلامية ويقول الله تعالى: (**لِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ إِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ فَلَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ**)[3]، استلهم الحمداني فكرة الحماس والشجاعة والإقدام في الحروب من القرآن الكريم والعقائد الإسلامية فلا يبالي عدد الجيش وبأس المقارن والنزال في الحرب، وهو واثق به أنه ملاق ربه ويقوم أمامه فلذا فكرة الموت عنده أرقى وأسمى ومليئة بالرجا والعزائم العالية كما يقول:

هُوَ الْمَوتُ فَاخْتَرْ مَا عَلَا لَكَ ذِكْرُهُ فَلَمْ يَمُتِ الإِنْسَانُ مَا حَيِيَ الذِّكْرُ[4]

لم يخل الشعر الجاهلي عن تذكرة الموت، بسبب الحروب المتتابعة وحلول السنين وقلة وسائل الحياة الصحراوية، وعندهم فكرة خاصة للموت، حيث إن فكرة الموت توجد في العصر الجاهلي من شتى الجهات والشعراء الجاهليون قد أخذوها في صور مختلفة ولكن أبا فراس قد أخذ فكرة

1- ديوان أبي فراس الحمداني، تقديم و شرح: عبد القادر محمد مايو، الناشر: دار القلم العربي-سورية، 1420هـ ، ص: 129

2- تاج العروس من جواهر القاموس، المؤلف: مرتضى الزبيدي، دار الهداية: 32/ 5

3 - سورة يونس - 49

4- ديوان أبي فراس الحمداني، ص: 129

الموت أقرب إلى العقيدة الإسلامية، وأن فكرة الموت تظهر في العصر الجاهلي في شتى الجهات كما يقول حسان بن ثابت رضي الله عنه:

لها حائطان الموت أسفل منهما وجمع متى يصرخ بيثرب يصعد[1]

وكما يقول:

فأخزاك ربي يا عتيب بن مالك ولقاك قبل الموت إحدى الصواعق[2]

وقال طرفة بن العبد البكري:

لعمرك إن الموت ما أخطأالفتى لكا الطول المرخى وثنياه باليد[3]

لاجدال في أن الشعر الجاهلي يكشف عن حقائق الموت وغوامضه ولكن فكرة الموت التي قدمها أبو فراس في أبياته أسمى وأعلى وأقرب إلى العقائد الدينية وتعليمات القرآن الحكيم ومليئة بالحيوية والتشوق إلى الموت ويمثل المؤمن المجاهد الذي لم يخش إلا الله كما ورد في القرآن الكريم: (**اَلَّذِينَ يُبَلِّغُونَ رِسَالَاتِ اللهِ وَيَخْشَونَهُ وَلَا يَخْشَونَ أَحَدًا إِلَّا اللهَ وَكَفَى بِاللهِ حَسِيبًا**) [4]

التأثر بالجهاد الإسلامي

وكذلك قد ظهرت آثار الحماس الإسلامي في شعره ما تشير إلى توكله على الله، واليقين الراسخ عليه، والصلة الوثيقة بالتعليمات الإسلامية، والرغبة القوية للجهاد في سبيل الله، كما ظهرت في أبياته، إذ يقول لسيف الدولة يحثه على أن يفديه وهو في أسر الروم:

---

[1]- ديوان حسان بن ثابت الأنصاري، شرح: عبد الرحمن البرقوقي، بمطبعة الرحمانية بمصر، 1929م، ص: 123

[2]- المرجع السابق، ص: 291

[3]- ديوان طرفة بن العبد، شرح وتقديم: مهدي محمد ناصرين، دارالكتب العلمية- بيروت، 2002م، ص: 26

[4]- سورة الأحزاب- 39

فإن لم يكن ود قديم نعـــده ولا نسب بين الرجال قـراب

فأحوط للإسلام أن لا يضيعني ولي عنك فيه حوطة ومناب[1]

فهذه الأبيات تدل على تغييره الفكري والخروج عن الفكر الجاهلي المقيد في الأغراض القبلية إلى أسمى فكر الجهاد الإسلامي، لا يوجد إلا شواذ من الشعراء مثل قول حسان رضي الله عنه:

وبنو أبيه ورهطه في معرك نصر الإله به ذوي الإسلام[2]

الوصف الجديد

ويقول أبو فراس الحمداني في بيت آخر يصف الخيل:

وَقَدْ ثَقَّفْتُ لِلْهَيجَاءِ رُمْـحِي وَأَضْمَرتُ الْمَهَارِي وَالمِهَارَا[3]

يستخدم أبو فراس الحمداني في البيت كلمتين ، المهاري والمهارا، وصاحب تاج العروس يفسر المهاري الإبل المهرية الذي ينسب إلى الحي المصري العظيم وإليها يرجع كل مهري وجمعه مهارى ومهاري، والمهارــ بكسر الميم- عود غليظ في رأسه فلكة يجعل في أنف البختي، ومثل قوله:

تخف به الأسنة والعوالي ومضمرة المهاري، و المهاري[4]

---

[1]- ديوان أبي فراس الحمداني، ص: 44

[2]- ديوان حسان بن ثابت الأنصاري، البرقوقي، ص: 364

[3]- المرجع السابق، ص: 121

[4]- المرجع السابق، ص: 178

وإن الحمداني قد استخدم هذا التركيب ولم يسبقه إليه أحد من قبل حسب معرفتي إلا قليل من الناس أي ما استعملوا الكلمتين معا كما يقول الخطيئة:

وأخفاف المخيسة المهارى يشد له السرائحَ والنقيل[1]

وقال كعب بن زهير:

وشدت على حدب المهارى رحالها ولا ينظر الغادي الذي هو رائح[2]

وقال ذوالرمة:

فرعن الحزن ثم طلعن منه يضعن ببطن عاجنة المهارا[3]

فبعد النظر في الأبيات المذكورة قد اتضح الأمر أن في كلام أبي فراس الحمداني الملامح التقليدية وقد يرى أثر الابتكار في بعض المواضع، وأنه قد اتبع على آثار القدامى قصصا ولكنه ابتكر فيها بعض الابتكار وكما يقول في موضع آخر:

أَشُقُّ وَرَاءَهُ الجَيشَ المُعَبَّا وَأَخْرُقُ بَعدَهُ الرَّهْجَ المُثَارَا[4]

وفي هذا البيت يعزو الحمداني فعل الإقدام في الحرب إلى نفسه وهذا من أوصاف أمير الجيش أو الرئيس وقد تابع الشعراء الجاهليين في الفخر، وكما يقول:

سَتَذكُرُنِي إِذَا طردتْ رِجَالٌ دَقَقتُ الرمحَ بَينهمُ مِرارَا" [5]

---

[1]- ديوان الخطيئة، تحقيق: حمدو طماس، دار المعرفة- بيروت، 2005م، ص: 114

[2]- ديوان كعب بن زهير، تحقيق: د. درويش الجويدي، المكتبة العصرية، صيدا- بيروت،1429هـ ----- 2008م، ص: 33

[3]- ديوان ذوالرمة، ص: 122

[4]- ديوان أبي فراس الحمداني، ص: 122

[5]- ديوان أبي فراس، ص:1 12

يظهر فيه ثقة الأمير أو الملك وهذا يدل على مكانته العالية في بلاط سيف الدولة.

التركيب المبتكر

ويقول أيضا في وصف الخيل:

وَقَائِدُهَا إِلَى الْغَمَرَاتِ شَعْثًا بَنَاتِ السَّبْقِ تَحتَ بَنِي الْكِفَاحِ[1]

يراد ببنات السبق الخيل العاديات وبني الكفاح المقاتلون.

فيه وصف مبتكر للخيول، ما سبق إليه أحد من قبله حيث إنه سمى الخيل بـ"بنات السبق" وقد اخترع الحمداني هذا المصطلح النادر الغريب الذي لم يوجد من قبله، ولم يعرف لدى الشعراء الجاهليين ولا لدى الشعراء الإسلاميين والمحدثين، ولا لدى أبناء عصره على حد علمي، فلا سيما كان ذلك العصر عصر الازدهار العلمي والثقافي، وعصر الاكتشاف والايجاد، فعدة مؤثرات لهذا العصر قد حضته على خلق التعبير المبتكر الجديد، ويختص الحمداني بهذا الابتكار.

التأثر بالكلمة القرآنية

قد تأثر أبو فراس الحمداني بالكلمة القرآنية ولا سيما أن هذا الأثر يظهر في شعره ما يدل على اتصاله بالقرآن كما يقول:

فَأَصْبَحْتَ مَا بَينَ الْعَدُوِّ وَبَينَنَا تُجَارِي بِكَ الْخَيلُ الْمُسَوَّمَةُ الْجُرُدُ[2]

[1]- شرح ديوان أبي فراس، ص: 84

[2]- شرح ديوان أبي فراس، ص: 94

في هذا البيت استعمل الحمداني الكلمة القرآنية " الخيل المسومة" فقلما يستعملها شاعر من قبل ذلك في كلامه ويرجع الفضل إليه في إستعمالها وأخذ من الآية: (**زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنْطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالأَنْعَامِ وَالْحَرْثِ**)[1] وكان لأبي فراس اتصال وثيق بالقرآن الكريم وبخاصة آيات الجهاد والقتال والخيل المسومة من أحب الأشياء عنده لأنه فارس مغوار ومقاتل مقدام واشتغل في الحروب طول حياته واستوحى من القرآن العظيم الذي أنفذ فيه روحا جريئة وحماسا قويا وأثر في أعماق قلبه،كما يدل عليه شعره حيث يقول:

إِلَى اللهِ أَشْكُو مَا أَرَى مِنْ عَشَائِرٍ إِذَا مَا دَنَونَا زَادَ جَاهِلُهُمْ بُعْدًا[2]

وقد أخذ الفكرة من القرآن الكريم كما في الآية: (**إِنَّمَا أَشْكُو بَثِّي وَحُزْنِي إِلَى اللهِ**)[3] وكذلك تظهر هذه الجهة في بعض أشعاره الأخرى حيث يقول متضرعا إلى الله تعالى مستغيثا له:

يا فارج الكرب العظيـم وكاشف الخطب الجليل

كن يا قوي، لذا الضعيف ويا عـزيز، لذا الذليـل[4]

لا شك في هذا الأمر أن الشعر مرآة لشخصية الشاعر وخير تمثيل لمحاسنه ومساويه وتعكس خلقه وعاداته و ميوله وكذلك شعر أبي فراس يكشف عن جوانب شخصيته، كان يستلهم من

---

[1]- سورة آل عمران، الآية: 14

[2]- شرح ديوان أبي فراس الحمداني، ص: 198

[3]- سورة يوسف، الآية: 86

[4]- شرح ديوان أبي فراس الحمداني، ص: 201

القرآن الكريم ولم يخش إلا الله والموت عنده مرحلة سامية ويطلب الشهادة في سبيل الله والإيمان بالله والتوكل عليه من المحسنات الشاعر المسلم و من أبرز سمات شخصيته.

الكناية الجميلة

ويقول الحمداني يصف الخيل:

إلى كَمْ نَرُدُّ البِيضَ عَنهُمْ صَوَادِيًا وَنَثني صُدُورَ الخَيلِ قَدْ مُلِئَتْ حِقْدَا[1]

فيه كناية جميلة و شئ جديد لحقد العدو المختفي في صدورهم ويتظاهر الحقد المرير في صدور الخيل حيث إن صفة الحقد تتعلق بالناس لا بالخيل وهذه كناية جميلة لحقد الصدور للأعداء وابتكار في التشبيه. وكذلك مثل عنترة تصويرا رائعا لمشاعر خيل الحرب في أبياته حيث قال:

فازور من وقع القنا بلبانه وشكا إلي بعبرة وتحمحم

لو كان يدري ما المحاورة اشتكي ولكان لو علم الكلام مكلّمي[2]

قد عرض عنترة مشاعر الخيل في بأس الحرب وآلامها بحمحمة الفرس وعبراته وهذا التصوير أقرب إلى الواقع لأن صدور الأصوات المؤلمة فيها يمكن في الخيل، وأما عواطف الحقد والضغن فأعمق وألطف من عواطف الألم وتتعلق بالإنسان لا بالخيل، لأنها لا تميز بين الأعداء والأحلاف فعندها سواء، فلهذا إن التصوير الحربي الذي قدمه الحمداني هو ابتكار جميل وزيادة حسنة على الشعر الجاهلي، لأنه كشف عن صدور الحقد من الخيل كناية لحقد الأعداء.

الآثار الثقافية

---

[1] – المرجع السابق، ص: 91

2- تمهيد الأوائل وتلخيص الدلائل، أبو بكر محمد بن الطيب الباقلاني، تحقيق: عمادالدين أحمد حيدر، مؤسسة الكتب الثقافية- بيروت، 1987م، ص: 273

وقال أبو فراس الحمداني يصف الخيل:

هَوَانَا غَرِيبُ شُزَّبُ الخَيلِ وَالقَنَا لَنَا كُتُبٌ، وَالْبَاتِرَاتُ رَسَائِلُ[1]

في هذا البيت تلمح الآثار الثقافية إذ يشبه أبو فراس الخيل بالكتب والباترات بالرسائل، إذ يمثل المجتمع الثقافي الذي عرف بالتقدم العلمي والازدهار الحضاري وكان الناس في هذا المجتمع يهتمون بالكتب والرسائل المكتوبة اهتماما بالغا، وأقيمت المكتبات وأسواق الوراقين حيث إنهم انكبوا ليلا ونهارا على كتابة الكتب واستنساخ المصادر، والأشياء التي تتعلق بالكتابة والقراءة التي وجدت أهمية بالغة في المجتمع العباسي الثاني، فليس بمستغرب أن هذه الآثار تلمح في الشعر والأدب، ولا سيما في شعر أبي فراس الحمداني، ومثل قوله:

بِأقلامِنا أُجْحِرتَ أَمْ بِسُيُوفِنَـا وَأَسَدُ الشَّرَى قُدْنَا إِلَيكَ أَمِ الْكُتُبَا[2]

فتشبيه الخيل بالكتب والسيوف الباترات بالرسائل أجدر وأنسب له باعتبار هذه البيئة التي عرفت بالكتب والرسائل حتى تلمح آثارها في الشعر والأدب، ولكن في العصر الجاهلي كان يُستغرب هذا التشبيه عندهم لقلة وسائل الكتابة والقراءة حيث أنها كانت بعيدة عن عقولهم، فليس بشاعر جاهلي قدم مثل هذا التشبيه، لسبب عدم انتشار وسائل الكتابة، لأن التشبيه الذي يتعلق بها نادر الوقوع لديهم.

التشبيه الغريب

وقال أبو فراس يصف الخيل:

---

[1]- ديوان أبي فراس، ص: 236

[2]- ديوان أبي فراس، ص: 37

وَجُرْدٌ كَأَمثَالِ السعَالَى سَلَاهِبُ وَخُوصٌ كَأَمثَالِ القِسِيِّ نَجَائِبُ[1]

في هذا البيت شبه أبو فراس الخيل الجرد- الخيل التي سبقت الأخرى في الجري- بالسعالى ومثل أجسامها بكلمة "سلاهب" فيظهر بها أن هذه الخيل جريئة لا تخاف المعارك وكأمثال الجنة والسعالى عرفت لسرعتها وجريها في الحروب، والأعداء لا يقدرونها من أين ظهرت، تارة ظهرت في الميمنة وتارة في الميسرة وتارة غابت عن أنظار الأعداء في الذهول والحيرة.

تصوير هائل للحرب

كَمَا أُرِيتَ بِبيضٍ أنتَ واهبُهَا عَلَى خُيُولٍ خَاضُوا البَحرَ وَهوَ دَمُ

في هذا البيت يصور أبو فراس المعركة الدامية تصويرا هائلا مخيفا ويشير فيها إلى سفك الدماء في القتال الشديد، وبخاصة المعارك التي دارت بين سيف الدولة والجيش الرومي فتجري خلالها الدماء مثل النهر الجاري وكأنها بحر الدم، ويظهر فيه أن خيوله دخلت في هذا البحر بدون خوف وذعر، فتعد من كرام الخيل، ويكشف به أيضا شجاعة الفرسان الذين لا يبالون أن ساحة المعركة مليئة بالدماء ولكن هذا المشهد المهيب المخيف لا يمنعهم من الخوض في الحروب الدامية فيشبهها أبو فراس ببحر الدم، ويقول زهير بن أبي سلمى مثل هذا القول:

تمشي بين قتلى قد أصيبت نفوسهم ولم تغـرق دماء[2]

إن زهيرا قدم صورة مخيفة للحرب حيث ذكر سفك الدماء غزيرا ولكن أبا فراس يأتي بتشبيه أشد هولا منه وينشأ الهيبة في القلوب.

---

[1]- ديوان أبي فراس، ص: 47

[2]- ديوان زهير بن أبي سلمى، شرح: حمدو طماس، دار المعرفة- بيروت، 1426هـ --------2005م، ص: 13

التأثر بالثقافة الإسلامية

قال أبو فراس الحمداني يصف الخيل:

وَلِلْوُرَّاثِ إِرْثُ أَبِي وَجَدِّي جِيَادُ الخَيلِ وَالأَسَلُ الطِّوَالِ[1]

في هذا البيت جعل أبو فراس جياد الخيل والأسل الطوال من التراث الغالي الكريم الذي يرثه من أبيه وجده، ويعد هذا من تراث كرام الناس وهذا البيت يدل على أن الحرب هي مهنة متوارثة وخصلة متتابعة في أسرته، وهو نجل الكريم الذي ورث هذا التراث الكريم من أجداده، إذن يظهر أبو فراس بهذا البيت أنه وثيق الصلة بالحروب، وهذه عادة معروفة لعشيرته التي عرفت بين الناس بالخصائل الكريمة، وتظهر هذه الخ ئل في المعارك، ولو أن الناس يفتخرون بالأموال والأشياء المادية الأخرى، فإنه يفتخر بجياد الخيل والأسل الطوال.

[1]- ديوان أبي فراس، ص: 259

الفصل الثالث

الابتكار والتقليد في أدوات الحرب عند الشاعرين

يحتوي على مبحثين:

1- وصف سلاح الحرب عند المتنبي

2- وصف سلاح الحرب عند أبي فراس

كانت العرب أمة تشتغل في الحروب، وأسلحة الحرب أحب لديهم من كل شيء وتعد من أفضل تراثهم الذي ورّثوا أبناءهم، وكانوا أعرف الناس بأوصاف الأسلحة، كما ظهر من حكاية عمر رضي الله عنه مع عمرو بن معديكرب لما سأله عمر عن السلاح يوما فقال:" ما تقول في الرمح؟ قال: أخوك وربما خانك فانقصف؛ قال: فما تقول في الترس؟ قال: هو المجن وعليه تدور الدوائر؛ قال: فالنبل؟ قال: تخطي وتصيب؛ قال: فما تقول في الدرع؟ قال: مثقلة للراجل مشغلة للراكب وإنها لحصن حصين؛ قال: فما تقول في السيف؟ قال: هنالك قارعتك أمك عن الثقل، قال: بل أمك يا أمير المؤمنين، فعلاه أمير المؤمنين بالدرة وقيل: بل قال له لما قال عمر رضي الله عنه بل أمك قال: أمي يا أمير المؤمنين، والحمّى أضرعتني لك، ألاراد أن الإسلام قيّدني ولو كنت في الجاهلية لم تكلمني بهذا الكلام. وهو مثل تضرب بها العرب إذا اضطرّت الخضوع."[1] وكذلك قصة أخرى رواه العتبي:"بعث عمر بن الخطاب رضي الله عنه إلى عمرو بن معديكرب أن يبعث إليه بسيفه المعروف "بالصمصامة" فبعث إليه به؛ فلما ضرب به وجده دون ما بلغه عنه، فكتب إليه في ذاك، فأجابه يقول: "إنما بعثت إلى أمير المؤمنين بالسيف ولم أبعث له بالساعد الذي يضرب به".[2] وسموها بأسماء ووصل عدد أسماء السيف عندهم إلى خمسين اسما[3] كما ذكر النويري بعض أسمائها: "أبيض" شديد البريق، "أذوذ" وهو القاطع، "إصليط" وهو الصقيل، "أغلف" إذا كان في الغلاف، "باتر" أي قاطع، و"بتّار" وهو اسم لسيف كان للنبي صلى الله عليه وسلم، "بصروي" منسوب لبصرى، كذلك "حسام" أي قاطع، "حداد" من الحديد، خشيف" أي ماض، "خذيم" أي قاطع، "ذوالفقار": سيف رسول الله صلى

---

[1]- نهاية الأرب في فنون الأدب للنويري، ط: 1، دار الكتب العلمية- بيروت، 1424هـ 6/ 171

[2]- المرجع السابق، ص: 6/ 170

[3]- تاريخ الأدب العربي – العصر الجاهلي، شوقي ضيف، دار المعارف، مصر، ص: 216

الله عليه وسلم، "ذوهبة" أي ذو هزة ومضاء، "هذام" السيف القاطع." الهندواني" هو المطبوع من حديد الهند، "يماني" منسوب إلى اليمن."[1] قد تبين من العبارة السابقة والروايات الواردة أن الأسلحة الحربية كانت جزءا لزاما لحياة العرب وأشهرها وأعرفها هو السيف الذي كانوا يعتمدون عليه في حروبهم ودفاعهم وكان حلية للشجعان والأبطال.

وقال وداك بن ثميل المازني في وصف السيف:

مقادم وصالون في الروع خطوهم بكل رقيق الشفرتين يمان[2]

ويقول النابغة الذبياني في وصف السلاح:

ولا عيب فيهم غير أن سيوفهم بهن فلول من قراع الكتائب[3]

وقال جعفر بن علبة الحارثي في وصف السيف:

ولم ندر إن جضنا من الموت جيضة كم العمر باق والمدى متطاول

إذا ما ابتدرنا مـــأزقا فـرجت لنـا بأيماننا بيض جلتها الصياقل [4]

وقال دريد بن الصمة في رثاء أخيه في وصف السلاح:

فجئت إليه والرماح تنوشـه كوقع الصياصي في النسيج الممدد[5]

---

[1]- نهاية الأرب في فنون الأدب للنويري: 2/ 28- 227

[2]- شرح ديوان الحماسة، المرزوقي، ص: 97

[3]- ديوان النابغة الذبياني، مطبعة الهلال بالفجالة بمصر، 1911م، ص: 11

[4]- ديوان الحماسة، تحقيق: عبد المنعم بن أحمد الصالح، ص: 31

[5]- ديوان دريد بن الصمة، تحقيق: الدكتور عمر عبد الرسول، دار المعارف – القاهرة، 2009م، ص: 63

المبحث الأول:

وصف سلاح الحرب عند المتنبي:

التشبيه الرائع المبتكر:

يقول المتنبي يصف السيف:

تَحْمَى السُّيُوفُ عَلَى أَعْدَائِهِ مَعَهُ كَأَنَّهُـنَّ بَنُـوهُ أَو عَشَائِـرُهُ

إِذَا انْتَضَاهَا لِحَرْبٍ لَمْ تَدَعْ جَسَدًا إِلَّا وَبَاطِنُهُ لِلعَيْـنِ ظَاهِـرُهُ

فَقَد تَيَقَّـنَّ أَنّ الحَقَّ فِـي يَدِهِ وَقَدْ وَثِقْنَ بِأَنَّ اللهَ نَاصِرُهُ[1]

شرح الألفاظ: حمى الشيء يحمى: اشتد حره، والعشائر: الأهل، الأقارب يقول: إذا حارب أعداءه واشتد غضبه، غضبته سيوفه عليهم معه، حتى لكأنها أقاربه الأدنون الذين يغضبون لغضبه، وهذا من قول أبي تمام:

كأنها وهي في الأوداج والغة وفي الكلى تجد الغيظ الذي نجد[2]

يقول البحتري:

ومصلتات كأن حقدا بها على الهام والرقاب[3]

وفي البيت الثاني يقول: إذا استل سيوفه من أغمادها ليحارب بها لم تترك جسدا إلا قطعته إربا حتى تبدو بواطنه للعين كما تبدو ظواهره. وفي البيت الثالث يقول: إن

---

[1]- ديوان المتنبي، محمد خداش، ص: 34، 35

[2]- شرح ديوان المتنبي: 2/ 224

[3]- المرجع السابق

السيوف تمتلك الحس وتعرف أن الحق معه دائما أي مع سيف الدولة فتكون أنصاره وأعوانه، "يعني أنها لو كانت ممن يعلم، لعلمت وهذا ينظر إلى قول النابغة الذبياني:

جوانح قد أيقـن أن قبيـله إذا ما التقى الجمعان أول غالب[1]

الاستلهام التقليدي

وقال أبو الطيب يصف الرماح:

كَمْ مِن دَمٍ رَوِيَتْ مِنهُ أَسِنَّتُهُ وَمُهجَةٍ وَلَغَتْ فِيهَا بَوَاتِرُهُ[2]

شرح الألفاظ: المهجة: دم القلب، وأصل الولوغ: شرب سباع الماء بألسنتها، والبواتر: السيوف القواطع،

وهذا البيت يظهر الملامح التقليدية والخصائص العامة التي توجد عادة في كلام شعراء العصر الجاهلي، وفي كلامهم دائما تذكرة أدوات الحرب التي رويت بالدماء كما يقول عمرو بن كلثوم:

وكنا نورد الرايات بيضا ونصدرهن حمرا قد روينا[3]

الإبداع في التصوير

وقال أيضا في وصف الأدوات الحربية:

أَلَـذُّ مِـنَ الْمُـدَامِ الخَنْـدَرِيسِ وَأَحلَـى مِـنْ مُعَـاطَاةِ الْكُئُـوسِ

مُعَاطَاةُ الصَفَائِحِ وَالعَـوَالِي وَإِقْحَامِي خَمِيسًا فِي خَمِيسِي[4]

---

[1]- ديوان النابغة الذبياني، ص: 12

[2]- ديوان المتنبي، محمد خداش، ص: 35

[3]- ديوان عمرو بن كلثوم، الدكتور إميل بديع يعقوب، دار الكتاب العربي- بيروت، 1991م، ص: 71

[4]- ديوان المتنبي، محمد خداش، ص: 45

شرح الألفاظ: الخندريس: الخمر القديمة، والصفائح: السيوف العريضة، والعوالي: صدور الرماح، ومعاطاة الصفائح: مد اليد بالسيوف إلى الأقران بالضرب: كمد المتناول يده إلى من ناوله الشئ.

يقول: إن الحرب ألذ عنده من الشرب: فقوله: ألذ، خبر مقدم، ومعاطاة- في البيت الثاني- مبتدأ مؤخر، ومثل هذا يسميه العلماء التضمين، وهو عيب عندهم([1]). في هذا البيت يفضل المتنبي الخوض في المعارك من الخمر القديمة وأحب عنده منها التقاء الجيوش في ميدان القتال، فهذا وصف رائع جميل تابع فيه المتنبي الشعراء المتقدمين.

التمثيل الإبداعي

وقال المتنبي في وصف السيف:

قَومٌ إذَا أَمْطَرَتْ مَوتًا سُيُوفُهُمْ حَسِبْتَهَا سُحُبًا جَادَتْ عَلى بَلَدِ([2])

في هذا البيت يأتي المتنبي مثلا رائعا مبتكرا لنزول الموت على الأعداء كمثل المطر ينزل من السحب وهذا يدل على كثرة ضحايا الأعداء في ميدان القتال وانتشار الموت فيهم، ومن روعة التشبيه أنه يلحق نزول المطر بالسيوف وهو قتل الأعداء والموت يسود عليهم مثل السحاب، وهذا التمثيل أيضا يدل على كثرة جيش سيف الدولة الذي غشاهم مثل السحاب الممطر، ففيه غرابة ولإبداع، وهذا التشبيه أجدر له لأنه شاعر الإبداع في مواقف القتال، وأنه دائما يبتغي الشئ المبتكر، وكذلك قال يصف السيف:

---

[1]- شرح ديوان المتنبي: 301/2

[2]- ديوان المتنبي، محمد خداش، ص: 54

جَمَدَتْ نُفُوسُهُمْ فَلَمَّا جِئْتَهَا أَجْرَيْتَهَا وَسَقَيتَهَا الْفُــولَاذَا[1]

شرح الألفاظ: الفولاذ: من حديد معروف، وهو مصاص الحديد، المنقى من خبثه، وهي كلمة دخيلة،

قيل في جمدت نفوسهم أقوال، أحدها أنها جمدت خوفا منه، والخوف يجدم الدم وعلى هذا يتأول قول الشاعر:

فلو أنا على حجر ذبحنا جرى الديمان بالخبر اليقين

أي لما جئتها أبحتها لسيوفك فجعل حقنها الجمود، إذ كان يذكر لعبده الإجراء، وقال ابن جني: يعني قست قلوبهم. وصبوا وشجعوا فاشتدوا كالشئ الجامد، وقوله أجريتها أي أسلت دماءهم على الحديد فصارت بمنزلة الماء الذي يسقاه الفولاذ"[2].

فالمتنبي شبه السيوف بالفولاذ لصلبها، وهذا من الكلمات الدخيلة، إذن هو يعرف أصناف الحديد الصلبة ما يدل على المستوى الثقافي له، وفي العصر الجاهلي لا يعرفون المادة التي تصنع منها السيوف إلا الحديد.

الآثار الحضارية:

وقال يصف أسنة الحرب:

فَكَأَنَّهُ حَسِبَ الْأَسِنَّةَ حُلْوَةً أَو ظَنَّهَا البَرْنِيَّ وَالآزَاذَا[3]

شرح الألفاظ: الأسنة: جمع سنان، وهو نصل الرمح، والبرني والآزاذا: نوعان من التمر كثيران بالعراق.

---

[1]- شرح ديوان المتنبي: 2/ 187

[2]- شرح ديوان المتنبي: 2/ 186

[3]- ديوان المتنبي، محمد حداش، ص: 58

يقول: إنه تعود أكل الرطب والتمر، وليس هو من أهل الطعان والحرب، فكأنه ظن الحرب تمرا يأكله." في هذا البيت يهجو المتنبي ويستهزأ ويأتي بأسلوب جديد للهجاء ما عرف عند العرب في الجاهلية وتعكس فيه الآثار المدنية حيث إنه ذكر بعض أنواع التمور التي عُرفت في هذا المجتمع والتشبيه المألوف لديهم.

المعنى الدقيق

وقال يصف طعن الرماح:

لَمْ يَلْقَ قَبْلَكَ مَن إذَا اخْتَلَفَ القَنَا جَعَلَ الطَّعَانَ مِنَ الطَّعَانِ مَلَاذُ[1]

شرح الألفاظ: في هذا البيت المراد باختلافهما(أي اختلاف الطعنتين) أن يطغى هذا مرة وذاك أخرى، والملاذ: الملجأ،

يقول:" لم يلق قبلك رجلا إذا اختلف الرماح عند المطاعنة لم يهرب من الطعان إلا إلى الطعان، ولم يلجأ إلا إلى النزال لإقدامه وحفاظه، وعلمه أنه لا يحمى حقيقته إلا بالطعان، كما قال الحصين* بن الحمام:

تأخرت أستبقي الحياة فلم أجد لنفسي حياة مثل أن أتقدما"[2]

يظهر فيه المتنبي صورة فلسفية دقيقة ويميل إلى التعقيد والتخيل الدقيق الذي طرأ على فكره، كما أن كلامه ملئ بالغموض، وهو دائما في محاولة الإتيان بالشئ الجديد

1- المرجع السابق، ص: 58

* الحصين بن الحمام بن ربيعة من بني سهم وهو سيد بني سهم، وكان شاعرا فارسا وهو جاهلي، وزعم أبو عبيدة أنه أدرك الإسلام (اللئالي في شرح أمالي القالي لعبد الله البكري، دار الكتب العلمية- بيروت، 1417هـ ، 1/ 226

2- شرح ديوان المتنبي: 188/2

والمبتكر، كما قيل إنه رب المعاني الدقاق."[1] فدقة المعنى، والتعقيد، وغرابة الأسلوب، والتعمق الفلسفي من سماته في الشعر.

التمثيل الرائع

وقال يصف أداة الحرب:

كَأَنَّ عَلَى الجَمَاجِمِ مِنْهُ نَارًا وَأَيدِي الْقَومِ أَجْنِحَةُ الْفَرَاشِ[2]

يقول: كأنه يحرق الجماجم لشدة ضربه إياها، ولأن سيفه يلمع كالنار عليها، كأن أيدي القوم أجنحة الفراش لأنها تطير بضربه إياها، فشبه أيدي القوم المقطعة حوله بالفراش الذي يتهافت على النار. في هذا البيت يمثل المتنبي ضربة السيوف بتمثيل رائع جميل وشبه أيدي الأعداء المتطايرة المقطوعة بأجنحة الفراش الذي يتهافت على النار، هذا تمثيل رائع جميل يشير إلى حدة القواضب ويكشف عن الجوانب المبتكرة في كلام المتنبي.

الإبداع في التمثيل

وقال يصف بريق الرماح:

فَكَأَنَّمَا كُسِيَ النَّهَارُ بِهَا دُجىً لَيلٍ وَأَطْلَعَتِ الرِّمَاحُ كَوَاكِبَا[3]

في هذا البيت شبه بياض الحديد في ظلمة العجاجة بكواكب في الليل، ويقول فيه: كأن النهار ألبس بتلك العجاجة ظلمة الليل، وكأن الرماح أطلعت من أسنتها

---

[1]- المرجع السابق: 1/ 4

[2]- ديوان المتنبي، محمد خداش، ص: 204

[3]- المرجع السابق، ص: 92

كواكب أو أطلعت هي كواكب في تلك الظلمة... وهذا المعنى من قول صريع الغواني:

في عسكر شرق الأرض الفضاء به كالليل أنجمه القضبان والأسل[1]

وقول بشار:

كأن مثار النقع فوق رؤوسنا وأسيافنا ليل تهاوى كواكبه[2]

ومثل بشار يأتي المتنبي بتشبيهين فيشبه العجاجة بالدجى الهالك وبريق الرماح بالكواكب، فهذا يدل على ذهنه المتوقد وطبعه الحاد يميل دائما إلى العلى ويلتمس منزلته فوق الشعراء المعاصرين فيظهر الابتكار في كلامه.

توظيف الصورة التقليدية بشكل مبتكر

وقال أبو الطيب يصف السيف الهندي بصورة إبداعية:

تُهَابُ سُيُوفُ الْهِندِ وَهِيَ حَدَائِدٌ فَكَيفَ إِذَا كَانَتْ نَزَارِيةً عُرْبَا[3]

يقول: إن السيوف تهاب مع أنها حديد لا عقل لها ولا قوة إلا بالضارب بها، فكيف يكون حالها في الخوف منها إذا كانت عربية نزارية أي تقطع بنفسها دون استعانة بغيرها، وسيف الدولة عربي نزاري، فيكون أحق بالخوف منه،[4]

---

[1]- شرح ديوان المتنبي: 1/ 256

[2]- شرح ديوان المتنبي: 256/1

[3]- ديوان المتبي، محمد خداش، ص: 270

[4]- المرجع السابق: 1/ 186

في هـذا البيـت تـابع المتنـبي التقليـد حـين يـأتي بمثـل السـيف الهنـدي، ولكنـه ابتكـر فيـه ويـأتي بشـئ جديـد إذ يرفـع بـه منزلـة الممـدوح، كمـا هـو يقـول في شعره:

تحمى السيوف على أعدائه معه كأنهـن بنـوه و عشائـره[1]

الإسراف في الوصف

وقال أبو الطيب يصف السهام:

إذَا نَكَبَتْ كِنَـانَتُـهُ اسْتَبَنَّا بِأَنْصُلِهَـا لِأَنْصُلِهَـا نَدُوبَا

يُصِيبُ بِبَعْضِهَا أَفْوَاقَ بَعضٍ فَلَولَا الْكَسْرُ لَاتَّصَلَتْ قَضِيبَا[2]

يقول فيه: إذا نثرت كنانته وأفرغ ما فيها من السهام رأينا لنصوله آثارا في نصوله لسرعة رميه ورميه إياه على طريقة واحدة حتى يدرك بعضها بعضا من غير أن يميل عنه ويصيب اللاحق منها فوق السابق، فلولا أن ينكسر النصل بالفوق لاتصل بعضها ببعض وصارت مستوية كالقضيب."[3] فيظهر من هذا الشرح التكلف البين والمبالغة الواضحة في الوصف الذي يتناسب مع مزاج الشاعر الذي ظل في حياته مضطربا عجولا للحصول على العلى والتقرب إلى الملوك فتوجد عنده جدة الأسلوب ويقال صاحب الإبداع على لسان النقاد، ومثل قوله:

فلما دنا أخفى عليه مكانه شعاع الحديد البارق المتألق[4]

التجديد في التقليد

---

[1]- ديوان المتنبي، محمد خداش، ص: 34

[2]- ديوان المتنبي، محمد خداش، ص: 165

[3]- المرجع السابق: 1/ 270

[4]- المرجع السابق، ص: 286

وقال المتنبي أيضا في سيف الهند:

أَتَحْسَبُ بِيضُ الْهِندِ أَصْلَكَ أَصْلَهَا وَأَنَّكَ مِنــهَا؟ سَاءَ مَا تَتَــوَهَّمُ[1]

يقول فيه: أتظن السيوف- لأنك سميت سيفا- أنها تشاركك في الأصل وأنك من جملتها، ساء هذا الوهم وهما، يعني، أنك وإن سميت سيفا فإنك أشرف من سيوف الهند وأجل منها شأنا وأعظم أصلا رغم جلالتها ورفعتها ونفاذها وهيبتها، فهي بعض آلاتك تصرفها ولا تصرفك"[2] قدم فيها المتنبي الفكرة المبتكرة مع ذلك أنه تابع فيه التقليد بذكر "بيض الهند" وقارنه بالممدوح يحكم بها فضيلة الممدوح. وبيض الهند كانت معروفة لدى شعراء العصر الجاهلي لقطعها وإمضاءها كما يقول طرفة بن العبد:

وظلم ذوي القربى أشد مضاضة على المرء من وقع الحسام المهند[3]

وقال عنترة:

ولقدذكرتك والرماح نواهل مني وبيض الهند تقطر من دمي[4]

الأثار الثقافية

وقال المتنبي يصف الرمح والسيف:

وَكُلُّ فَتًى لِلحَرْبِ فَوقَ جَبِينِهِ مِنَ الضَّرْبِ سَطْرٌ بِالْأَسِنَّةِ مُعْجَمُ[5]

شرح الألفاظ: الإعجام: التنقيط، يقول: وحوله فتيان على وجوههم آثار الضرب والطعن، يريد أنهم رجال حرب، وجعل أثر الضرب كالسطر لطوله، وأثر الطعن

---

[1]- شرح ديوان المتنبي: 4/ 79

[2]- المرجع السابق: 4/ 79

[3]- ديوان طرفة بن العبد، شرح وتفهيم: مهدي محمد ناصر الدين، ط: 3، دار الكتب العلمية- بيروت، 1423هـ ص: 27

[4]- شرح ديوان عنترة، الخطيب التبريزي، ط: 1، دار الكتب العربي، بيروت، 1998م، 5/ 409

[5]- شرح ديوان المتنبي: 4/ 75

إعجاما لذلك السطر لتدور جراحته فهي كالنقطة، وهذا المعنى ينظر إلى قوله أبي تمام:

كتبت أوجههم مشقا ونمنمة ضربا طعنا يقات الهام والصلفا

كتابـة لاتني مقـروءة أبـدا وما خططت بها لام ولا ألفـا."[1]

وكذلك في أبيات المتنبي تظهر الملامح الثقافية التي كانت سمة بارزة لذلك العصر حيث إن المتنبي يصور محاربة الفرسان باستعمال علامات الحروف الهجائية والأسلوب الثقافي ويشبه جروح المقاتلين بالسطر والمعجم،فهذا التشبيّه أقرب لعقول ذلك العصر.

الإتساع في التخيل

وقال أبو طيب يصف القواضب:

رَضِينَا وَالدُّمُسْتُقُ غَيرُ رَاضٍ بِمَا حَكَمَ القَوَاضِبُ وَالوَشِيجُ

فَإِنْ يُقْدِمْ فَقَدْ زُرْنَا سَمَنْدُو وَإِنْ يُحْجِمْ فَمَوْعِدُهُ الخَلِيجُ[2]

شرح الألفاظ: الدمستق: قائد جيش الروم، والقواضب: السيوف القواطع، والوشيج: عيدان الرماح، ووشجت العروق والأغصان: اشتبكت، وسمندو: قلعة بالروم يقال هي المعروفة اليوم ببلغراد، والخليج: خليج القسطنطنية. يقول: رضينا بما حكمت به السيوف والرماح في الحرب، ولكن الدمستق لم يرض بذلك، لأنها حكمت لنا

[1] – المرجع السابق: 4/ 75

[2] – ديوان المتنبي، محمد خداش، ص: 257

بالفوز والظفر فرضينا، وحكمت عليه بالهزيمة والفشل فلم يرض، فإن أقدم على قتالنا فقد قصدنا بلاده، وإن هرب وخاف عن لقائنا لحقناه إلى الخليج."[1]

في هذا البيت جعل المتنبي السيوف بمنزلة الحكم التي تحكم على الأعداء حكما وفاقا يستحقونه، وهذا يدل على عبقرية الشاعر كيف يصور هزيمة الأعداء بشكل رائع، وذكر بعض الأماكن الرومية وأسماء أشخاصهم مثل "الدمستق" و "سمندو" و" الخليج"، وهذه مصطلحات حديثة قياسا بالشعر القديم، ويدل على التوسع في شعره، مع أن تذكرة أسماء المناطق لا تدل بعينها على التجديد والابتكار ولكن توجد في أبياته كثيرة واستعملها في شأن فتوح سيف الدولة ولا منازع أنه صاحب المعاني الدقاق والتراكيب الغريبة، حيث إنه يقول في وصف قادة الجيش:

وعـزمة بعثتها همـة زحـــل من تحتها بمكان الترب من زحل[2]

الفكرة التاريخية القرآنية

وقال أبو طيب يصف السيف:

قَوَاضٍ مَوَاضٍ نَسْجُ دَاؤُودَ عِندَهَا إذَا وَقَعَتْ فِيهِ كَنَسْجِ الْخَدَرْنَقِ[3]

شرح الألفاظ: قواض: قواتل، يعني الرماح، وهو خبر عن محذوف ضمير القنا، ومواض: نوافذ، ونسج داؤود: الدروع، والخدرنق- بالدال والذال-: العنكبوت، وإذا جمعته حذفت آخره فقلت خدارن، وفي الصحاح بالدال المهملة، وأنشد أبو عبيدة الزفيان السعدي:

---

[1]- المرجع السابق: 1/ 262

[2]- شرح ديوان المتنبي: 3/ 164

[3]- ديوان المتنبي، محمد خداش، ص: 285

ومنهل طام عليه الغلفق ينير أو يسدي به الخدرنق([1])

يقول: هي- أي رماح سيف الدولة- قواتل من يقصدها نوافذ في دروع الأبطال تخرقها إليهم، كأنها تخرق نسج العنكبوت.([2]) في هذا البيت يأتي المتنبي بتشبيه رائع جميل للدرع هو"نسج داؤود" قد أخذها من الآية: (**وَعَلَّمْنَاهُ صَنْعَةَ لَبُوسٍ لَّكُمْ لِتُحْصِنَكُمْ مِنْ بَأْسِكُمْ فَهَلْ أَنْتُمْ شَاكِرُوْنَ**)المؤمنون-80، وللأعداء "نسج الخدرنق" ولا سيما هذا من التشبيهات النادرة ومن ابتكاره الذي خلقه عقله الناضج، فهو دائما في تتبع النادر الجديد، ويبحث عن الآفاق الجديدة، ويميل إلى الطرق التي ما وطأها أحد من قبله.

التشبيه الغريب

وقال أبو الطيب يصف السيف:

لَقَدْ حَالَ بَينَ الْجِنِّ وَالْأَمْنِ سَيْفُهُ فَمَا الظَّنُّ بَعدَ الْجِنِّ بِالْعُرْبِ وَالْعُجْمِ([3])

يقول: لقد أخاف سيفه الجن حتى حال بينهم وبين أن يأمنوه فما ظنك بالإنس بعد خوف الجن" لا سيما هذا من ابتكار المتنبي الذي دائما يريد أن يخرق إطار التقاليد ويأتي بشيء جديد فيه امتداد حكمه- أي سيف الدولة- إلى الجنة مع الناس، أو ضرب فرسانه بالجنة في البطولة والشجاعة، لأنهم خلق أقوى من الناس، فقد يرى فيها المبالغة الواضحة والتجاوز عن الثغور القديمة وكان دائما في التماس الآفاق الجديدة، فلأجل ذلك هو يأتي بالتراكيب الغريبة، مثل قوله:

1- الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، إسماعيل بن حماد الجوهري، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملائين- بيروت، 1987م: 2/ 841

2- شرح ديوان المتنبي: 3/ 53

3- ديوان المتنبي، محمد خداش، ص: 69

ورميك الليل بالجنود وقد رميت أجفانهم بالتسهيد[1]

كرامة السيف على القلم

وقال المتنبي يصف السيف:

حَتَّى رَجَعْتُ وَأَقْلَامِي قَوَائِلُ لِي اَلْمَجْدُ لِلسَّيفِ، لَيسَ الْمَجْدُ لِلْقَلَمِ[2]

يقول: حتى عدت إلى وطني وقد علمت أن المجد إنما يدرك بالسيف لا بالقلم، وأن ذا الفضل لا يعظم ولا يهاب كما يهاب صاحب السيف، ولا يدرك من المجد والشرف ما يدركه، وفيه نظر إلى قول أبي تمام:

السيف أصدق أنباء من الكتب في حده الحد بين الجد واللعب"[3]

في هذا البيت تمس الحاجة للمتنبي أن يقارن بين القلم والسيف لأن القلم ازدادت أهميته في ذلك العصر فتشابهت عند بعض الناس فضيلة القلم على السيف حتى عند الحرب، فلإزالة هذا الشبه عن القلوب يبين المتنبي أن السيف قد زادت أهميته في بعض الأحيان من القلم ، فلا سيما في الإسلام يرفع شأن القلم كما في القرآن الكريم(**ن. وَالْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ**)[4] وفي موضع آخر(**الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ**)[5] ولكن المتنبي لا يخالف فيه فكرة قرآنية بل أنشد هذا الشعر في خلفية خاصة وهي إذا دارت المعارك ارتفع شأن السيوف، وأما في العصر الجاهلي فلا مكانة للقلم فيه.

---

[1]- شرح ديوان المتنبي: 1/ 387

[2]- المرجع السابق، ص: 413

[3]- شرح ديوان المتنبي: 4/ 291

[4]- سورة القلم- رقم الآية: 1

[5]- سورة العلق، رقم الآية: 4

التشبيه الدقيق

قال يصف الرماح وصفا دقيقا:

تَخُطُّ فِيهَا الْعَوَالِي لَيسَ تَنْفُذُهَا كَأَنَّ كُلَّ سِنَانٍ فَوقَهَا قَلَـمُ

يقول إن الرماح تؤثر في درعه: أي تجرحها، ولا تنفذها إلى جسمه، حتى كأن أسنتها أقلام تخط في القرطاس ولا تؤثر فيه ولا تخرقه."[1] أنظر إلى دقة التشبيه ولطيف المعنى ولأجل ذلك قيل للمتني" رب المعاني الدقاق"[2] وأيضا تظهر فيه الآثار الثقافية حيث إنه يذكر وصف العوالي بالقلم في شعر الحرب، وكما يقول:

الخيل والليل والبيداء تعـرفني والسيف والرمح والقرطاس والقلم[3]

الأسلوب الدقيق

وقال أبو الطيب يصف السيف والرمح:

وَمَا هِيَ إِلَّا خَطْرَةٌ عَرَضَتْ لَهُ بِحَرَّانَ لَبَّتْهَا قَنًا وَنُصُولُ[4]

يقـول: لم هـذه الغـزوة الـتي رمـى بهـا أرض الـروم إلا خـاطرا عـرض لـه، فأجابـت خـاطره الرمـاح والسـيوف."[5] في هـذا البيـت يـبن المتنـبي رد فعـل الرمـاح كأنهـا كائنـة ذات شـعور يعـرف أحـوال القلـوب والأفكـار الـتي تخطـر في

---

[1]- شرح ديوان المتنبي: 4/ 140

[2]- المرجع السابق، ص: 4

[3]- ديوان المتنبي، محمد خداش، 274

[4]- ديوان المتنبي، محمد خداش، ص: 293

[5]- شرح ديوان المتنبي: 4/ 231

القلوب، حيث إنها تعين على عزائم الممدوح، وما من خاطر عرض له من فتح بلاد أو عقوبة عدو إلا تستجيب له رماحه وسيوفه، فلا سيما هذا من ابتكار المتنبي الذي دائما يحاول الإتيان بشئ جديد في شعره الذي لم يأت به السابقون من الشعراء ولا المعاصرون.

المبالغة في وصف السلاح

وقال أبو الطيب يصف سلاح الحرب:

فَلَمَّا دَنَا أَخْفَى عَلَيهِ مَكَانَهُ شُعَاعُ الْحَدِيدِ البَارِقِ المُتَأَلِّقِ[1]

يقول: لما قرب الرسول- رسول من أهل الروم- أعشى بصره لمعان الحديد والسلاح حتى لم ير مكان سيف الدولة ولم يبصر موضعه لشدة لمعان الأسلحة حواليه، وقال العكبري*: الضمير في " مكانه " للرسول، أي حتى لم يبصر طريق نفسه لشدة لمعان الحديد في عسكر سيف الدولة."[2]

---

[1]- ديوان المتنبي، محمد خداش: ص: 286

2- شرح ديوان المتنبي: 3/ 56

* العكبري: عبد الله بن الحسين بن عبد الله العُكبري البغدادي، عالم بالأدب واللغة والفرائض والحساب. أصله من عُكبرا(بليدة على دجلة) ومولده ووفاته من بعداد، ومن كتبه " شرح ديوان المتنبي".(الأعلام للزركلي، دار العلم للملايين- بيروت، 2002م، 4/ 80)

* الأشتر النخعي: مالك بن حارث بن عبد يغوثالنخعي، المعروف بالأشتر: أمير من كبار الشجعان، كان رئيس قومه أدرك الجاهلية، وأول ما عرف عنه أنه حضر خطبة عمر في الجابية، وسكن الكوفة، وكان له بسل فيها، وشهد اليرموك وذهبت عينه فيها. وكان ممن ألب على " عثمان" وحضر حصره في المدينة، وشهد يوم الجمل وأيام صفين مع علي، وولاه على مصر، فقصدها، فمات في الطريق، فقال علي،: رحم الله مالكا فلقد كان لي كما كنت لرسول الله عليه السلام، وله شعر جيد، ويعد من الشجعان الأجواد العلماء الفصحاء.

(الأعلام لخير الدين الزركلي، دار العلم للملايين- بيروت، 2002م، 5/ 259

في هذا البيت نلاحظ المبالغة الواضحة في وصف سلاح الحرب وهذه سمة بارزة في معظم أبيات المتنبي أنه أسرف، ونظيره في قول الأشتر النخعي*، حيث يقول:

حمى الحديد عليهم فكأنه ومضان برق أو شعاع شموس[1]

ولعله أخذ منه وجدده وبالغ فيه وتجاوز حسب العادة، وهو دائما يريد أن يخرق إطار التقليد ويضع عن نفسه الأغلال والقيود التي أنشئت في العصر الجاهلي ويتقدم أمام الشعراء المتقدمين والمعاصرين مع أنه لم يتنح عن طرقهم في التشبيه ولم يترك بعض الملامح الثابتة للجاهلية إلا أنه أضاف وابتكر فيه، كما يقول:

أتحسب بيض الهند أصلك أصلها وأنك منـها، ساء ما تتـوهم[2]

وكما يقول:

حقرت الردينيات حتى طرحتها وحتى كأن السيف للرمح شاتم[3]

وكما يقول:

ويفهم صوت المشرفية فيهم على أن أصوات السيوف أعاجم[4]

ولا شك في أن هذا تشبيه معروف لدى الشعراء الجاهليين والمتنبي تابع فيه الشعراء الجاهليين كما يقول طرفة بن العبد:

وظلم ذوي القربى أشد مضاضة على المرء من وقع الحسام المهند[5]

---

[1]- شرح ديوان الحماسة، للمرزوقي، ص: 112

[2]- شرح ديوان المتنبي: 4/ 79

[3]- شرح ديوان المتنبي: 4/ 104

[4]- شرح ديوان المتنبي: 4/ 104

[5]- ديوان طرفة بن العبد، شرح وتقديم: مهدي محمد ناصر الدين، ط: 3، دار الكتب العلمية – بيروت، 1423هـ ، ص: 27

وقال عنترة:

ولقد ذكرتك والرماح نواهل مني وبيض الهند تقطر من دمي([1])

وقال الأعشى:

في فتية كسيوف الهند قد علموا أن هالك كل من يحفى وينتعل([2])

وقال كعب بن زهير:

إن الرسول سيف يستضاء به مهند من سيف الله مسلول([3])

فالمتنبي أخذ هذا الرمز التقليدي من العصر الجاهلي في وصف السيف ولكنه ابتكر فيه وعرضه بشكل فيه جدة وإبداع.

المبحث الثاني:

وصف سلاح الحرب عند أبي فراس

تذكرة شعائر النصارى:

قال أبو فراس الحمداني في وصف الرمح:

كَأَنَّ أَعَالِي رَأْسِهَا وَسَنَامِهَا مَنَارَةُ قِسِّيسٍ، قُبَالَةُ هَيكَلِ([4])

---

[1]- شرح ديوان عنترة، الخطيب التبريزي، الناشر: دار الكتب العربي، ط:1، بيروت، 1412م، ص: 191

[2]- خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب، عبد القادر بن عمر البغدادي، دار الكتب العلمية- بيروت، 1998م، ص: 5/ 409

[3]- شرح ديوان كعب بن زهير، شرح: الإمام أبو سعيد بن الحسن السكري، دار المتب والوثائق القومية- القاهرة، 1423هـ ، ص: 23

[4]- ديوان أبي فراس الحمداني، ص: 252

القس والقسيس: رأس من رؤوس النصارى هذا تشبيه مبتكر رائع جميل لأداة الحرب ويلائم العصر الذي عاش فيه أبو فراس حيث أنه يشبه رؤوس الرماح بمنارة قسيس وقبالة هيكل وكلا المشبهين بهما من الآثار النصرانية ومن شعائرهم، فتلك الآثار لايوجد نظيرها في العصر الجاهلي، مثله قوله:

وَسَلْ صِيدَكُمْ آلَ الْمَـــلَاِينَ أَنَّنَا نَهَبْنَا بِبِيضِ الهِندِ عِـــزَّهُمْ نَهَبَا

وَسَلْ آلَ بُهْـــــرَامٍ وَآلَ بَلَنطَـسٍ وَسَلْ آلَ مِنوَالَ جَحَاجِحَةً غُلبَا

وَسَلْ بِالبِرطِسِيسَ العَسَاكِرَ كُلَّهَا وَسَلْ بِالمِنطَرِيَاطِسِ الرُّومِ وَالعُربَا[1]

شرح الألفاظ: الصيد: أعزاء الرجال، والملاين: الممالسات، المهادنات، غلب، الشجعان، البرطسيس، موضع اللقاء بالرومية، المنسطرياطس: جبهة اللقاء بالرومية، آل بهرام وآل بلنطس وآل منوال: من أمراء الروم وكبراءهم، الجحاجحة: الأبطال([2])

التأثر بالسنة النبوية

وقال أبو فراس في وصف السيف:

وَمَنْ كَانَ غَيرَ السَّيفِ كَافِلُ رِزْقِهِ فَلِلذُّلِ مِنهُ لَا مَحَالَةَ جَانِبُ[3]

في هذا البيت إن أبا فراس يحث الغيرة والأناة للرجال المقاتلين ليكتسب أرزاقهم بسيوفهم، وهذا أحسن طريقة لاكتساب الرزق عنده، وتأثر فيه بالسنة النبوية الشريفة حيث قال النبي صلى الله عليه وآله وسلم: " جُعل رزقي في ظل رمحي

---

[1]- المرجع السابق، ص: 37

[2]- المرجع السابق، ص: 38

[3]- المرجع السابق، ص: 53

وجعل الذلة والصغار على من خالف أمري".[1] ولا سيما أن هذا البيت يؤدي مفهوما تاما للحديث النبوي الشريف.

معرفة عشائر النصارى

وقال الحمداني في وصف السيف:

وَسَلْ صِيدَكُم آلَ المَلَايِنَ إنَّنَا نَهَبْنَا بِبِيضِ الهِنـــــدِ عِـزَّهُمْ نَهْبَا
وَسَلْ آلَ بُهـــرَامَ وَآلَ بَلَنْـطَسَ وَسَلْ آلَ مِنوَالَ الْجَحَاجِحَةَ غُلْبَا

وسلْ "بِالبِرطِسِيسِ" العَسَاكِرَ كُلَّـهَا وسلْ "بِالمِنسْطَرِيَاطِسِ" الرُّومَ وَالعُرْبَا
أَلَم تُفنِهِمْ قَتْلًا وَأَسْرًا سُيُـوفُنَا وأُسْدُ الشَّرَى الْمَلَأَى وَإِنْ جَمَدَتْ رُعْبَا [2]

شرح الألفاظ: الصيد: أعزاء الرجال، والملاين: الممالسات، المهادنات، آل بهرام وآل بلنطس وآل منوال: من أمراء الروم وكبرائهم، الجحاجحة: الأبطال، الغلب: الشجعان، البرطسيس: موضع اللقاء بالرومية، المنسطرياطس:جبهة اللقاء بالرومية،أسد الشرى:ا لأسد المنسوبون إلى الشرى وهي من أشجع الأسود واستعارها للمقاتلين العرب المسلمين.[3]

في هذا البيت وصف أبو فراس السيف وصفا تقليديا حيث إنه شبه السيف ببيض الهند، ولكنه مع ذلك استعمل فيه بعض المصطلحات الجديدة مثل "صيدكم" و "آل الملاين"و "آل بهرام" و " آل بلنطس" وغيرها من الأسماء الرومية ويكثر بها

1- الكتاب الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله صلى الله عليه وسلم وسننه وأيامه، أبو عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري، المحقق: محمد زهير بن ناصر الناصر، الناشر: دار طوق النجاة، الطبعة الأولى: 1422هـ: 8/ 405

2- ديوان أبي فراس، ص: 37

3- المرجع السابق، ص: 38

في أبياته ما يدل على معرفته لقواد الروم وأماكنها، فيذكر جميع الأحداث التي هزم فيها الروم بأسلوب بارع حيث يذكر أسماء قوادهم وأماكنهم بالتوالي، مثله قوله:

فسل بردسا عنا أخاك و صهـــره وسل آل برداليس أعظمكم خطبا

وسل قرقواسا والشميشق صهره وسل سبطه البــطريق أثبتكم قلبا[1]

تفضيل السيوف على الأقلام

وقال أبو فراس يصف السيوف:

بِأَقْلَامِنَا أُحْجِرْتَ أَمْ بِسُيُوفِنَا وَأُسْدُ الشَّرَى قُدْنَا إِلَيكَ أَمِ الْكُتُبَا[2]

شرح الألفاظ: أحجرت: لذت بالجحور والمخابئ، الشرى: طريق في جبل سلمى كثيرة الأسد.([3])

في هذا البيت براعة المقارنة التي جرت بين الأقلام والسيوف وبين الفرسان كأمثال الأسود والكتب، ولا سيما هذه المقارنة التي قام بها أبوفراس، لا نظير لها في العصر الجاهلي لأنهم كانوا لا يعرفون أهمية الكتب والأقلام، وبعبارة أخرى ما عرفت لديهم وسائل الكتابة والقراءة كما عرفت في العصر العباسي، فلذلك لم تمس حاجة للشعراء الجاهليين لإقامة المقارنة بين الكتب والفرسان أو بين السيوف والأقلام، مع ذلك أنه فضل السيوف على الأقلام لأنه كان فارسا مغوارا ومقاتلا مقداما ولأنه قضى معظم حياته في الحروب فهذا أمر طبيعي أنه يفضل السيف على القلم، ولكن مع ذلك

---

[1]- ديوان أبي فراس الحمداني، ص: 36

[2]- ديوان أبي فراس الحمداني، ص: 37

[3]- تاج العروس، مرتضى الزبيدي، دار الهداية- القاهرة: 38/ 367

تأثير وسائل الكتابة والقراءة في كلامه لا ينكر، وكذلك المقارنة بين السيف والقلم توجد عند المتنبي حيث يقول:

حتى رجعت و أقلامي قوائل لي المجد للسيف ليس المجد للقلم[1]

الكناية الجميلة

وقال يصف السيف والرمح:

فَأَظْمَأُ حَتّىَ تَرتَوِي الْبِيضُ وَالقَنَا وَأَسْغَبُ حَتَّى يَشْبَعُ الذِّئْبُ وَالنَّسْرُ[2]

في هذا البيت عرض أبو فراس الكناية الجميلة كما يقول " ترتوي البيض والقنا" و" يشبع الذئب والنسر" ولا سيما هذه من أروع الكنايات التي استعملها أبوفراس تظهر سفك دماء الأعداء وسقوط عدد كبير من قتلاهم ويظهر بذلك أكل الذئاب والنسور لجثثهم ويراد بـ "ترتوي البيض والقنا" كثرة جريان الدماء حيث تقطر سيوفهم و رماحهم بالدماء مثل مطر غزير حتى تقتنع به نفس الشاعر وليطمئن به قلبه، فترى فيه براعة الأسلوب وصدق العاطفة، حيث ربط فيه الشاعر ظمآنه بارتواء السيوف والرماح بالدماء، وهذه كناية جميلة لسفك دماء الأعداء في الحرب، وقلما يُنظر هذه الأسلوب في كلام الشعراء الآخرين.

أسلوب جديد

وقال يصف السيف بأسلوب إبداعي جميل:

وَصَنَاعَتِي ضَرْبُ السُّيُوفِ وَإِنَّنِي مُتَعَرِّضٌ فِي الشِّعْرِ بِالشُّعَرَاءِ[3]

---

[1]- شرح ديوان المتنبي، ص: 413

[2]- ديوان أبي فراس الحمداني، ص: 128

[3]- ديوان أبي فراس الحمداني، ص: 22

يقول: ما أفتخر به هو الضرب بالسيوف وخوض المعارك، وإنما أتعرض للشعر تعرضا، وليس موضع فخري واعتزازي."في هذا البيت أبو فراس قد آثر السيف على الشعر وجعل ضرب السيف صناعة له، كأنه اتخذها مهنة له، فهذه جدة ويظهر به أن الشاعر وثيق الصلة بالسيف والحرب والقتال عنده محبب كمثل الرجل المحترف الذي يتخذ عمله حرفة له ومهنة وهذا يدل على أنه صاحب السيف وبطل مجرب، فينظر فيه براعة التشبيه في وصف السيف ولا سيما أن له أسبقية ففي ذلك.

التشبيه المبتكر

وقال يصف أداة الحرب:

وَأَلْسِنَةٍ مِنَ العُذْبَاتِ حُمْرٍ تُخَاطِبُنَا بِأَفْوَاهِ الرِّمَاحِ[1]

شرح الألفاظ: العذبات:الأغصان أو أعواد الرماح،

في هذا البيت قدم أبو فراس تشبيها رائعا جميلا لأداة الحرب حيث إنه شبه الحرب بكلام أدوات الحرب حيث تخاطب الأعداء من أفواه الرماح تتكلم بها، وكلام الرماح طعنها ونفوذها في أجساد الأعداء، ولا شك في أن كلام الرماح ليس بكلام عادي مثل تكلم بعضنا لبعض، بل كلامها اختراقها في الأجساد، والمراد بالألسنة أسنة الرماح ونصلها وصارت حمرا بعد أن تلطخن بدماء الأعداء، وإنه قد أتى بأحسن الوصف للرماح و مثل قوله:

لنا منه وإن لويت قليلا ديون في كفالات الرماح[2]

---

[1]- المرجع السابق، ص: 85

[2]- المرجع السابق، ص: 80

يقول فيه تضمن إحراز المال بكفالة من الرماح وباستخدام القوة، ومثل قوله:

ولي عند العداة بكل أرض ديون في كفالات الرماح[1]

يقول فيه لي عند الأعادي ديون أطالبهم بها ولا تكفل أداءها إلا الرماح المشرعة، وقد جاء بوصف الرماح متتابعا في قصيدة واحدة.

المبالغة في الوصف

وقال الحمداني يصف سلاح الحرب:

عَـلَونَا جَوشَنَا بِأَشَدَّ مِنْـهُ، وَأَثْبَتَ عِندَ مُشْتَجَرِ الرِّمَاحِ

بِجَيشٍ جَاشَ بِالفُرْسَانِ حَتَّى ظَنَنْتَ الْبَرَّ بَحْرًا مِنْ سِلَاحِ[2]

شرح الألفاظ: جوشن: اسم جبل قرب حلب، مشتجر الرماح: اشتباكها في المعركة،جاش: هاج واضطرب.[3]

في هذالبيت ذكر أبوفراس وقعة الحرب التي دارت بين جيش سيف الدولة والجيش الرومي على الجبل جوشن قرب حلب ثم ذكر جيشه وبأسه الذي ارتجف به الجبل وكان جيشه أشد بأسا من الجبل، ثم صور هذه المعركة تصويرا رائعا جميلا ووصف فيها السلاح وصفا بالغا وأسرف فيه حيث مثله ببحر من السلاح ما يدل على كثرة السلاح أو كثرة عدد الفرسان، ولا سيما هذا

---

[1]- المرجع السابق، ص: 83

[2]- المرجع السابق، ص: 85

[3]- مصباح اللغات، بلياوي، ص: 131

التشبيه من إبداع أبي فراس، لأن هذا التشبيه " بحر من السلاح" غريب نادر لا يوجد نظيره في العصر الجاهلي.

التشبيه المبتكر

وقال الحمداني يصف السيف:

وَالمَاءُ يَفْصِلُ بَينَ زَهْـ ـرِ الرَّوْضِ، فِي الشَّطَّينِ فَصْلَا

كَبِسَاطِ وَشْيٍ، جَرَّدَتْ أَيدِي الْقُيُونِ عَلَيـهِ نَصْلَا[1]

التحليلات اللغوية: الوشي: نوع من الثياب المنقوشة، وجرد السيف: سله، والقيون: جمع قين وهو صانع الأسلحة، وقيل في المعجم الوسيط الحداد ثم أطلق على كل صانع، النصل: حديدة السيف أو السهم أو الرمح أو السكين.[2]

في هذا البيت يشبه أبو فراس حال ماء الجدول ، وهو يجري بين روضتين على شاطئيه حلاهما الزهر ببدائع ألوانه منبثا بين خضرة الناضرة، بحال سيف لماع لا يزال في بريق جدته، وقد جرده القيون على بساط من حرير مطرز، ففيه تشبيه الجدول بالسيف، والثاني تشبيه الروضة بالبساط الموشى... وهو يريد أن يشبه حال الجدول وهو بين الرياض بحال السيف فوق البساط الموشى"[3]. فهذا تشبيه تمثيلي وهذا الشعر يمثل ثقافة عصره التي ارتقت وازدهرت في ذلك العصر وهذا التشبيه يلائم الأذهان ورغبت إليه العقول آنذاك، ويظهر في ذهن القارئ مشهد رائع جميل للسيف عند قراءة هذا البيت ويدل على حب الشاعر العميق للسيف وأن السيف أحب شيء

---

[1]- ديوان أبي فراس الحمداني، ص: 225

[2]- معجم الوسيط، دار النشر: دار الدعوة، تحقيق: مجمع اللغة العربية،

3- البلاغة الواضحة، علي جارم، مصطفى أمين، الناشر: قديمي كتب خانه، آرام باغ -كراتشي، ص: 35

عنده، فالصورة التي قدمها الشاعر في هذا البيت بعيدة عن تقاليد الجاهلية حيث إنهم كانوا لا يعرفون هذا المشهد الرائع البهيج، وهذا من ابتكار الشاعر.

الأثر الثقافي

وقال الحمداني يصف السيف:

هَوَانَا غَرِيبُ شُزَّبُ الْخَيلِ وَالقَنَا لَنَا كُتُبٌ وَ البَاتِرَاتُ رَسَائِلُ[1]

في هذا البيت يلمح الآثار الثقافية إذ يشبه الخيل والقنا بالكتب والباترات بالرسائل، فلا سيما هذا التشبيه يستغرب عند شعراء الجاهلية لقلة وسائل الكتابة والقراءة حيث إنها كانت بعيدة عن الأذهان ولم يأنس إليها العقول، ولكن المجتمع الذي يتنفس فيه أبو فراس عرف بالثقافة وازدهرت فيه العلوم والفنون، والكتب والرسائل حظيت باهتمام الناس في العصر العباسي الثاني وملئت المكتبات وأقيمت الأسواق للوراقين حيث إنهم انكبوا على الكتابة وانتساخ المصادر ليلا ونهارا، ووسائل الكتابة والقراءة حازت أهمية بالغة لديهم، حتى تلمح آثارها في الشعر والأدب، بتشبيه الخيل بالكتب والسيوف الباترات بالرسائل أجدر له وأليق باعتبار هذه البيئة عرفت بالكتب والرسائل، وقلما عمل شاعر لإتيان التشبيه مثلها وهو نادر الوقوع.

الفخر بعلاقة الإرث بالسلاح

وقال أبو فراس الحمداني يصف الرمح:

وَلِلوُرَّاثِ إِرْثُ أَبِي وَ جَدِّي جِيَادُ الْخَيلِ وَالْأَسَلِ الطِّوَالِ[2]

[1]- ديوان أبي فراس الحمداني، ص: 236

[2]- ديوان أبي فراس، ص: 259

في هذا البيت جعل أبو فراس الجياد الخيل والأسل الطوال من التراث الغالي الكريم الذي يرثه من أبيه وجده، فلا سيما هذا من تراث كرام الناس وهذا الشعر يدل على أن مهنة الحرب تجري متواليا في أسرته و تحمل به دماءهم وتظهر في مواقف القتال، فهو نجل كريم بعدهم الذي ورث هذا التراث الكريم من أجداده، وأنه وثيق الصلة بالحروب وهذه عادة معروفة لعشيرته، وتعد من خصائل كرام الناس، ويستمر في أسرته بعده، ومن مفاخر أجدادهم حيث إن الناس يفتخرون بالأموال والتراث المادي، لاسيما أنه أتى بوصف رائع جميل، وفي الجاهلية أخذ لقيط بن يعمر "الإرث" في معنى آخر كما هو يقول يحذر قومه عن جيش كسرى:

لا تثمروا المـــال للأعداء إنهم إن يظفروا يحتووكم والتلاد معا

يا قوم إن لكم من إرث أولكم إن ضاع آخره أو ضل واتضعا[1]

ولكن أبا فراس توسع في معنى الإرث مجددا له وازداد مجدا واعتزازا وكما يقول أبو الطيب المتنبي في الأسل الطوال:

إذا وصفوا له داء بثغر سقاء أسنة الأسل الطوال[2]

قد استخدم المتنبي هذا التركيب في القافية نفسها والوزن كما فعل أبو فراس، وهذا يدل على التنافس بين الشاعرين.

---

[1]- الأمالي للمرزوقي، ص: 50

[2]- ديوان المتنبي، محمد خداش، ص: 223

الفصل الرابع

الابتكار والتقليد في تصوير قادة الحرب و فرسانها عند الشاعرين

يشتمل على مبحثين:

ـ وصف القائد والفرسان عند المتنبي

ـ وصف القائد والفرسان عند أبي فراس

المبحث الأول:

وصف القائد والفرسان عند المتنبي

الإسراف في الوصف

قال المتنبي يصف قائد الحرب:

إِنْ تَلْقَهُ لَا تَلْقَ إِلَّا جَحْفَلًا أَوْ قَسْطَلًا أَوْ طَاعِنًا أَوْضَارِبَا

أَو هَارِبًا أَو طَالِبًا أَوْ رَاغِبًا أَو رَاهِبًـا أَو هَالِكًا أَو نَادِبَا[1]

شرح الألفاظ: القسطل هنا: غبار الحرب، وهو القسطل، والقسطال والقسطول والقسطلان والقصطل – بالصاد – كله الغبار الساطع[2]، والجحفل: الجيش العظيم[3]

يقول في هذه الأبيات إنه لا ينفك عن هذه الأشياء. ثم قال مبينا لأحوال الناس معه قائلا: فلا ترى إلا هاربا من جيشه، أو طالبا رفده، أو راغبا في إحسانه، أو راهبا من بأسه، أو هالكا بسيفه، أو نادبا على قتيل له من الأسرى الذين أسرهم، وقال الواحدي: ويجوز أن هذه أحوال الممدوح: أي تلقاه هاربا من الدنايا وطالبا للعلى، وراغبا للمكارم، وراهبا من الله تعالى وهالكا: أي مهلكا، كما قال العجاج:

ومهمه هالك من تعرجا

---

[1]- ديوان المتنبي، تحقيق: محمد خداش، دار الغد الجديد، الطبعة الأولى، 2013م، ص: 92

[2]- مصباح اللغات، بلياوي، ص: 679

[3]- مصباح اللغات، بلياوي، ص: 102

ونادبا: من يبارزه من الندب، وهذا تعسف من الواحدي كما ترى."[1] وكما يقول الشارح: إن فيه إسرافا واضحا وتكرارا لا يستجاد والمبالغة المملة في الوصف، كما عرف للمتنبي أنه دائما يميل إلى المبالغة والتجاوز ويقال له "رب المعاني الدقاق"[2] "واختص بالإبداع في مواقف القتال."[3] ومع ذلك أنه نابغة من نوابغ الدنيا ولا مثيل له في القرون السالفة إلا الشواذ والأفذاذ من الشعراء، فالابتكار لا ينكر من كلامه وعرف بإتيان المعنى المبدع والتشبيه المبتكر في شعره.

آثار العولمة في شعر المتنبي

وقال أبو الطيب يصف جيش سيف الدولة:

تَجَمَّعَ فِيهِ كُلُّ لِسْنٍ وَ أُمَّـةٍ فَمَا يُفهِمُ الحُدَّاثَ إلَّا التَّرَاجِمُ[4]

شرح الألفاظ: اللسن: الكلام، وحكى أبو عمرو: لكل قوم لسن يتكلمون بها: أي لغة، وأيضا اللسان، ومنه قراءة أبي السماك (**وَمَا أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسْنِ قَومِهِ**) أي بلسان قومه[5] والمعنى أنه اجتمع في هذا الجيش كل جيل من الناس وأهل كل لغة من اللغات، فإذا كلم جيل منهم من ليس من أهل لغته احتاج إلى مترجم يترجم له. والحداث جمع حادث، وهو بمعنى المتحدث، ومنه قول المجنون: أتيت مع الحداث ليلى فلم أبن".[6] يبدو في هذا البيت أن المتنبي كان له فكرة متقدمة كما ظهرت في الشعر آثار التوسع الفكري التي يختص بها الشعراء في

---

[1]- شرح ديوان المتنبي: 1/ 254

[2]- مقدمة "شرح ديوان المتنبي، ص: 4

[3]- تاريخ النقد الأدبي عند العرب، د. إحسان عباس، تاريخ النشر:1983م، دار الثقافة- بيروت، ص: 597

[4]- ديوان المتنبي، محمد خداش، ص: 319

[5]- تاج العروس، مرتضى الزبيدي: 36/ 114

[6]- شرح ديوان المتنبي: 1/ 100

العصر الحديث حيث وهب الله له العقل الراقي والفكرة الواسعة تتجاوز عن حدود القبيلة والعشيرة إلى العولمة والأفق الواسع، وهذا قلما كان نصيب شاعر جاهلي، ونستطيع القول أن المتنبي كان رائد المعاصرين من الشعراء في الإبداع و الابتكار.

الإضافة إلى المعنى التقليدي

وقال أبو الطيب يصف الفرسان:

ذَمَّ الدَّمُسْتُقُ عَينَيهِ وَقَدْ طَلَعَتْ سُودُ الغَمَـامِ فَظَنُّوا أَنَّهَا قَزَعُ

فِيهَا الْكُمَاةُ الَّتِي مَفْطُومُهَا رَجُلٌ عَلَى الْجِيَادِ الَّتِي حَوَلَيهَا جَذَعُ[1]

التحليلات اللغوية: الدمستق: صاحب جيش الروم، والقزع: المتفرق من السحاب واحدها قزعة، فيها: يراد به سود الغمام، والكماة: جمع كمي، وهو الشجاع المتسلح، والحولي الذي أتى عليه حول، والجذع الذي أتى عليه حولان.[2]

يقول: رأى الدمستق كتائب سيف الدولة فظنها شرازم قليلة ورأى سحابا متراكمة وظنها قطع متفرقة، فلما وجد الأمر على خلاف ما أدركته عيناه ذم نظر عينيه. وعبارة ابن جني: " تحير حتى أنكر حاسة بصره، وهذا يشبه قول البحتري: فلما التقى الجمعان لم تجتمع له يداه ولم يثبت على البيض ناظره ويقول: فيها أي في سود الغمام، وهي عساكر سيف الدولة، وانكشف الغبار فرأى فيها أبطال صبيهم رجل لدى الوغى وحولي خيلهم جذع، يعني الصغير في جيشه

[1]- ديوان المتنبي، محمد خداش، ص: 259

[2]- - شرح ديوان المتنبي: 2/ 335

كبير يعظم أمره"[1] فيه امتزاج جميل للابتكار والتقليد، قد أخذ المتنبي فكره من عمرو ابن كلثوم ثم أضاف فيه معنى وتشبيها وابتكر معناه، وقال عمرو ابن كلثوم:

إذا بلغ الفطام لنا صبيّ تخر له الجبابر ساجدينا[2]

والمتنبي يؤدي المعنى نفسه إلا أنه أطلقه على الجياد أيضا، وجعل حولي جيش الممدوح مثل الجذع كما جعل المفطوم مثل الرجل.

التأثر بالفكرة القرآنية

وقال المتنبي يصف قائد الحرب:

قَسَا فَالأُسدُ تَفْزَعُ مِنْ قَوَاهُ وَرَقَّ فَنَحنُ نَفْزَعُ أَن يَّذُوبَا[3]

يقول البرقوقي في شرحه: قسا قلبه في الحروب حتى لتخاف الأسد بطشه وسطوته وهو مع ذلك في مجلسه رق طبعا وكرما حتى لنخاف أن يذوب ويقال فلان يذوب طرفا: إذا لان جانبه، واحلولت شيمته".[4] في هذا البيت تأثر الشاعر بالفكرة القرآنية حيث قال الله تعالى في صفات المجاهدين: (**أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ**)[5] فممدوحه سيف الدولة يحمل مثل هذه الصفات حيث أنه يصير صلبا وقاسيا مثل الحديد في الحروب، ويلين ويرق في مجالس الأصدقاء.

---

[1]- شرح ديوان المتنبي: 2/ 335

2- ديوان عمرو بن كلثوم، شرح و تحقيق: الدكتور إميل بديع يعقوب، دار الكتاب العربي، الطبعة الأولى، 1411هـ ، ص: 91

[3]- ديوان المتنبي، محمد خداش، ص: 164

[4]- شرح ديوان المتنبي: 1/ 269

[5]- سورة الفتح، رقم الآية:

التأثير الفلسفي

وقال يصف سيف الدولة كقائد الحرب:

وَهَلْ يُخطِي بِأَسْهُمِهِ الرَّمَايَا وَمَا يُخطِي بِمَا ظَنَّ الغُيُوبَا[1]

يقول البرقوقي في شرح هذا البيت: إنه صائب الفكرة فهو يرمي المغيبات بسهام ظنه فيصيبها لثقوب فكره، فكيف لا يصيب المحسات بسهامه؟"[2] ويلمح في هذا البيت التأثير الفلسفي الدقيق ولا يحظى شاعر منه بنصيب إلا من نادر، والمتنبي حاز مكانة عالية بينهم لفكره المتوقد وحبه للابتكار، والشئ الجديد يرحب به دائما، فالشاعر الذي يتحلى بهذه الصفات يرحب بالابتكار وكثيرا ما يخالف التقاليد المتكررة.

المعنى الدقيق

وقال المتنبي يصف الفارس العزيم :

أَ عَزْمِي طَالَ هذَا اللَّيلُ فَانْظُرْ أَ مِنكَ الصُّبْحُ يَفْرَقُ أَن يَؤُوْبَا ؟[3]

يقول (مخاطبا عزمه): أنظر يا عزمي هل علم الصبح بما أنا عازم عليه من الاقتحام فتأخر خشية أن يصاب في جملة أعدائي؟ وعبارة ابن فورجة*: أراد لعظم ما عظمت عليه ولشدة ما أنا عليه من الأمر الذي قمت به، كأن الصبح يفرق من عزمي، ويخشى أن يصيبه بمكروه، فهو

---

[1]- ديوان المتنبي، محمد خداش، ص:165

[2]- شرح ديوان المتنبي: 1/ 270

3- ديوان المتنبي، محمد خداش، ص: 163

*ابن فورجة(380هـ---455هـ) محمد بن حمد بن محمد بن عبد الله بن محمود بن فورجة البروجردي: عالم بالأدب، له شعر، مولده في نهاوند، وإقامته بالري. من كتبه التهجي على ابن جني، والفتح على أبي الفتح(الأعلام للزركلي، 6/ 109

يتأخر ولا يؤوب."[1] ويظهر من الشرح المذكور أن الشاعر يمدح نفسه كفارس مغوار ويأتي بتشبيه فلسفي دقيق لبيبان هذا الوصف، ويجعل الصبح ككائن حسي يشعر ويخاف من غارة الشاعر الذي يكاد يشن المغارة بالفجر.

التصنع والتكلف

وقال أبو الطيب يصف قائد الحرب:

وَلَولَا احْتِقَارُ الْأُسدِ شَبَّهْتُهَا بِهِمْ وَلكِنَّهَا مَعْدُودَةٌ فِي الْبَهَائِمِ[2]

قال العكبري يقول: الأسد- وهي جمع أسد- معدودة من البهائم، ولو لا ذلك لكنت أشبهها بهم، فأقول الأشد مثلهم، وإنما يقع التشبيه للمفضول بالفاضل إذا كان بينهما مناسبة، ولا مناسبة بين هؤلاء وبين الأسود إلا بالإقدام، وقيل إنما أغرب أبو الطيب"[3]

في هذا البيت يظهر منه المبالغة الواضحة والغلو، وهذه المبالغة تناسب طبع المتنبي المائل إلى الغلو والشاعر مثل المتنبي أنسب وأليق لهذا المبالغة لأنه دائما يميل إلى الغلو والإسراف في الوصف وأراد الوصول إلى الدرجة التي لم يصل إليها المتقدمون. ففي البيت المذكور قد ابتكر المتنبي في المعنى التقليدي حيث أنه أتي بالمعنى الجديد في تشبيه الأسد.

التعقيد المعنوي

وقال المتنبي يصف قائد الحرب:

---

[1]- شرح ديوان المتنبي: 1/ 266

[2]- المرجع السابق، ص: 178

[3]- شرح ديوان المتنبي: 4/ 242

لَو تَنَكَّرْتَ فِي الْمَكَرِّ لِقَومٍ حَلَفُوا أَنَّكَ اِبْنُهُ بِالطَّلَاقِ[1]

التحليلات اللغوية: تنكرت: غيرت زيك حتى لا تعرف، المكر: مكان الكر في الحرب.

يقول فيه: لو غيرت زيك في ساحة الحرب حتى لا يعرفك أهلها لعرفوك بأفعالك التي لم يكن يفعلها غير أبيك حتى يحلفون بالطلاق أنك ابنه. وقال ابن جني: في المكر حشو وفيه نكتة، وهي أنه شبه في المكان الذي يتبين فيه الفضل والشجاعة فذكر أنفس المواضع،...وقال التبريزي: حلفوا أنك ابنه: أي ابن المكر إذ يجدونك فيه سالما من الطعن والضرب، فكأن المكر أب يشفق عليك من أن يصل إليك جرح أو طعنة."[2] قد تبين في الشرح المذكور أن المتنبي يميل فيه إلى التعقيد المعنوي وهذه سمة بارزة في شعره. والشئ الجديد بالنسبة للشعر الجاهلي هو" الحلف بالطلاق" وهذا لا يعرف لدى الشعراء في العصر الجاهلي ولا سيما هذا بتأثير الفقه الإسلامي.

المصطلح الإسلامي

وقال يصف سيف الدولة كقائد الحرب:

قَلَّ نَفْعُ الْحَدِيدِ فِيكَ فَمَا يَلْقَاكَ إِلَّا مَنْ سَيفُهُ مِنْ نِفَاقِ[3]

يقول في هذا البيت إن أعداءك لا يقدرون عليك بسيوف الحديد لامتناعك على أسلحتهم ببأسك وشجاعتك وشدة شوكتك. فلا يلقونك إلا بسيف النفاق، يعني أن أعداءك يعدلون عن مجاهرتك بالحرب إلى مواراتك بالنفاق."[4] كلمة النفاق مصطلح إسلامي خالص استعمل في

---

[1]- ديوان المتنبي، محمد خداش، ص: 200

[2]- شرح ديوان المتنبي: 1/ 108

[3]- ديوان المتنبي، محمد خداش، ص: 201

[4]- شرح ديوان المتنبي: 3/ 108

العصر الإسلامي للدلالة على العداء الخفي من غير المسلمين بإضمار الكفر والتظاهر بأنهم من أهل الإسلام، فاشتهر هذا المصطلح بعد ذلك، فتأثر به المتنبي حيث إنه تضمنه في شعره.

التوسع الفكري

وقال يصف قائد الحرب:

كَيْفَ يَقْوَى بِكَفِّكَ الزَّنْدُ وَالآ فَاقَ فِيهَا كَالْكَفِّ فِي الآفَاقِ[1]

يقول: كيف يطيق زندك حمل كفك وهي قد اشتملت على نواحي الأرض، أي استولت على أطرافها حتى صارت الآفاق صغيرة بالقياس إليها كالكف بالقياس إلى الآفاق، يريد أنه اقتدر على الدنيا وصغرت في قبضته."[2] ينظر في هذا البيت السعة في الأفكار حيث إن حكم ممدوحه سيف الدولة قد امتد على مناطق البلاد ويسود من مشارق الأرض إلى مغاربها وبينه بتمثيل رائع جميل ماكان نصيب شاعر إلا المتنبي الذي غاص في بحر المعاني وأخرج منها اللئالي والمرجان وأيضا يرى فيها النزعة الفلسفية، والمتنبي دائما يميل إلى الفلسفة والمعنى الدقيق الذي أثار فيه التجدد والابتكار.

تذكرة مدن العالم

وقال المتنبي يصف قائد الحرب:

أَتَى خَبَرُ الأَمِيرِ فَقِيلَ كَرُّوْا فَقُلْتُ نَعَمْ وَلَو لَحِقُوا بِشَاشِ[3]

---

[1]- ديوان المتبي، محمد خداش، ص: 200

[2]- شرح ديوان المتنبي: 3/ 108

[3]- ديوان المتنبي، محمد خداش، ص: 205

التحليلات اللغوية: شاش: بلد في وراء النهر،

يقول: ورد خبر الأمير وأنه مع جيشه كروا على العدو، فقلت: نعم- تصديقا لهذا الخبر- يكر الأمير وأصحابه ولو لحق جيش عدوه بشاش: أي لو أمعن عدوه في الهرب وكان بعيدا، وهذا من قول البحتري:

يضحى مطلا لعى الأعداء لو وقفوا بالصين لعدها ما استبعد الصينا

قال ابن جني: كان أبو العشائر استطرد الخيل ثم ولى بين أيديهم هاربا، ثم جاء خبره أنه كر عليه راجعا، فيقول المتنبي: نعم، يكرون- أي الأمير وأصحابه- ولو لحقوا من فرارهم بشاش." و"شاش" بلد من بلاد ماوراء النهر وكانت تقع على أبعد مسافة عن بلاد العرب تذكرة "شاش" في شعر المتنبي يدل على أن هذا الموضع عرفته بعض الناس ويدل أيضا على اتساع معلوماته بمدن العالم.

الاستعانة بالعقيدة

وقال أبو الطيب يصف قائد الحرب:

عَلى عَاتِقِ الْمَلكِ الْأَغَرِّ نِجَادُهُ وَفِي يَدِ جَبَّارِ السَّمَاوَاتِ قَائِمُهْ[1]

في هذا البيت يشير المتنبي إن السيف الذي يضرب به الملك الممدوح أعداءه، في حقيقته يمضي بقوة الله – خلفه تأييد الله- ويظهر به عقيدته الإسلامية والاعتقاد القوي بتأييد الله تعالى ويبرز فيه مؤمنا بالله ونصره للمجاهدين في سبيل الله تعالى، ويعتقد أن الملك الممدوح يحصل على تأييد الله تعالى مباشرة، فالاستمداد بالعقيدة من التعليمات الإسلامية وكانت مؤثرا قويا في

[1]- ديوان المتنبي، محمد خداش، ص: 218

كلام الشعراء لذلك العصر حيث إن الثقافة الإسلامية قد تأزرت في المجتمع العباسي، وكما يقول المتنبي في شعر آخر يمدح سيف الدولة:

فأنت حسام الملك والله ضارب وأنت لواء الدين والله عاقد[1]

المعنى الدقيق

يقول المتنبي يصف شجاعة سيف الدولة:

يَحِيدُ الرُّمْحُ عَنكَ وَفِيهِ قَصْدٌ وَيَقْصُرُ أَنْ يَنَالَ وَفِيهِ طُولُ

فَلَو قَدَرَ السِنَانُ عَلى لِسَانٍ لَقَالَ لَكَ السِّنَانُ كَمَا أَقُولُ[2]

التحليلات اللغوية: يحيد: يميل عن، قصد: استقامة،

يقول البرقوقي في شرحه: (مخاطبا سيف الدولة) قد بلغت من المهابة والشرف أن الجماد يعرفك، فالرمح يخافك فيحيد عنك ويميل، مع أن فيه قصدا إذا طعن به غيرك ويقصر عن أن ينالك مع طول هيبة لك، والمعنى أن الأبطال تتحاماه في الحروب فلا تجترئ على مطاعنته."[3] في هذا البيت كما ترى إسراف واضح في مدح الملك، مع ذلك أنه اختار تمثيلا رائعا لتعبير هيبة الملك وشوكته حيث أن الأسنة تخاف أن تصيبه فتميل يمينا وشمالا كأنها مخلوق حي يعرف مَن أمامه، فلا منازع أن هذا الأسلوب الرائع الجميل من حظ المتنبي الذي يمتلك ذهنا متوقدا ودائما يميل إلى الطرق المبتكرة، وهو "رب المعاني الدقاق" كما ذكرت من قبل.

---

[1]- ديوان المتنبي، محمد خداش، ص: 266

[2]- شرح ديوان المتنبي: 3/ 139

[3]- شرح ديوان المتنبي: 3/ 139

التعقيد المعنوي

وقال يصف القائد وصفا معقدا:

وَجَيشَ إِمَامٍ عَلَى نَاقَةٍ صَحِيحَ الإِمَامَةِ فِي البَاطِلِ

فَأَقْبَلْنَ يَنْحَزْنَ قُدَّامَهُ نَوَافِرَ كَالنَّحْلِ وَالْعَاسِلِ[1]

التحليلات اللغوية: المراد بالإمام: الخارجي، والعاسل: الذي يجني العسل من خلايا النحل، وينحزن: من الانحياز، وهو كالانهزام، الانضمام إلى جانب.[2]

يقول: ولقيت هذه الخيل – التي مضى ذكرها في الشعر السابق- جيش إمام في قومه صحيح الإمامة ليهم، إذ سلموا له الإمامة ولكنه إمام المبطلين... وإنها لكلمة بارعة قوله" صحيح الإمامة في الباطل". وقال ابن جني: معناها قد صح أن إمامته باطلة لا شك في ذلك,والتفسير الأول أوجه،وقال شارحوا الديوان جميعا: أي أقبلت خيل الخارجي تنفر وتهرب من جيش سيف الدولة نفور النحل من العاسل، وقال اليازجي: أي إن خيل الممدوح انحازت أمام هذا الجيش ونفرت منه كما ينفر النحل من العاسل، يشير إلى كثرة هذا الجيش وما ألقاه من الهول على جيش سيف الدولة، وهو الأظهر والأوجه."[3] والمتنبي حاول دائما أن يأتي بتشبيه ما سبق إليه أحد من قبل، كما هو يقول في وصف الخيل:

فدانت مرافقهن الثرى على ثقة بالدم الغاسل[4]

---

[1]- المرجع السابق، ص: 227

[2]- شرح ديوان المتنبي: 157/3

[3]- شرح ديوان المتنبي، ص: 3، 157

[4]- ديوان المتنبي، محمد خداش، ص: 226

"وصحيح الإمامة في الباطل" كلمة مبدعة منه، ولا يفهم إلا بدقة النظر الإمعان، فإن المتنبي يقال له" رب المعاني الدقاق" كما هو يقول في بيت يحتوي المعنى الدقيق:

خافوك حتى ما لقتل زيادة وجاءوك حتى ما تراد السلاسل[1]

يقول: خافوك خوفا، لو قتلتهم لم يزد خوفهم على ذلك، وجاءوك طائعين حتى لا تحتاج في أسرهم إلى السلاسل."[2] فانظروا كيف عرض المتنبي المعنى الدقيق في هذا البيت فيحتاج التعمق والإمعان ودقة النظر لفهمه، فهناك أمثلة كثيرة في شعر المتنبي التي تمثل المعنى الدقيق، والدقة من أبرز الخصائص لشعر المتنبي .

استلهام الخلافة

وقال أبو الطيب يصف قائد الحرب:

أَمَا لِلْخِلَافَةِ مِنْ مُشْفِقٍ عَلَى سَيفِ دَوْلَتِهَا الْفَاصِلِ[3]

يقول: أما يشفق على سيف الدولة للخلافة ويبقى عليه ويمنعه من الحروب والقتال شفقة عليه من أن تصيبه آفة فتبقى الخلافة ولا سيف لها، والفاصل هو القاطع وهو من نعت سيف دولتها"[4]. في هذا البيت تذكرة الخلافة التي هي أعظم وأجل منصبا في الإسلام فجعل سيف الدولة ممدوحه والخلافة متلازمين، وقد أخذ هذه الفكرة من القرآن المجيد والخلافة الراشدة والذين

---

[1]- شرح ديوان المتنبي: 3/ 236

[2]- شرح ديوان المتنبي: 3/ 236

[3]- ديوان المتنبي، محمد خداش، ص:228

[4]- شرح ديوان المتنبي: 3/ 161

جاءوا من بعده من خلفاء بني أمية وبني العباس، فلا منازع أنه اعتبر ممدوحه يليق لأجل منصب.

التشبيه المبدع

وقال المتنبي يصف قائد الحرب:

أَرَى كُلَّ ذِي مُلْكٍ إِلَيكَ مَصِيرُهُ كَأَنَّكَ بَحْرٌ وَالْمُلُوكُ جَدَاوِلُ[1]

التحليلات اللغوية: الجداول: النهر الصغير، وإليك مصيره: أي منتهاه إلى الخضوع لك و وصل حباله بحبالك والتصرف حسب أمرك.[2]

في هذا البيت يأتي المتنبي بتشبيه رائع جميل لإظهار هيبة الممدوح وشوكته وعلو منزلته بين الملوك الآخرين وأن له مكانة بارزة بين الملوك، ومثله كمثل البحر الذي يساق إليه الملوك مقهورين كما تساق الجداول إلى البحر طوعا أو كرها، فهذا التمثيل يدل على غاية الجمال والروعة، والبحر تمثيل الهيبة والسعة والجود والعمق، والجداول تمثل خضوعا تاما وامتثالا بالغا، وقال النابغة الذبياني مثل قوله:

فإنك شمس والملوك كواكب إذا طلعت لم يبد منهن كوكب[3]

فبينمهما التشابه الكبير، كما غابت الكواكب بطلوع الشمس، كذلك يُعدم وجود الجداول الصغيرة إذا صُب ماءها في البحر، ففيه ابتكار جميل، فلا سيما أن هذا التمثيل يدل على معرفة المتنبي لمظاهر الكون وسَعة علمه.

---

[1]- ديوان المتنبي، محمد حداش، ص: 309

[2]- شرح ديوان المتنبي: 3/ 236

[3]- الإعجاز والإيجاز، أبو منصور الثعالبي، ط:3، دار الغصون- بيروت، 1405هـ ص: 139

استخدام الكلمات الدخيلة

وقال يصف قائد الحرب بصفات محمودة في المجتمع الإسلامي:

وَيَبْقَى عَلَى مَرِّ الْحَوَادِثِ صَبْرُهُ وَيَبْدُو كَمَا يَبْدُو الفِرِنْدُ عَلَى الصَّقْلِ[1]

التحليلات اللغوية: الفرند: جوهر السيف وماؤه. وهذا كلمة دخيلة كما ذكرها ابن منظور في لسان العرب،[2] والعصر الذي عاش فيه المتنبي كثرت فيه الكلمات الدخيلة بسبب اختلاط الثقافات الأجنبية في المجتمع العربي الخالص وازدهار العلوم والفنون.

يقول : في هذا البيتين صبره باق على حوادث الدهر ظاهرة آثاره ظهور فرند السيف إذا صقل، جعل مرور الحوادث به كالصقل للسيف، والسيف إذا صقل فزال ما عليه من الطبع- الصدا- ظهر فرنده، كذلك هو، إذا امتحن بالحوادث والشدائد ظهر صبره."[3] إن المتنبي في هذا البيت قد أخذ الصبر من أسمى الصفات وأكرم الخلق لقائد الحرب، فلا ننكر في شعره أثر الفكرة الإسلامية حيث إنه يهتم في الإسلام اهتماما بالغا وزادت أهميته خلال الحرب، حتى جعل الصبر يشترط به الفوز والنجاح في الحرب ويعد من أهم الصفات للمقاتلين كما قال الله تعالى في القرآن المجيد: (**إِنْ يَكُنْ مِّنْكُمْ عِشْرُونَ صَابِرُونَ يَغْلِبُوا مِائَتَيْنِ**)[4]

الاستيحاء من التاريخ الحربي الإسلامي

---

[1]- ديوان المتنبي، محمد خداش، ص: 234

[2]- لسان العرب، ابن منظور الإفريقي، الناشر: دار صادر- بيروت، الطبعة الأولى: 3/ 334

[3]- شرح ديوان المتنبي: 3/ 174

[4]- سورة الأنفال، رقم الآية : 65

وقال يمدح ابن عم سيف الدولة ويرثي له، اسمه أبو وائل تغلب بن داؤود بن حمدان، وقد توفي سنة ثمان وثلاثين وثلاثمائة:

يَأْنَفُ مِنْ مِيتَةِ الْفِـرَاشِ وَقَدْ حَلَّ بِهِ أَصْدَقُ الْمَوَاعِيـدِ

وَمِثْلَهُ أَنْكَرَ الْمَمَاتَ عَلَى غَيرِ سَرُوجِ السَّوَابِحِ الْقُودِ[1]

التحليلات اللغوية: أصدق المواعيد: الموت، القود: الطوال من الخيل.

يقول: إنه- أي الممدوح- يأنف من موته على الفراش لأنه شجاع أخو الحروب، ومثله في شجاعته وملابسته في الحروب ينكر موته على غير السروج أي في غير الحروب. "[2]

في هذه الأبيات يستوحي المتنبي الواقعة التاريخية المشهورة للحروب الإسلامية لما حضر الموت عند خالد ابن وليد رضي الله عنه الذي قضى طول حياته في الحروب ولقب بسيف الله على لسان رسول الله صلى الله عليه وسلم، ولما ورد عليه الموت بكى حسرة لأنه لم يستشهد في سبيل الله كما روي في في نهاية الأرب ،" إن خالد بن وليد رضي الله عنه لما حضرته الوفاة بكى وقال: لقيت كذا وكذا زحفا، وما في جسدي شبر إلا وفيه ضربة بسيف أو رمية بسهم أو طعنة برمح، وها أنا أموت على فراشي حتف أنفي كما يموت البعير، فلا نامت عيون الجبناء."[3]

---

[1]- ديوان المتنبي، محمد خداش، ص: 244

[2]- شرح ديوان المتنبي: 1/ 384

1- نهاية الأرب في فنون الأدب، المؤلف: شهاب الدين احمد بن عبد الوهاب النويري، دا ر النشر: دار الكتب العلمية- بيروت، الطبعة الأولى، 1424 هـ --- 2004م: 3/ 318

والشعراء في العصر الإسلامي بدأوا يوظفون الأحداث من التاريخ الإسلامي لتمثيل الأحداث العصرية، فهذا عنصر جديد ورد في الأدب العربي يفتخرون على الأشخاص الإسلاميين وأبطالهم كما كانت العرب يفتخرون بآبائهم وأجدادهم.

الآثار الثقافية

يقول أبو الطيب في وصف القادة:

أَوَّلَ حَرْفٍ مِنِ اسْمِهِ كَتَبَتْ سَنَابِكُ الْخَيلِ مِنْ جَلَامِيدِ[1]

التحليلات اللغوية: أراد بأول حرف من اسمه: "العين"لأن اسمه علي(سيف الدولة)، والسنبك: طرف الحافر، والجلاميد: الصخور.

يقول: إن حوافر الخيل لشدة وقعها على الصخور كانت تطبع فيها أثرا يشبه حرف العين في استدراته وفراغ وسطه، وطرف الحافر يشبه فم الحرف "ع"[2] ولا جدال أن هذا تشبيه نادر مبتكر ولا يأتي بها إلا الشاعر المثقف العالم، ولا شك في أن المتنبي يمثل المجتمع المثقف الذي شغف في العلوم والفنون وعقولهم أقرب لهذا التشبيه والطبائع تجذب إليه، وهو ليس كمثل المجتمع الجاهلي الذي بعيد من آثار الكتابة كما يذكرها المتنبي بدقة وإمعان إلا فيه قول للبيد حيث قال:

وجلا السيول عن الطلول كأنها زبر تجد متونها أقلامها[3]

---

[1]- ديوان المتنبي، محمد خداش، ص: 246

[2]- شرح ديوان المتنبي: 1/ 389

[3]- ديوان لبيد بن ربيعة العامري، دار صادر- بيروت، ص: 165

مع أن فيه ذكر القلم والزبر ولكنه يخلو من الدقة والإمعان كما هو نصيب شعر المتنبي.

الآثار الثقافية:

وكذلك ظهر الأثر الثقافي في هذا البيت كما يقول أبو الطيب:

وَكُلُّ فَتًى لِلْحَرْبِ فَوقَ جَبِينِهِ مِنَ الضَّربِ سَطْرٌ بِالأَسِنَّةِ مُعْجَمُ[1]

التحليلات اللغوية: معجم: الإعجام، التنقيط.

يقول: وحوله فتيان على وجوههم آثار الضرب والطعن يريد أنهم رجال حرب وجعل أثر الضرب كالسطر لطوله، وأثر الطعن إعجاما لذلك السطر(لتدور جراحته فهي كالنقطة) يعني أثر الجراحة على هذا السطر كالنقطة."[2] في هذا البيت يبدو الأثر الثقافي واضحا جليا لأن المتنبي يعيش في عصر الثقافات المتنوعة وشتى العلوم والفنون، فأذهان العصر أقرب إلى حروف الكتابة والعقول ترغب إليها والطبائع مستأنسة بها، فلا سيما أن التشبيهات مثله أثرت في القلوب والشاعر المثقف المتعلم مثل المتنبي لا يبعد عنها، فلعله أخذه من أبي تمام وجدد فيه، ومثله قال أبو تمام:

كتبت أوجههم مشقا نمنمة ضربا وطعنا يقات الهام والصلفا

كتابة لاتني مقروءة أبدا وما خططت بها لام ولا ألفا[3]

المثل السامي

---

[1]- ديوان المتنبي، محمد خداش، ص: 253

[2]- شرح ديوان المتنبي: 4/ 75

[3]- شرح ديوان أبي تمام، تحقيق: الخطيب التبريزي، الطبعة الثانية، دار الكتاب العربي- بيروت، 1414هـ: 425/1

أَبِالْغَمَرَاتِ تُوعِدُنَا النَّصَارَى وَنَحْنُ نُجُومُهَا وَهِيَ الْبُرُوجُ[1]

يقول: أتهددنا النصارى بالحرب ونحن أبناؤها لانفارقها، كما لا تفارق النجوم منازلها."[2]

قدم الشاعر مثلا ساميا رائعا في وصف الفرسان، فهذا مثل مبتكر وقد ظهرت فيه ثقافة الشاعر حيث جعل الحروب بروجا والفرسان نجوما، وما عرف هذا المثل لدى شعراء العصر الجاهلي، فهذا من ميله إلى التجدد والابتكار.

آثار الثقافة الإسلامية

وقال أبو الطيب يصف فرسان الحرب:

نَقُودُ إِلَيهَا الْآخِذَاتِ لَنَا الْمَدَى عَلَيهَا الْكُمَاةُ الْمُحْسِنُونَ بِهَا ظَنًّا[3]

التحليلات اللغوية: المدى: الغاية، والكماة: جمع كمي، وهو البطل المستتر في السلاح.

يقول: يقود إلى هذه الديار خيلا تبلغ بنا الغاية التي نرومها وتحرز بها قصب السبق، عليها فرسان قد جربوها وعرفوها فأحسنوا بها الظن لكثرة ما انتصروا عليها."[4] في هذا البيت يظهر التغيير الفكري عند الشاعر وظهر فيه أثر الثقافة الإسلامية حيث إنه وصف الفرسان بصفات المؤمنين، ووصف أنهم يحسنون الظن كما يقول الله تعالى في القرآن الكريم: **(يَأَ يُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا**

---

[1]- ديوان المتنبي، محمد خداش، ص: 257

[2]- شرح ديوان المتنبي: 1/ 361

[3]- ديوان المتنبي، محمد خداش، ص: 262

[4]- شرح ديوان المتنبي، ص: 299

اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِنَ الظَّنِّ, إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ)[1] وكما قيل في الحديث النبوي الشريف: "إِيَّاكُمْ وَالظَّنَّ فَإِنَّ الظَّنَّ أَكْذَبُ الْحَدِيثِ"[2]

المعنى الدقيق وأثر الثقافة الإسلامية

وقال المتنبي يصف سيف الدول وصفا دقيقا:

وَنُصْفِي الَّذِي يُكْنَى أَبَا الْحَسَنِ الْهَوَى وَنُرْضِي الَّذِي يُسَمَّى الْإِلَهَ وَلَا يُكْنَى[3]

شرح الشعر: أراد بالذي يكنى أبا الحسن: سيف الدولة، لأن اسمه علي، والعرب -كما قال العكبري- كانت تكني أولادها وهم صغار تفاؤلا أن يصيروا آباء، وفي قوله "يسمى الإله ولا يكنى" استلهم المتنبي هذا القول من العقيدة الإسلامية؛ عقيدة التوحيد وكل المبادئ الإسلامية وأحكام الشريعة الإسلامية وأطلقه على سيف الدولة وكتب هذا الشعر في خلفية الحرب، لأن البيت السابق هو:

نقود إليها الآخذات لنا المدى عليها الكماة المحسنون بها الظنا[4]

والبيت الذي لحقه:

وقد علم الروم الشقيون أننا إذا ما تركنا أرضهم خلفنا عدنا[1]

---

[1]-سورة الحجرات، رقم الآية:

4-الجامع المختصر الصحيح من أمور رسول الله صلى الله عليه وسلم و سننه و أيامه، المؤلف: أبو عبد الله محمد بن إسماعيل بن ابراهيم بن المغيرة الجعفي البخاري(؟ --- 256هـ)، المحقق: محمد زهير بن ناصر الناصر. الطبعة الأولى: 1422هـ,

[3]- شرح ديوان المتنبي، ص: 299

[4]- ديوان المتنبي، محمد خداش، ص: 299

وقد تجاوز وبالغ في الوصف كما هو معتاد.

من آثار الخلق الإسلامية

وقال أبو الطيب يصف قائد الحرب:

لَهُ مِنْ كَرِيْمِ الطَّبْعِ فِي الْحَرْبِ مُنْتَضٍ وَمِنْ عَادَةِ الْإِحْسَانِ وَالصَّفْحِ غَامِدُ[2]

التحليلات اللغوية: منتض: انتض السيف سله وجرده، غامد:

يقول: إنه ليس كسيوف الحديد التي تنتضى وتغمد، وإنما ينتضيه في الحرب كرم طبعه وما وهبه الله له من الشجاعة والأنفة، ويغمد ما تعوده من العفو والإحسان والكرم التي أمر الله بالتزامها."

في هذا البيت ذكر المتنبي بعض الأخلاق الإسلامية العالية وهي الصفح والإحسان كما قال الله تعالى في القرآن المجيد:(**فَإِمَّا مَنًّا بَعْدُ وَإِمَّا فِدَاءً حَتَّى تَضَعَ الْحَرْبُ أَوْزَارَهَا**)[3] وفي العصر الجاهلي كان المقاتلون قلما يلتزمون الأخلاق العالية ما أدت إلى عدم ذكرها في الشعر، فلا جدال أن البيت يشير إلى التحوّل الفكري لدى الشعراء الذين جاءوا في العصور المتتالية بعد العصر الجاهلي، وبخاصة في العصر العباسي حينما ترسخت الحضارة الإسلامية في قلوب الناس.

الحماس الإسلامي

يمدح المتنبي سيف الدولة ويظهر فيه الحماس الملي:

---

[1]- المرجع السابق،

[2]- ديوان المتنبي، محمد خداش، ص: 264

[3]- سورة محمد, رقم الآية: 4

شَنَنْتَ بِهَا الْغَارَاتِ حَتَّى تَرَكْتَهَا وَجَفْنَ الَّذِي خَلْفَ الْفَرَنْجَةِ سَاهِدُ[1]

التحليلات اللغوية: الفرنجة: قرية بأقصى بلاد الروم، يقول: (يمدح سيف الدولة) شننت الغارات على بلاد الروم فشاع خوفك فيهم جميعا حتى بات الذي في أقصى بلادهم لا ينام خوفا وإن كان بعيدا عنك."[2] هذا البيت يدل على الحماس الملي في شعر أبي الطيب، فقد تظهر فيه العواطف الملية والإسلامية وخرج من الإطار الجاهلية الأولى وعن أهدافهم التي لا ترتفع عن ذود العشيرة والقبيلة.

التغيير الفكري

وقال يمدح سيف الدولة مدحا ابتكاريا:

وَغَلَّسَ فِي الْوَادِي بِهِنَّ مُشَيَّعٌ مُبَارَكٌ مَا تَحْتَ اللِّثَّامَينِ عَابِدُ[3]

شرح البيت: ما تحت اللثامين يراد به سيف الدولة لأن التلثم عادة العرب في أسفارها وهذا من أثر التقليد في شعره." عابد لله" من الأوصاف التي اتصف بها الممدوح، فيظهر فيه الآثار التقليدية والإسلامية معا.

تذكرة أحوال العجم

وقال يصف سيف الدولة كقائد الحرب:

أَخُو غَزَوَاتٍ مَّا تَغِبُّ سُيُوفُهُ رِقَابُهُمُ إِلَّا وَسَيْحَانُ جَامِدُ[1]

---

[1]- ديوان المتنبي، محمد خداش، ص: 264

[2]- شرح ديوان المتنبي: 398/1

[3]- المرجع السابق: 1/ 396

التحليلات اللغوية: سيحان: نهير ببلاد الروم، ينجمد في موسم الشتاء،

يقول: هو مقيم على غزو الروم لا تفارق سيوفه رقابهم إلا إذا اشتد البرد و جمدت أنهارهم، لأن ذلك يحول دون غزوه إياه." في هذا البيت تصوير الجو غير العادي وأحوال البلاد الأعجمية التي ما عرفت لدى العرب لأنهم لا يعتادون الأحوال الباردة مثل هذه التي انجمدت فيها الأنهار لأن المناخ داخل جزيرة العرب حار جدا والأنهار لا توجد فيها ولا تبرد فلذا يخلو الأدب الجاهلي عن وصف كهذا، ولما امتدت الفتوحات الإسلامية إلى المناطق البعيدة، وبلغ استيلاؤهم إلى أقصى البلاد، وصار هذا العنصر مما يلمح في أدب ذلك العصر.

الطابع الإسلامي

قال أبو الطيب يصف سيف الدولة:

فَأَنْتَ حُسَامُ الْمُلْكِ وَاللهُ ضَارِبٌ وَأَنْتَ لِوَاءُ الدِّينِ وَاللهُ عَاقِدُ[2]

يقول: أمن للملك بمنزلة السيف، ولكن الضارب لك هو الله، وأنت للدين راية الله سبحانه وتعالى الذي عقدها وأحكمها"[3] هذا ما وصف به شاعر أسمى المدح وأحسنه لأنه يعزوه إلى الله سبحانه تعالى لأنه تعالى معطي الملك من يشاء وينزعه ممن يشاء وهو ذوالجلال والإكرام والقوة والشأن، فنسبة الصفات إلى الله أعظم وأجل وهذا ينبثق من الثقافة الإسلامية.

الانطباعات الثقافية

وقال أبو الطيب يفتخر ويمدح نفسه:

---

[1]- شرح ديوان المتنبي: 1/ 398

[2]- ديوان المتنبي، محمد خداش، ص: 266

[3]- شرح ديوان المتنبي: 1/ 400

فَالْخَيلُ وَاللَّيلُ وَالْبَيدَاءُ تَعْرِفُنِي وَالسَّيفُ وَالرُّمْحُ وَالْقِرْطَاسُ وَالْقَلَمِ[1]

التحليلات اللغوية: البيداء:الفلاة، وقال فيه يصف نفسه بالشجاعة والفصاحة، الليل يعرفني لكثرة سراى فيه وطول أدراعي له، والخيل تعرفني لتقدمي في فروسيتها، والبيداء تعرفني لمداومتي قطعها، واستسهالي صعبها، والسيف والرمح يشهدان بحذقي في الضرب بهما، والقراطيس يشهد بما فيها، والقلم عالم بإبداعي فيما أقيده."[2] يبدو فيه التحويل الفكري لدى المتنبي عن التقليد الشائع في الفخر، والإقدام، وقوة القطع، وسداد الرماح، والخيل، بحيث أنه يشبه خلاله بالأشياء التي تعرضت للإهمال في الجاهلية مثل القرطاس والقلم، وهذا من الناحية الثقافية ويراد بها قوة شعره وتأثير كلامه، فهذه ظاهرة جديدة يُغفل عنها في الأدب الجاهلي، فلا سيما هذا من سمات عصر المتنبي.

روح الجهاد الإسلامي

قال يصف سيف الدولة كمثل عال في صفات القائد الإسلامي:

وَإِنْ كُنْتَ تَرْضَى بِأَنْ يُعْطُوا الْجِزَى بَذَلُوا فِيهَا رِضَاكَ، وَمَنْ لِلْعُورِ بِالْحَوَلِ[3]

شرح الألفاظ: الجزي: جمع جزية، وهو ما يعطيه المعاهد ليدفع عن رقبته ويحفظ دمه، وفيه يخاطب سيف الدولة: إن كنت ترضى بأن يؤدوا الجزية وتعفو عن رقابهم قبلوها وأرضوك بها، وذلك غاية أمنيتهم، كالأعور يتمنى الحول، والحول خير من العور، يعني الجزية خير لهم من القتل."[4] فالجزية صورة عرفها الإسلام في الحروب ما عرفت قبل الإسلام في المجتمع الجاهلي كما

[1]- ديوان المتنبي، محمد خداش، ص: 274

[2]- شرح ديوان المتنبي: 4/ 85

[3]- ديوان المتنبي، محمد خداش، ص: 279

[4]- شرح ديوان المتنبي: 3/ 208

قال الله تعالى في التنزيل: (**حَتَّى يُعْطُوا الْجِزْيَةَ عَنْ يَّدٍ وَهُمْ صَاغِرُونَ**)[1] وهذا على أهل الذمة وشاع في الحروب الإسلامية حتى صار جزءا في الأدب والشعر، فأخذه المتنبي افتخارا لقائده سيف الدولة يظهر به احتقار الكفار وغلبة المسلمين.

الإبداع في الوصف

وقال يصف قائد الحرب وصفا إبداعيا:

أُنظُرْ إِذَا اجْتَمَعَ السَّيفَانِ فِي رَهَجٍ إِلَى اخْتِلَافِهِمَا فِي الْخَلْقِ وَالعَمَلِ

هذَا الْمُعَدُّ لِرَيبِ الدَّهْرِ مُنْصَـلِتًا أُعَدُّ هذَا لِرَأسِ الْفَارِسِ البَـطَلِ[2]

شرح الألفاظ: يريد بالسيفين: سيف الدولة وسيف الحديد، والرهج: الغبار، وريب الدهر: حدثانه، منصلتا: مجردا.

يقول فيه: إذا اجتمع السيفان في رهج حرب اختلفا وبان تخلف أحدهما عن الآخر، فأحد السيفين – وهو الممدوح – معد لدفع نوب الدهر وشدائده كما قال: وتقطع لزبات الزمان مكارمه، وأعد السيف الآخر وهو سيف الحديد يضرب رؤوس الأبطال، فالأول موكّل بدفع المكروه، والثاني مؤكل بإحلاله، وذلك عامل ذو إرادة يضرب بالثاني، وهذا لا عمل له من تلقاء نفسه؛ وإذن: كان الأول هو الكل في الكل، ومن هنا كان اختلافهما."[3] قد نرى فيه الفلسفة ودقة المعاني إذ فرق بين السيفين؛ تذكرة الشيئين في الشكل الإبداعي لتفضيل الممدوح، فهذا من إبداع المتنبي، وكما قال في مكان الآخر يمدح سيف الدولة:

---

[1]- سورة التوبة، رقم الآية: 29

[2]– ديوان المتنبي، محمد خداش، ص: 279

[3]- شرح ديوان المتنبي: 3/ 206

عيب عليك ترى بسيف في الوغى ما يفعل الصمصام بالصمصام[1]

وقال أيضا في مدحه:

لعيني كل يوم منك حظ تحير منـــه في أمـــــر عجاب

حمالة ذا الحسام على حسام وموقع ذا السحاب على سحاب [2]

وقال أيضا:

فلم أر ضرغامين أصدقا منكما عـــــراكا إذا الهيـابة النكس كذبا

هـزبر مشى يبغي هزبرا وأغـلب من القوم يغشى باسل الوجه أغلبا [3]

وفي الأبيات السابقة يُرى الموازنة الرائعة الجميلة بين الشيئين يثبت خلالهما فضيلة الممدوح وتوجد بعض آثار الفلسفة لسبب دقتها وتعقيدها، وقد شاعت الفلسفة اليونانية السائدة في ذلك العصر فبدأ التعمق والدقة في الشعر، فالشاعر الذكي، مرهف الحس مثل المتنبي الذي عاش في البيئة المحاطة بشتى العلوم والفنون يتنفس في ثقافة عصره كيف يبعد منها؟ وأنه عاش طول حياته للحصول على المناصب الجليلة وله الطبيعة القلقة المضطربة يعالج في داخله الابتكار ويريد أن يأتي بشيء جديد وثار على التقليد.

أثر الجهاد الإسلامي

وقال يصف سيف الدولة بصفات القائد الإسلامي:

---

[1]- البلاغة الواضحة، لعلي جارم و مصطفى أمين، الناشر: قديمي كتب خانه كراتشي، ص: 73

[2]- المرجع السابق، ص: 69

[3]- المرجع السابق، ص: 69

عَلَى قَلبِ قُسْطَنطِينَ مِنهُ تَعَجُّبٌ وَإِنْ كَانَ فِي سَاقَيهِ مِنْهُ كُبُولُ[1]

شرح الكلمات: قسطنطين: هو ابن دمستق، القائد الرومي، كبول: واحد الكَبْل، القيد

يقول فيه: لما أسر سيف الدولة قسطنطين أكرمه وأقام عنده بحلب مدة، فهو يشير إلى تعجبه من حلم سيف الدولة وكرم أخلاقه وإن كان مقيدا عنده."[2] يظهر فيه الاخلاق الحربية الإسلامية من الإحسان والشفقة على الأسرى، وكثيرا ما حدث هذا في الحروب التي دارت بين المسلمين والكفار بعد العصر الإسلامي بسبب المبادئ الحربية الإسلامية، وكذلك عند سيف الدولة ممدوح المتنبي.

الغلو في الوصف

وقال يصف القائد و يغلو في الوصف:

فَلَمَّا رَأَوهُ وَحدَهُ قَبْلَ جَيشِهِ دَرَوْا أَنَّ كُلَّ الْعَالَمِينَ فُضُولُ[3]

شرح البيت: يشير إلى أنه بشجاعته تقدم الخيل وحده حتى رآه الروم قبل أن يروا جيشه، ولما رأوه كذلك علموا أنه يغني غناء الناس جميعا وأن من سواه من العالمين لا حاجة إليهم مع وجوده."[4] في هذا البيت مبالغة وإسراف في الوصف وكما صرح من قبل أن المتنبي نشأ في بيئة تدفعه إلى الغلو.

أثر الفلسفة

---

[1]- ديوان المتنبي، محمد خداش، ص: 295

[2]- شرح ديوان المتنبي: 3/ 227

[3]- المرجع السابق،

[4]- شرح ديوان المتنبي: 3/ 226

وقال يصف سيف الدولة:

إِذَا كَانَ بَعضُ النَّاسِ سَيفاً لِدَولَةٍ فَفِي النَّاسِ بُوقَاتٌ لَهَا وَطَبُولُ[1]

شرح الكلمات: البوقات: جمع بوق، وهو ذاك الذي ينفخ فيه ويزمر، والمراد ببعض الناس: سيف الدولة.

يقول(مخاطبا سيف الدولة): إذا كنت سيف الدولة فإن غيرك من الملوك بالإضافة إليك للدولة بمنزلة البوق والطبل، أي لا يغنون غناءك ولا يقومون مقامك."[2] فيه شئ من المبالغة وأسلوب دقيق لا يُفهم إلا بالتعمق والإمعان، وهذا من أثر الفلسفة والتجديد الذي شاع في كلام بعض الناس في العصر العباسي يدفعهم إلى دقة المعنى والتشبيه الغريب، وكذلك في كلام المتنبي.

التشبيه المبتكر

وقال أبو الطيب يصف قائد الجيش:

يَهُزُّ الجَيشُ حَولَكَ جَانِبَيهِ كَمَا نَفَضَتْ جَنَاحَيهَا العُقَابُ[3]

شرح البيت: في هذا البيت شبه سيف الدولة – وهو في قلب الجيش والجيش حوله يضطرب للسير – بعقاب تهز جناحيها وتحركهما لدى طيرانها." هذا من أروع التشبيه ونوع من التشبيه التمثيلي، استعمله المتنبي لوصف قائد الحرب ومن إبداعه.

الفكرة الابتكارية

---

[1] – ديوان المتنبي، محمد خداش، ص: 296

[2] - شرح ديوان المتنبي: 3/ 226

[3] – المرجع السابق، ص: 313

وقال أبو الطيب يصف السيف:

إِذَا مَا سِرتَ فِي آثَارِ قَومٍ تَخَاذَلَتِ الْجَمَاجِمُ وَالرِّقَابُ[1]

شرح البيت: تخاذلت الجماجم والرقاب هو أن يضربها (سيف الدولة) بالسيف فيقطعها ويفصل بينهما فتساقط فكأن كل واحد منهما خذل صاحبه، وقال الواحدي: إن الرؤوس تتبرأ من الأعناق والأعناق تتبرأ منها خوفا منك، فلا يبقى بينهما التعاون."[2] فيه إبداع فكري، إن المنتبي قد نشأ في بيئة تغلغل فيها العلوم والفنون وآثار الفلسفة اليونانية وعلم الكلام التي أثرت في الشعر وفي معظم أصناف الأدب، والفرق المختلفة قد تناولوا النكات الكلامية المعقدة لإثبات مذهبهم، فالمتنبي قد نال منها حظا وافرا بسبب نشأته في البيئة المحاطة بغلاة الفِرق، وفضلا عن ذلك أنه قد أخذ شتى العلوم والفنون، وكما في قوله:

ونصفي الذي يكنى أبا الحسن الهوى ونرضي الذي يسمى الإله ولا يكنى[3]

فثبت هذا الأمر واضحا جليا أن في كلامه قد يلمح لون فلسفي جديد، فلا سيما هذا من الآثار الثقافية والحضارية وأيضا تلمح فيه شخصية المتنبي التي لها نزعة مذهبية خاصة التي تفتحت بها القريحة المتوقدة في ذاته.

المعنى الفلسفي المعقد

قال أبو الطيب يصف قائد الحرب:

وَلَو غَيرَ الْأَمِيرِ غَزَا كِلَابًا ثَنَاهُ عَنْ شُمُوسِهِمِ ضَبَابُ[1]

---

[1]- ديوان المتنبي، محمد خداش، ص: 314

[2]- شرح ديوان المتنبي: 207/1

[3]- شرح ديوان المتنبي:4/ 299

التحليلات اللغوية:كني بالشموس عن النساء وبالضباب عن غبار الحرب. يوجد في هذا البيت الوصف فيه شئ من التعقيد كما اعتاد المتنبي في كلامه، فلا يفهم إلا بعد الإمعان في الشعر، وفي هذا البيت استخدم "الشموس" للنساء فلا سيما هذا مدح لا يُفهم إلا بدقة النظر فيه،وكما يقول الواحدي في شرح البيت: يذكر قوتهم وشوكتهم (يراد به كلاب)، وأن غير سيف الدولة لو أتاهم لما ظفر بهم، وكني بالشموس عن النساء وبالضباب عن المحاماة دونهم؛ لأن الضباب يستر الشمس ويحول دون النظر إليها. وفي شرح وهو يشير إلى كثرة الأعداء فجعل الضباب مثلا للرعاع(هم الأخلاط، السفلة من الناس)، والشموس مثلا للسادة."[2]

التغيير الفكري

قال يصف قائد الحرب بوصف المصطلح القرآني:

عَلَى وَجْهِكَ الْمَيمُونِ فِي كُلِّ غَارَةٍ صَلَاةٌ تَوَالَى مِنْهُمُ وَسَلَامُ[3]

شرح البيت: في هذا البيت يراد بالصلاة و السلام: التعظيم كما يصرح البرقوقي[4]– فلعل هذا المصطلح لم يعرف عند الشعراء من قبل المتنبي في هذا المعنى، فهذا التغيير الفكري من التأثير الإسلامي في كلامه وكلمة قرآنية فيه إذ جمع كلمة الصلاة والسلام في بيت فلا ينكر التأثير القرآني في شعره كما يقول في شعر:

---

[1]– ديوان المتنبي، محمد خداش، ص: 315

[2]شرح ديوان المتنبي: 1/ 212

[3]– ديوان المتنبي، محمد خداش، ص: 323

[4]– شرح ديوان المتنبي: 4/ 112

وكل أناس يتبعون إمامهم وأنت لأهل المكرمات إمام[1]

فهذه كلمة قرآنية أخذها من الآية: (**يَوْمَ نَدْعُو كُلَّ أُنَاسٍ بِإِمَامِهِمْ**)[2]

التشبيه الغريب

وقال المتنبي يصف الفرسان:

وَكَانُوا يَرُوعُونَ الْمُلُوكَ بِأَنْ بَدَوْا وَأَنْ نَبَتَتْ فِي الْمَاءِ نَبْتَ الْغَلَافِقِ[3]

شرح الألفاظ: الغلفق: كجعفر: الخضرة على رأس الماء، وهو الطحلب(هو الأخضر الذي يعلو الماء)، أو هو نبت ينبت في الماء ورقه عراض.[4]

ويقول: هذه القبائل كانت تخيف الملوك بأنها نشأت في البادية فيصبرون على عدم الماء، وإن الملوك لا يصبرون لأنهم نشأوا فيه كما ينبت الغلفق في الماء، وهو طحلب"[5]. ففي هذا البيت استعمل المتنبي التشبيه الغريب لوصف الملوك الذين يخافون أهل البادية، هي الطحلب الذي ينبت في الماء يستدل به على عدم صبرهم على الماء، وكذلك الملوك مثل الطحلب لا يصبرون على عدم الماء، فهذ الصفة تدل على عدم ثباتهم في الحرب، ولاسيما هذا من إبداع المتنبي ويستعين بما وهب الله له بالعقل الناضج والفكر المتوقد، ويدل على معرفته واتساع معلوماته، فلذلك يأتي بالتشبيهات غير المعروفة لدى العرب.

---

[1] – ديوان المتنبي، محمد خداش، ص: 323

[2] – سورة الإسراء، رقم الآية: 71

[3] – ديوان المتنبي، محمد خداش، ص: 327

[4] – تاج العروس من جواهر القاموس لمرتضى الزبيدي، الناشر: دار الهداية: 26/ 257

[5] - شرح ديوان المتنبي: 3/ 69

المبالغة في الوصف

قال يصف القادة رعبه ومهابته في الحرب:

وَإِذَا حَاوَلَتْ طَعَانَكَ خَيلٌ أَبْصَرَتْ أَذْرُعَ الْقَنَا أَمْيَالَا[1]

والخيل: يريد بها الفرسان وهو يقول: إذا أرادت جيوش الأعداء طعانك خيل إليهم الرعب وشدة الخوف أن الذراع من رماحك ميل فتوقعوا أن تدركهم رماحك ولو كانوا على أميال." قد ظهر فيه الغلو والمبالغة في الوصف الذي هو سمة بارزة في كلام المتنبي كما يقول في شعر:

فلما رأوه وحده قبل جيشه دروا أن كل العالمين فضول[2]

التأثير الفلسفي

وقال يصف الفرسان بالوصف الفلسفي الدقيق:

لَولَا الْعُقُولُ، لَكَانَ أَدْنَى ضَيغَمٍ أَدنَى إِلَى شَرَفٍ مِنَ الإِنسَانِ

وِلَمَّا تَفَاضَلَتِ النُّفُوسُ وَ دَبَّرَتْ أَيدِي الْكُمَاةِ عَوَالِيَ الْمُرَّانِ[3]

التحليلات اللغوية: الضيغم: الأسد، والمراد أدنى ضيغم: أخس وأدون، وأدنى على شرف: أي أقرب، والكماة: جمع كمي، وهو البطل المشتعل بالسلاح، والعوالي: صدور الرماح، والمران: الرماح اللينة.[4]

---

[1]- شرح ديوان المتنبي: 3/ 261

[2]- ديوان المتنبي، محمد خداش، ص: 295

[3]- المرجع السابق، ص: 343

[4]- شرح ديوان المتنبي: 4/ 308

شرح الشعر: إنما تتفاضل نفوس الحيوان بالعقل، فالآدمي أفضل من البهيمة بعقله، ثم يتفاضل بنو آدم بالعقل أيضا، كما قال المأمون(ابن هارون الرشيد، من ملوك بني عباس): الأجسام أبضاع ولحوم، وإنما تتفاضل بالعقول، فإنه لا لحم أطيب من اللحم. وقوله دبرت: أي ولما دبرت، أي إنما توصلوا في استعمال الرماح في الحرب بالعقل، ولولا العقل ما عرفت الأيدي تدبير الطعان بالرماح، يريد أن الشجاعة إنما تستعمل بالعقل."[1] في هذا البيت لون الفلسفة واضحة بارزة حيث إنه سار في واد العقل وفضّله على كل الأوصاف بأسلوب دقيق ولطيف، وكان تفضيل العقل عنده بسبب البيئة الثقافية، والحضارة الراقية، والرسوخ العقلي في المجتمع العباسي الذي عاش فيه المتنبي، وعاش تحت الأثار الفلسفية التي شاعت آنذاك بورود العلوم اليونانية والفارسية والهندية، فلا سيما أن المتنبي قد أخذ منها حظا وافرا، وقد تلمح هذه الآثار في كلامه.

التأثر بالأسلوب القرآني

وقال يصف قائد الحرب متأثرا بالكلمة القرآنية:

وَمُمْطِرَ الْمَوتِ وَالْحَيَاةِ مَعًا وَأَنتَ لَا بَارِقٌ وَلَا رَاعِدْ[2]

جوانب الابتكار والتقليد: ذكر المتنبي الموت والحياة معا كما يذكر في القرآن الكريم من الأضداد أو الأسماء المتناقضة مثل "الليل والنهار" و"السماء والأرض" و"البر والبحر" و"الدنيا والآخرة"، وكذلك يذكر فيه "الموت والحياة" و"البرق والرعد" مجتمعة، ويقول الله عز وجل: (**اَلَّذِي خَلَقَ الْمَوتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحسَنُ عَمَلًا**)[3] وكذلك ذكر البرق والرعد معا في القرآن كما

---

[1]- شرح ديوان المتنبي: 4/ 360

[2]- ديوان المتنبي، محمد خداش، ص: 460

[3]- الملك، رقم الآية: 2

في قوله تعالى: (**أَوْ كَصَيِّبٍ مِنَ السَّمَاءِ فِيهِ ظُلُمَاتٌ وَرَعْدٌ وَبَرْقٌ**)[1]، فلا سيما أن المتنبي عرض فيه التصوير القرآني ما يدل على تأثره به.

المبحث الثاني:

وصف القائد والفرسان عند أبي فراس

كان أبو فراس الحمداني ينتج شعر الحرب فيه روعة وجمال، حيث إنه كان فارسا مغوارا ومقاتلا شجاعا وقائدا عسكريا إلا أنه ينقص لديه الأفكار النادرة والتشبيهات الغريبة مثل المتنبي- شاعر الإبداع في مواقف القتال- ومع ذلك لا ينكر الأثر الثقافي والحضاري في شعر أبي فراس الحمداني، وبالتالي أقدّم نمازجا شعرية لأبي فراس الحمداني في وصف القائد والفرسان.

الكلمة القرآنية

قال أبو فراس يصف فرسان الحرب:

وَنَحنُ أُنَاسٌ لَا تَوَسُّطَ عِندَنَا لَنَا الصَّدْرُ دُونَ الْعَالَمِينَ أَوِ الْقَبْرِ[2]

[1]- البقرة، رقم الآية :19

3- ديوان أبي فراس الحمداني، تقديم و شرح: عبد القادر محمد مايو، الناشر: دار القلم العربي- سورية، الطبعة الأولى، 1430 هـ، ص:130

جوانب الابتكار والتقليد في البيت: إن الشاعر أبا فراس أقرب إلى التقليد منه بالنسبة إلى الابتكار من معاصره وقرينه أبي طيب المتنبي، فقلّ عنده التعقيد المعنوي والنكات الفلسفية والتكلف، بل يمثل العاطفة الصادقة في شعره حيث إنه شاهد عيان في الحروب ومقاتل في طليعة الجيش، في هذا البيت كلمة "العالمين" يدل على إلمامه بالقرآن وخروجه من مضيق التقليد وكما يقول في موضع آخر :

وليت الذي بيني وبينك عامر وبيني وبين العالمين خراب[1]

و قال أيضا:

وعيش العالمين لديك سهل وعيشي وحده بفناك صعب[2]

قد وردت هذه الكلمة مرارا في شعر أبي فراس، تدل على اتصاله بالقرآن والعلوم السماوية، وكلمة" العلمين" لا تكثر في الشعر الجاهلي، لأن الشعر في العصر الجاهلي يدور حول العشيرة والقبيلة، فقلما توجد الآفاقية والسعة في أشعارهم، فلم نجد ذكر " العالمين " إلا عند أمية بن أبي الصلت، وذلك لأنه مال إلى التديّن والورع ودرس الكتب السماوية، ولقي الرهبان والأحبار في أسفاره إلى الشام واليمن، وسمع منهم المواعيظ والخطب، حيث يقول:

إله العالمين وكل أرض وربّ الراسيات من الجبال[3]

الخصائص التقليدية في شعر أبي فراس

وقال أبو فراس الحمداني يصف نفسه كفارس مقدام:

---

[1]- ديوان أبي فراس، ص: 45

[2]- المرجع السابق، ص: 39

[3]- تاريخ الادب العربي(العصر الجاهلي)، المؤلف: شوقي ضيف، دار المعارف- مصر، ص: 725

رَأَيتُ الصَّبْرَ أَبعَدَ مَا يُرَجَّى إِذَا مَا الْجَيشُ بِالغَازِينَ سَارَا[1]

وقال أيضا:

وَأَعْدَدْتُ الكَتَائِبَ مُعْلَمَاتٍ تُنَادِي كُلَّ آنٍ، بِي: سَعَارَا[2]

وقال أيضا:

وَقَدْ ثَقَّفْتُ لِلهَيجَاءِ رُمْحِي وَأَضْمَرْتُ الْمَهَارِي وَالمِهَارَا[3]

شرح الألفاظ: المهارى: يقول صاحب تاج العروس: الإبل المهرية الذي ينسب إلى الحي المصري العظيم وإليها يرجع كل مهري وجمعه مهارى ومهاري.[4]

في هذه الأبيات يظهر الشاعر أبو فراس أقرب إلى التقليد منه إلى الابتكار، وهذه نزعة سائدة وسمة عامة في شعره أنه تابع المتقدمين من الشعراء في الوصف وبخاصة في وصف الحرب، وقال عنترة في نفس المعنى:

ولقد شفى نفسي وأبرأ سقمها قيل الفوارس، ويك عنترة أقدم[5]

وكذلك أبو فراس يرى شفاء نفسه في الإقدام والخوض في الحرب وكما يقول:

إِذَا سَارَ الأَمِيرُ، فَلَا هُدُوًّا لِنَفسِي أَو يَؤُوبَ، وَلَا قَرَارَا[6]

---

[1]- ديوان أبي فراس، ص: 121

[2]- المرجع السابق

[3]- المرجع السابق

[4]– تاج العروس من جواهر القاموس، مرتضى الزبيدي، الناشر: دار الهداية: 14/ 158

[5]- الأغاني لأبي الفرج الأصبهاني: 3/ 24

[6]- ديوان أبي فراس الحمداني، ص: 122

يقول فيه إذا سار الأمير غازيا لم تستقر نفسي وما هدأت حتى يعود سالما، فيكشف عن اضطرابه وقلقه الشديد عندما تقدم سيف الدولة بجيشه إلى العدو، فيعتادإذن أن يلعب دوره كفارس مغوار أو مجاهد في سبيل الله والمحب للوطن، فلا يكبح نفسه عن القتال ولا يصبر القعود، فمشاعره إذن تتفق مع مشاعر المتقدمين.

الاتساع الفكري

وقال يفتخر بنفسه كفارس جريء:

إِنْ زُرتُ خَرْشَنَةً أَسِيرًا فَلَكَمْ أَحَطتُ بِهَا مُغِيرًا[1]

شرح الألفاظ: خرشنة: قلعة الروم على نهر الفرات[2]، وقيل بلد قرب ملطية من بلاد الروم، غزاه سيف الدولة بن حمدان.[3]

جوانب الابتكار و التقليد: يلاحظ في هذا البيت سعة الفكر والحماس الإسلامي والافتخار بنفسه حينما حاصر البلد الرومي " خرشنة " غازيا مع جيش سيف الدولة وبعد ذلك وصل إليها أبو فراس أسيرا في السجن يذكر هذه الواقعة في شعره ويفتخر بها.

آثار التقليد الإسلامية

وقوله في وصف قائد الحرب:

فَكُنتَ أَخَاهُنَّ إِذْ لَا أَخٌ وَكُنتَ أَبَاهُنَّ إِذْ لَيسَ أَبْ

---

[1]- ديوان أبي فراس الحمداني، ص: 123

[2]- ديوان أبي فراس الحمداني، تقديم و شرح: عبدالقادر محمد مايو، ص: 123

[3]- معجم البلدان، ياقوت الحموي، دار صادر- بيروت، 1397هـ: 2/ 157

وَمَا زِلْتَ مُذْ كُنتَ تَأتِي الْجَمِيلَ وَتَحْمِي الْحَرِيمَ وَتَرْعَى النَّسَبْ

أَمَرْتَ –وَأَنتَ الْمُطَاعُ الْكَرِيمُ– بِبَذْلِ الْأَمَانِ وَ رَدِّ السَّلَبْ[1]

يقول: (يمدح سيف الدولة) حين استجارت بك الكلابيات من بني نمير، كنت لهن بمقام الأب والأخ بعد أن صرع من الرجال إخوانهن وآباؤهن," فيه تذكرة رد الغنائم إلى بني كلب وإعطائهم الأمان واحترام نسائهم وردهن إلى أهلهن، وهذا مثلا عاليا في الأخلاق الكريمة وتظهر فيه الأخلاق الحربية الإسلامية، مثل قوله:

فإن هن يابن السراة الكريم رددن القلوب، رددنا النهب[2]

وكذلك فيه تذكرة الخلق الإسلامية وقلما توجد هذه الصفة في الشعر الجاهلي، ومثل قوله:

يُنَادِينَ بَينَ خِلَالِ الْبُيُو تِ: لَا يَقْطَعِ اللهُ نَسْلَ الْعَرَبْ[3]

يظهر فيه المشاعر القومية أوسع وأرحب، حيث إنه لا يفتخر على المكارم القبلية فقط، بل ينوه بمفاخر العرب بمقابل العجم.

جوانب الابتكار والتقليد: لامنازع أن أبا فراس قد تأثر بالمبادئ الحربية الإسلامية حيث إنه مدح سيف الدولة لإطلاق سراح النساء لبني كلاب المحاربين ضده، فيعاملهن بفعل الجميل ويرّد سلبهم إليهم.

التأثر بمعاني القرآن

---

[1]- ديوان أبي فراس الحمداني، ص: 26

[2]- المرجع السابق، ص: 27

[3]- المرجع السابق

وقال يصف سيف الدولة وصفا قرآنيا:

مَنْ كَانَ فِي نَصْرِ الهُدَى نَشَبَا فَأَنتَ أَنفَقْتَ فِيهِ النَّفْسَ وَالنَّشَبَا[1]

التحليلات اللغوية: النشب: ما يقتنى من العقار والمال.

جوانب الابتكار والتقليد: في هذا البيت يمدح أبو فراس سيف الدولة لمشاركته في الجهاد بنفسه وماله وهذا في معنى القرآن كما قال الله تعالى في القرآن الكريم: (**وَتُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللهِ بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ**)[2] و كما قال تعالى : (**الَّذِينَ آمنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ أَعْظَمُ دَرَجَةً عِندَ اللهِ**)[3] وقد ألم في هذا المعنى بما في القرآن الكريم.

الملامح التقليدية

وقال يصف فرسان الحرب:

وَلَمَّا ثَارَ سَيفُ الدِّينِ ثُرْنَا كَمَا هَيَّجْتَ آسَادًا غِضَابَا[4]

نرى فيه ملامح التقليد واضحة جلية حيث إنه يشبه الفرسان بالآساد، والأسد حيوان معروف كانوا يشبهون به في العصر الجاهلي إلا أنهم كانوا بستخدمونهم مفردا، ويمثلون البطولة والفروسية بالأسد لا بالآساد، وما سبق شاعر في العصر الجاهلي الذي يشبه الفرسان بالآساد أي بجمعها إلا الشعراء من المتأخرين كما يقول بشار بن برد:

أسد تصيده غزال شادن ما اصطاد قبلك شادن آسادا

---

[1]- ديوان أبي فراس الحمداني، ص: 30

[2]- سورة الصف، رقم الآية: 11

[3]- سورة التوبة، رقم الآية: 20

[4]- ديوان أبي فراس الحمداني، ص: 30

إن الأسد استعارة معروفة عند الشعراء الجاهليين لتمثيل الشجاعة والبسالة، وكذلك كان في العصر العباسي، وكان الشعراء الجاهليون لا يعتادون لإتيان جمع الأسد " آسادا" مشبها في شعرهم، فهذا من مبتكرات العصر العباسي.

التركيب المبتكر الجديد

قال أبو فراس يرد على الدمستق وهو في مأسرة حين قال:

أَ تَزْعَمُ يَا ضَخْمَ اللَّغَادِيدِ، أَنَّنَا وَنَحْنُ أُسُودُ الْحَرْبِ لَا نَعرِفُ الْحَرْبَا

شرح الألفاظ: اللغاديد: جمع لغدود، وهو لحمة حول اللهاة، وضخم اللغاديد: كناية عن السمن وانتفاخ الوجه."[1]

جوانب الابتكار: في هذا البيت قد استعمل أبو فراس تركيبا مبتكرا لا نظير له من قبل وهو " ضخم اللغاديد" مما زاد الشعر قوة وتأثيرا، ونستطيع القول إن هذا من مبتكرات أبي فراس وتفرد به.

أثر الأخلاق الإسلامية

قال يصف نفسه كفارس يتحلى بالخلق الإسلامي:

وَأَسْطُو وَحُبِّي ثَابِتٌ فِي صُدُورِهِمْ وَأَحْلُمُ عَنْ جُهَّالِهِمْ وَأُهَابُ[2]

جوانب الابتكار والتقليد: قد ظهر في هذا البيت مثل عال من الخلق الإسلامي والمباديء الحربية للفارس المسلم والمجاهد في سبيل الله مثل "حبي ثابت في صدورهم" يدل على الشفقة والرحمة

[1]- ديون أبي فراس الحمداني، ص: 36
[2]- المرجع السابق، ص: 43

على الأسرى وكذلك " أحلم عن جهالهم" يدل على صفة الحلم في موضع الجهالة والغضب، يبدو أن هذه الصفات والأخلاق سمة عامة لذلك العصر ويمثل بها أبو فراس في أبياته وقد نال منها حظا وافرا، فلا سيما هذه من الصفات الكريمة التي يحث عليها الإسلام تنبثق من القرآن والسنة وكما قال تعالى: (**اِدْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ**)[1] وأيضا هي من المواعظ التي وعظ بها بعض زهاد الشعراء في الجاهلية كما قال حاتم الطائي:

تحلم عن الأدنين و استبق ودهم ولن تستطيع الحلم حتى تحلما[2]

إذن له صلة بالتقاليد إلا أن أبا فراس يذكر هذه الصفة في الحرب.

آثار الحماس الإسلامي

وقال مخاطبا سيف الدولة ويحثه على أن يفتدي به ويصف نفسه كرصيد قيم للإسلام وهو في أسر الروم:

فَإِن لَمْ يَكُـنْ وُدٌّ قَدِيمٌ نَعُدُّهُ وَلَا نَسَبٌ بَينَ الـرِّجَالِ قِـرَابُ

فَأَحْوَطَ لِلإِسلَامِ أَنْ لَّا يَضِيعَنِي وَلِيَ عَنكَ فِيهِ حَوطَةٌ وَمَنَابُ

جوانب الابتكار والتقليد:

يخاطب فيه سيف الدولة قائلا: إن لم ترع الود القديم بيننا ولا القرابة فادخرني للإسلام الذي نجاهد أنا وأنت من أجله."[3] في هذا البيت يحثه على المساعدة في إطلاق سراحه من السجن،

---

[1]- سورة فصلت، الآية: 34

3- أدب الكاتب لابن قتيبة، الناشر: المكتبة التجارية- مصر، الطبعة الرابعة، تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد، 1962م، ص:359

[3]- ديوان أبي فراس الحمداني، ص: 44

تترشح فيه العواطف الصادقة- عواطف المجاهد في سبيل الله والحماس الإسـلامي- ولا شـك في أن عواطف الحماس الإسلامي لا تظهر إلا في كلام القلائل من الشعراء في العصر العباسي وأبو فراس منهم، وأما شعر أبي فراس فتلمح فيه عاطفة صادقة لرجل مؤمن وحماس المجاهد الذي يمنع حمى الإسلام، إذن تُعدّ هذا السمة من السمات العامة لهذا العصر وهي عنده أقوى ظهورا مما لدى الآخرين.

الفصل الخامس

الابتكار و التقليد في صور الحرب عند الشاعرين

يشتمل هذا الفصل على مبحثين:

-المبحث الأول: صور الحرب عند المتنبي

-المبحث الثاني: صور الحرب عند أبي فراس

المبحث الأول:

صور الحرب عند المتنبي

التشبيه المبدع

قال المتنبي يصور الحرب تصويرا رائعا:

وَمَا كَانَ إِلَّا النَّارَ فِي كُلِّ مَوضِعٍ تُثِيرُ غُبَـارًا فِي مَكَانِ دُخَـانِ[1]

يقول: كان شبيب* في كل موطن يلم به كالنار في في إيقاد الفتنة والشر، غير أنه يثير بدلا لدخان غبار الحرب".[2]

* و شب النار و الحرب: أوقدها[3]

جوانب الابتكار: فيه أروع تشبيه حيث إنه شبه غبار الحرب بدخان النار ونظيره في قوله:

إنما مرة بن عوف بن سعد جمرات لا تشتهيها النعـام[4]

وجمرات العرب: بنو عبس وبنو ضبة وبنو ذبيان، سموا جمرات لشوكتهم وشدتهم...فهم جمرات الحرب لا جمرات اللهب، وقيل بنو ضبة وبنو عبس وبنو نمير من جمرات العرب.[5]

---

[1]- ديوان المتنبي، محمد خداش، ص: 395

[2]- شرح ديوان المتنبي: 4/ 374

[3]- لسان العرب، لابن منظور الإفريقي، الطبعة الأولى، الناشر: دار صادر- بيروت: 1/ 480

[4]- شرح ديوان المتنبي: 4/ 221

5- الكامل في اللغة و الأدب للمبرد، المحقق: محمد ابو الفضل إبراهيم، ط: ، 1418هـ ، الناشر: دار الفكر العربي- قاهرة 173/2:

وتبدو فيه السمات التقليدية لذكره الحرب بالنار وجاء بتشبيه نادر الوقوع في الشعر الجاهلي حيث إنه يشبه غبار الحرب بدخان النار.

التصوير الدقيق للحرب

وقال أبو الطيب يصور الحرب تصويرا إبداعيا:

غِرٌّ طَلَعْتَ عَلَيهِ طِلْعَةَ عَارِضٍ مَطَـرُ المَنـَايَا وَابِلًا وَرَذَاذَا[1]

شرح الكلمات: غر: أي هو ابن يزداذ- غر؛ و الغر؛ الغافل، و العارض: السحاب المعترض في الأفق، والوابل: المطر الشديد، والزذاذ: الخفيف؛ وهما حالان.

يقول: كان غافلا عنك حتى طلعت عليه كما يطلع السحاب، ولما جعله كالسحاب جعل مطره الموت قتلا وجرحا وأسرا، وجعل ما فرقه فيهم من المنايا كالمطر وابلا وهو الكبار القطر ورذاذا وهو الصغار، ويريد بالموت الدم لأن سيلانه سبب الموت"، [2]

والسحاب يشير إلى اتساع الأموات وانتشار الدمار وكثرة الضحايا، وهذا من إبداعه واهتم فيه المعنى الدقيق حيث إنه فرق بين المنايا فيظهر بها دقة التصوير ومنه قوله:

قوم إذا أمطرت موتا سيوفهم حسبتها سحبا جادت على بلد[3]

وكذلك يذكر فيه مطر السيوف بالأموات وهو الدم، لأن سفوح الدم يسبب الموت"[4]

---

[1]- ديوان المتنبي، محمد خداش، ص: 58

[2]- شرح ديوان المتنبي: 2/ 73

[3]- ديوان المتنبي، محمد خداش، ص: 54

[4]- شرح ديوان المتنبي: 2/ 73

وجاء فيه بأروع تشبيه – سحبا جادت على بلد- فلا منازع أنه بلغ إلى ذروة الفن في تقديم صورة الحرب، ولم يسبقه شاعر من قبل في تصوير الحرب بدقة المعنى وروعة الأسلوب كما صور المتنبي حيث إنه استعمل السحاب في كثرة الأموات، وقال قيس بن الحدادية – من الشعراء الجاهليين- في المعنى أقرب منه:

وقد يلتقي بعد الشتاء أولوا النوى ويسترجع الحي السحاب اللوامع[1]

ولكن المتنبي قدم تصوير الحرب أرقى و أجود.

الإبداع في التشبيه

يقدم فيه المتنبي تصوير الحرب في صورة رائعة مبتكرة:

وَعَجَاجَةٌ تَرَكَ الحَدِيدُ سَوَادَهَا زِنْجًا تَبَسَّمُ أَو قَذَالًا شَائِبًا[2]

شرح الكلمات: وعجاجة: أي ورأيت عجاجة، وهي الغبار، والقذال: جماع مؤخر الرأس من الإنسان والفرس فوق فأس القفا، والزنج: جيل من السودان، وهم الزنوج."[3]

هذا تشبيه مبدع ما خطر على بال شاعر من قبله سواء في الجاهلية أو العصور المتلاحقة ما بعده، يقول إن بريق الأسلحة في سواد الغبار يشبه تبسم الزنج أو شيب القذال."فهذا التشبيه مثل عال في الإبداع والروعة ولم يخطر على بال شاعر من قبله سواء من الجاهلية أو العصور

1- تزيين الأسواق في أخبار العشاق، داؤد بن عمر الأنطاكي الضرير، عالم الكتب- بيروت، الطبعة: الأولى، 1413هـ ، ص: 254

2- شرح ديوان المتنبي:1/ 255

3- المرجع السابق،

المتلاحقة الذي استعمل هذا التشبيه للحرب إلا شاعرا في العصر العباسي الأول اسمه محمود الوراق*[1] حيث إنه قال:

حتى تبدى الصبح يتلو الدجى كالحبشي افتر للضحك[2]

وكما قال ابن المعتز:

قد أغتدي والصبح في مآبه كالحبشي افتر عن أنيابه[3]

ولكن قول المتنبي أحسن منه ولا مثيل له في تصوير الحرب.

التصوير الرائع للحرب

يقدم المتنبي صورة الحرب الرائعة وهو يقول:

فَكَأَنَّمَا كُسِيَ النَّهَارُ بِهَا دُجَى لَيلٍ وَأَطْلَعَتِ الرِّمَاحُ كَوَاكِبَا[4]

في هذا البيت شبه بياض الحديد في ظلمة العجاجة بكواكب في الليل، يقول كأن النهار ألبس بتلك العجاجة ظلمة ليل، وكأن الرماح أطلعت من أسنتها كواكب أو أطلعت هي كواكب في تلك الظلمة، وهذه الفكرة قد أخذها المتنبي من الشعراء الآخرين وألبسها صياغة جديدة، وفي هذا المعنى من قول بشار:

1- محمود الوراق هو أقوى شعراء الزهد في العصر العباسي الأول، فقد عبر أكثر من غيره، عن معنى الزهادة والتقوى كالمبادرة إلى العمل الصالح و التسليم بقضاء الله تعالى والتوكل عليه و القناعة و الصبر عند النوازل واتخاذ الحديث عن الشيب نذيرا بالموت، والعفو عمن ظلم.(الموسوعة العربية العالمية، أبو حيان التوحيدي، دار صادر-بيروت،1419هـ، ص:83)

2- شرح ديوان المتنبي: 1/ 255

3- المصنف للسارق والمسروق منه، المؤلف: ابن وكيع التنيسي: 1/ 93

4- ديوان المتنبي، محمد خداش، ص: 92

كأن مثار النقع فوق رؤوسنا وأسيافنا ليل تهاوى كواكبه[1]

فلا منازع أن الفكرة التي قدمها المتنبي في هذا البيت قد أخذها من شعره وقدمها في نفس القافية، وكأنه تأثر به فلا ينكر، وشعر بشار بذاته فكرة مبتكرة، حيث إنه جمع التشبيهين في بيت وكذلك فعل المتنبي، و قال أيضا في المعنى نفسه:

يزور الأعادي في السماء عجاجة أسنته في جانبيها الكواكب[2]

الوصف الدقيق للحرب

قال المتنبي يصف الحرب تصويرا دقيقا:

قَدْ عَسْكَرَتْ مَعَهَا الرَّزَايَا عَسْكَرًا وَتَكَتَّبَتْ فِيهَا الرِّجَالُ كَتَائِبَا[3]

شرح الكلمات: عسكرت: تجمعت، و الكتائب: جمع كتيبة، الفرقة من الجيش.

يقول: إن المصائب تجمعت مع تلك العجاجة كأنها عسكر تقع بالعدو، وتكاثرت فيها رجال الممدوح حتى صارت كتائب."[4] في هذا البيت قدم المتنبي تصويرا دقيقا للحرب وجعل الرزايا والمصائب بصورة العسكر الذي جمع للعدو مع جيش الممدوح.

الاتساع في مشهد الحرب

وقال أبو الطيب يصور الحرب تصويرا رائعا جميلا:

---

[1]- شرح ديوان المتنبي: 1/ 256

[2]- ديوان المتنبي، محمد خداش، ص: 62

[3]- ديوان المتنبي، محمد خداش، ص: 92

[4]- شرح ديوان المتنبي: 1/ 256

وَإِذَا نَظَرْتَ إِلَى الْجِبَالِ رَأَيتَهَا فَوقَ السَّهُولِ عَوَاسِلًا وَقَوَاضِبَا

وَإِذَا نَظَرْتَ إِلَى السَّهُولِ رَأَيتَهَا تَحْتَ الجِبَالِ فَوَارِسًا وَجَنَائِبَا[1]

شرح الكلمات: عواسل: قواضب: جنائب: يقول: عمت جنود السهل والجبل... أي غصت بهما"[2] في هذا البيت يقدم المتنبي مشهدا رائعا لجيش الممدوح حيث ظهرت آثارها فوق الجبال والسهول، فيه الاتساع والتعميم في مشهد الحرب.

الوصف الرائع

وقال يصف الحرب بوصف دقيق:

يَشُقُّ بِلَادَ الرُّومِ وَالنَّقْعُ أَبْلَقٌ بِأَسْيَافِهِ وَالْجَوُّ بِالنَّقْعِ أَدْهَمُ[3]

شرح الألفاظ: أبلق: ما فيه سواد و بياض(من الفرس)[4] وأدهم: الأسود (من الفرس)[5] يقول: يخترق بلاد الروم وغبار جيشه أبلق بأسيافه- يريد سواد الغبار ولمعان السيوف- والجو من فوقه أسود للغبار لأنه ليس فيه لمعان سيوف." في هذا البيت قد مثل المتنبي التصوير الرائع الدقيق للحرب، والوصف الدقيق من سمات شعره وأبدع فيه كما قيل له" رب المعاني الدقاق"[6] و"

---

[1]- ديوان المتنبي، محمد خداش، ص: 92

[2]- شرح ديوان المتنبي: 1/ 255

[3]- ديوان المتنبي، محمد خداش، ص: 96

[4]- تاج العروس: 25/ 94

[5]- المرجع السابق: 32/ 192

[6]- الوساطة بين المتنبي و خصومه، المؤلف: القاضي الجرجاني، ص: 92

اختص بالإبداع في وصف مواقف القتال".[1] وأحيانا بلغ أشعاره إلى الغاية في الدقة والإبداع، وهذا ما كان نصيب شاعر في العصر الجاهلي.

التصوير الجامع للحرب

قال يصف الحرب في كلمات جامعة:

سَرَايَاكَ تَتْرَى وَالدُّمُسْتُقْ هَارِبٌ وَأَصحَابُهُ قَتْلَى وَأَمْوَالُهُ نُهْبَى[2]

شرح الكلمات: تترى: متواترة، متتابعة، بينها فجوات وفترات،[3] الآية: **(ثُمَّ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا تَتْرَى)**[4]، وهو معلوم أن بين كل رسولين فترة." وهذا البيت يدل على أن الحروب كانت مستمرة بفترات وفجوات، والدمستق: اسم لقائد الروم، فيه يؤدي المتنبي المعاني الكثيرة في كلمات قليلة وجمع فيه الوقائع الحربية وأحاط فيه بشتى الجوانب والنواحي، وفيه إيجاز شديد حيث يقول،" وأصحابه قتلى" و" أمواله نهبى" و" سراياك تترى"، فلا ينكر فيه الأثر القرآني كما ذكرت الآية وإن فيه عدولا عن مدح القبيلة إلى مدح الدولة.

تذكرة شعائر النصارى

وقال يصور انهزام الأعداء وانتصار سيف الدولة على الروم:

وَخَلَّى الْعَذَارَى وَالْبَطَارِيقَ وَالْقُرَى وَشُعْثَ النَّصَارَى وَالْقَرَابِينَ وَالْصُلْبَا[5]

2- تاريخ النقد الادبي عند العرب، المؤلف: إحسان عباس، الطبعة: 4، 1982، الناشر: دار الثقافة- بيروت، ص: 597.

[2]- ديوان المتبي، محمد خداش، ص: 270

[3]- لسان العرب، لابن منظور الأفريقي، الطبعة الأولى، الناشر: دار صادر- بيروت: 5/ 373

[4]- سورة المؤمنون، الآية: 44

[5]- ديوان المتنبي، محمد خداش، ص: 271

شرح الكلمات: العذارى: جمع عذراء، وهي البكر من النساء، والبطاريق: جمع بطريق، وهم قواد الروم، والشعث: جمع أشعث وهو مغبر الرأس، والمراد هنا الرهبان، والقرابين: جمع قربان، وهو ما يتقرب به إلى الله، والمراد هنا خاصة الملك، والصلب: جمع صليب، وسكن اللام على لغة تميم، يقول: إنه(الدمستق؛ القائد الرومي) انهزم وترك هؤلاء ولم يلتفت إليهم لهول ما رأى."([1])

في هذا البيت ذكر المتنبي شعائر النصارى وطقوسهم وجمعها في بيت وهذا يدل على معرفته بتقاليد النصارى وعاداتهم وشاهد المعركة دارت بين المسلمين والكفار من النصارى، فلذا يذكر فيه الأهداف أسمى وأفضل بنسبة الأهداف القبلية الصغيرة.

الابتكار في تصوير الحرب

وقال المتنبي يصف الحرب بصورة مبتكرة:

تَظَلُّ الطَّيرُ مِنهَا فِي حَدِيثٍ تَرُدُّ بِهِ الصَّرَاصِرَ وَالنَّعِيبَا([2])

شرح الكلمات: الصراصر: جمع صرصرة: وهي صوت النسر والبازي ونحوهما([3])، وفي تاج العروس: صوت الصقر والبازي،([4])، وكذلك في لسان العرب([5])، النعيبا: نعيب الغراب([6]).

---

[1] - شرح ديوان المتنبي: 1/ 189

[2] – ديوان المتنبي، محمد خداش، ص: 163

[3] – شرح ديوان المتنبي: 1/ 265

[4] – تاج العروس: 12/ 303

[5] – لسان العرب: 4/ 450

[6] – تاج العروس: 4/ 288

يقول: هل من سبيل إلى واقعة تكثر فيها القتلى فيجتمع عليها الطير فيصرصر النسر وينعب الغراب؟ جعل صياح الطيور المجتمعة على القتلى كأنه حديث يتحدثن به." اجتماع الطير يمثل انهزام الأعداء ونظيره قول النابغة:

إذا ما غزا بالجيش حلق فوقه عصائب طير تهتدي بعصائب([1])

فجعل النابغة الطير علامة الانتصار لجيش نعمان بن منذر وقتل الأعداء بتشبيه رائع، فالمتنبي أخذ منه وقلده فيه حيث إنه استعمل الطير في تصوير الحرب وقوة الجيش، مع ذلك أنه أضاف عليه حديث الطير عن القتلى، فقدم تصويرا أدق للحرب.

آثار الفلسفة في وصف الحرب

يقدم المتنبي تصوير الحرب بأسلوب فلسفي جميل:

وَقَدْ لَبِسَتْ دِمَاءُهُمْ عَلَيهِمْ حَدَادًا لَمْ تَشُقَّ لَهَا جُيُوبَا([2])

يقول فيه: إن هذه الطير تغوص في دماء القتلى بيد انها لم تشق على هؤلآء القتلى جيوبا كما تفعل ربات الحداد."([3]) وفي هذا البيت وصف دقيق للحرب ويريد به المتنبي أن الطير تغوص في الدماء، وهي تجفف على أجسادها وتسودّ، وهذا يدل على كثرة جريان الدماء وقتل الأعداء على المستوى الكبير، وكأن الطير تلبس ملابس المناحة للرثاء على القتلى ولكنها لم تشق الجيوب ما يزيل هذا الاشتباه.

---

[1]- ديوان النابغة، ص: 11

[2]- ديوان المتبي، محمد حداش، ص: 163

[3]- شرح ديوان المتنبي: 1/ 265

التصوير الدقيق

قال يصف المشهد الحربي بتصوير دقيق:

تَمُرُّ عَلَيهَا الشَّمْسُ وَهِيَ ضَعِيفَةٌ تُطَالِعُهُ مِنْ بَينِ رِيشِ القَشَائِمِ

إِذَا ضَوءُهَا لَاقَى مِنَ الطَّيرِ فُرْجَةً تَدَوَّرَ فَوقَ الْبَيضِ مِثْلَ الدَّرَاهِمِ[1]

شرح الالفاظ: القشائم: البيض: جمع بيضة وهي الخوذة،

يقول: تمر الشمس على هذا الجيش وهي ضعيفة من شدة غباره أو من كثرة عقبانه التي تخيم عليه وتتبعه، ولا ينفض ضوءها إليه إلا من خلال ريش النسور، وشبه ما يتساقط من الضوء في فرج أجنحة الطير بالدراهم، وشبه في موضع آخر بالدنانير، وهو قوله:

وألقى الشرق منها في ثيابي دنانيرا تفر من البنان[2]

يريد هنا أنه لكثرة اشتباك أجنحة الطير فوقه لا يصل إليه ضوء الشمس إلا من منافذ ضيقة فيقع مستديرا، وهذا مثل قول النابغة:

إذا ما غزا بالجيش حلق فوقه عصائب طير تهتدي بعصائب[3]

مع أن المتنبي أخذ منه إلا أنه أضاف فيه وجدده وابتكر فيه وقدم تصوير الحرب بدقة وإمعان حيث إنه ذكر أشعة الشمس تمر في أرياش الطير وتقع على الحوذات مثل الدراهم.

الاتساع الفكري

---

[1]- ديوان المتنبي، محمد خداش، ص: 177

[2]- شرح ديوان المتنبي: 4/ 386

[3]- ديوان النابغة، ص: 11

قال أبو الطيب يقدم تصوير الحرب تصويرا متسعا:

عَلَى الْفُرَاتِ أَعَاصِيرٌ وَفِي حَلَبٍ تَوَحُّشٌ لِمُلَقَّى النَّصْرِ مُقْتَبَلِ[1]

شرح الألفاظ: الأعاصير: جمع إعصار، ريح تلتف بالغبار وتعلو مستطيلة، وتوحش: بمعنى الوحشة، ويريد بملقى النصر: سيف الدولة؛ أي يلقى النصر حيث ما قصد، ومقتبل: أي حسن تقبله العيون. يقول فيه: على الفرات — نهر معروف- ريح تثير الغبار لمكان جيش أخيك ناصر الدولة وفي حلب وحشة لأنك بعدت عنها." في هذا البيت يحيط المتنبي مناطق الأعداء أكثر قياسا بالشاعر الجاهلي لأنه متقيد في مضيق القبيلة والعشيرة ويعيش في الأحوال المتصلة بالحياة البدوية وأما المتنبي فهو يذكر أماكن خارج الجزيرة العربية وبها خرج من المحيط الضيق إلى الأفق الواسع.

التأثر بالخصال الإسلامية

وقال المتنبي وتلمح الفكرة الإسلامية في شعره:

تَبِيتُ بِهَا الْحَوَاصِنُ آمِنَاتٍ وَيُسْلَمُ فِي مَسَالِكِهَا الْحَجِيجُ[2]

الحواصن: العفيفات، والحجيج: جمع الحاج، الذين يؤدون مناسك الحج،

يقول فيه: إن نار هذه الحرب تأمن بها النساء من السبي، ويسلم الحجاج في مسالكهم فلا يتعرض لهم الروم إذ تنتصر عليهم،" يبدو في هذا البيت انعكست معالم الحكم الإسلامي

[1]- ديوان المتنبي، محمد خداش، ص: 230

[2]- ديوان المتنبي، محمد خداش، ص: 256

وملامح المجتمع الإسلامي الذي يعيش فيه المتنبي لأن سلامة الحجاج ومأمن العفيفات من خصائص الحكم الإسلامي ومن أهدافه النبيلة وأيضا يدل على التغير الفكري لديه.

التمثيل الجميل:

وقال أبو الطيب يصور الحرب:

فَقَدْ بَرَدَتْ فَوقَ اللُّقَانِ دِمَاؤُهُمْ وَنَحْنُ أَنَاسٌ نُتْبِعُ الْبَارِدَ السُّخْنَا[1]

شرح الكلمات: اللقان: موضع بالروم، وقال ياقوت الحموي: لقان: بالضم ثم التخفيف وآخره نون، بلد بالروم وراء خرشنة بيومين غزاه سيف الدولة.[2]

يقول: تقادم عهدنا بسفك دمائهم وقد برد ما سفكناه، وعادتنا أن نتبع البارد من دماء الاعداء السخن منها، يعني لا ننفك من سفك دمائهم، فإذا برد ما سفكناه اتبعناه دما طريا حارا."[3] في هذا البيت استعمل التمثيل الجميل، وبراعة الفكر حيث أنه بيّن فتوح سيف الدولة بأسلوب رائع جميل باستعمال الأضداد "البارد" و "السخنا"، وعرف المتنبي باستخدام الكلمات الجميلة والأفكار النادرة، مثل قوله:

يذرى اللقان غبارا في مناخرها وفي حناجرها من آلس جرع[4]

وذكره أيضا في قوله:

---

[1]- شرح ديوان المتنبي: 4/ 301

[2]- معجم البلدان، المؤلف: ياقوت الحموي،(باب اللام و القاف) : 4/ 34

[3]- شرح ديوان المتنبي، ص:

[4]- شرح ديوان المتنبي: 2/ 335

عصفن بهم يوم اللقان وسقنهم بهنزيط حتى أبيض بالسبي آمد[1]

و" هنزيط " اسم بلد الروم وقد كثرت في شعره تذكرة بلاد الروم، وقال أيضا:

يغير بها بين اللقان وواسط ويركزها بين الفرات وجلق [2]

"اللقان ببلاد الروم كما ذكرت سابقا، وواسط بالعراق، وجلق بالشام بقرب دمشق. يريد بها كثرة غاراته وفشوها في البلاد من العراق إلى أقاصي الروم وانتشار عساكره فيها."[3]

فيظهر أن اللقان كان موضعا معروفا بسبب انتصار سيف الدولة عليه، فذكره المتنبي في عدة مواضع، ويكثر في شعر المتنبي ذكر أماكن الروم ما يدل على الاتساع الفكري لديه ويرتقي فكره مع امتداد الفتوح لسيف الدولة وتجاوز شعره عن التقاليد الجاهلية وعن حدود الجزيرة إلى الأفق الأوسع.

التمثيل القرآني

وقال أبو الطيب أيضا يصور الحرب:

مُخَضَّبَةٌ وَالْقَومُ صَرْعَى كَأَنَّهَا وَإِنْ لَمْ يَكُونُوا سَاجِدِينَ مَسَاجِدُ

يقول: إن هذه البلاد ملطخة بدمائهم- أي دماء الأعداء- كأنها مساجد مخلقة- أي مطلية بالخلوق- وهو ضرب من الطيب أعظم أجزائه الزعفران- وهم مقتولون طريحون فيها كأنهم سجدوا على الأرض، وإن لم يسجدوا حقيقة."[1]

---

[1]- شرح ديوان المتنبي: 1/ 397

[2]- شرح ديوان المتنبي: 3/ 54

447- المرجع السابق

لاشك أن القرآن الكريم كان هو مؤثرا دائما في إنتاجات الأدباء والشعراء في العصر العباسي حيث إنهم تتوجه عيونهم وتهوي قلوبهم إليه وأنه كلام معجز، وقد اختاروا بعض التراكيب القرآنية في شعرهم ونثرهم وكما في الشعر المذكور استخدم المتنبي التركيب القرآني" والقوم صرعى" وقال سبحانه وتعالى في الكتاب العزيز: (**فَتَرَى الْقَومَ فِيهَا صَرْعَى**)[2]، فيها أيضا بعض ملامح الحضارة الإسلامية حيث إنه ذكر المساجد ولونها تشبيها.

الجرس القوي

وقال أبو الطيب يصور الحرب طربا:

فَنَحنُ فِي جَذَلٍ وَالرُّومُ فِي وَجَلٍ وَالْبَرُّ فِي شُغُلٍ وَالْبَحْرُ فِي خَجَلٍ[3]

الجذل : الفرح، والوجل: الخوف

يقول: نحن المسلمون فرحون بانتصاره- أي انتصار سيف الدولة- والروم في خوف منه لغاراته وغزواته، والبر مشتغل بجيشه لا يتفرغ لغيره، والبحر خجل من ندى يديه."[4] في هذا البيت يُرى تكلف واضح بتقديم الكلمات متشابهة الإيقاع وإسراف هو سمة بارزة في شعر المتنبي وقد يُرى عنده الإيقاع الشعري يسرف فيه إسرافا لا نظير له في العصر الجاهلي مثل قوله:

أقلْ أنلْ أقطعْ أحملْ علّ سلّ أعدْ زدْ هشّ بشّ تفضّل أدنِ سرّ صلِ[5]

---

[1]- شرح ديوان المتنبي: 1/ 396

[2]- الحاقة، رقم الآية: 7

[3]- شرح ديوان المتنبي: 3/ 204

[4]- المرجع السابق

[5]- شرح ديوان المتنبي: 3 / 209

فيه ايقاع جميل، ومع ذلك يظهر فيه الحماس الإسلامي ضد الكفار من الروم، ويبدو فيه أنه مدافع عن المسلمين بأجمع لا عن قبيلة أو العشيرة، فقد ارتفع عن الأهداف القبلية الضيقة إلى الأهداف الملية والقومية، وإلى المشاعر العالية والأفكار الواسعة واجتنب مشاعر اللون والحسب واللسان، مثل قوله:

فالعرب منه مع الكدريّ طائرة والروم طائرة منه مع الحجل[1]

وكذلك في هذا البيت ينوّه المتنبي بشأن العرب ويدافع عنهم.

تذكرة الشعوب الرومية

وقال أبو الطيب يصور الحرب:

لَا أَلُــومُ ابْنَ لاَوِنْ مَلِكِ الــرُّو مِ، وَإِنْ كَانَ مَا تَمَنّىَ مُحَالَا

يَجْمَعُ الرّوْمَ وَالصَّقَالِبَ وَالْبُلَغَرَ فِيهَا وَتَجْــمَعُ الْآجَــالَا [2]

شرح الكلمات: ابن لاون: ملك الروم الذي حاربه سيف الدولة، الصقالب والبلغر(البلغار) من أجناس أوربا.

يقول: يذكر فيه ملك الروم والشعوب الرومية وأمصارها، وهذه الأمصار عرفت لدى العرب مع انتصارات المسلمين عليها وامتداد الحكم الإسلامي، فذكر الشعوب التي لم تعرف لدى الشعراء المتقدمين، قد كثر ذكر الأمصار في شعره، كما قوله:

[1] – شرح ديوان المتنبي: 3/ 207

[2] – المرجع السابق: 3/ 257

فلما تجلى من دلوك وصنجة علت كل طود راية ورعيل[1]

فدلوك كما يقول الحموي هي بليدة من نواحي حلب بالعواصم كانت بها وقعة لأبي فراس بن حمدان مع الروم، وكما قوله:

وأني إذ نزلت على دلوك تركتك غير متصل النظام

وكذلك صنجة نهر بين ديار مضر وديار بكر، عليه قنطرة عظيمة من عجائب الأرض.[2]

الفكرة القرآنية للحرب

وقال أبو الطيب يصور الحرب:

وَبِتْنَ بِحِصْنِ الرَّانِ رَزْحَى مِنَ الْوَجَى وَكُلُّ عَـزِيزٍ لِلْأَمِيرِ ذَلِيـلُ[3]

حصن الران: من حصون الروم ذكر المتنبي فيه بلد من بلاد الروم وصور الحرب يأخذ الصورة من القرآن، فلا يفهم هذا البيت بتمامه إلا بنظرة في القرآن لأن معناه قد أخذ من قصة سليمان عليه السلام لما أرسل إلى بلقيس للإستسلام، فاستشارت الملكة من حواشيها وملإها، فتشاوروا الحرب ضد سليمان عليه السلام، ولكنها رفضت ونظرت الأخطار المستترة فيها وقالت: (**إن الملوك إذا دخلوا قرية أفسدوها وجعلوا أعزة أهلها أذلة**)[4] فلا منازع أن القرآن كان مؤثرا كبيرا في الإنتاجات الأدبية والشعرية في العصر العباسي، فلا شك أن المتنبي قد نال منه حظا وافرا، وقد يلمح هذا الأثر في كلامه.

---

[1] – شرح ديوان المتنبي: 3/ 222

[2] – معجم البلدان، ياقوت الحموي، (باب الصاد والميم): 3 /106

[3] – شرح ديوان المتنبي: 3/ 225

[4] – سورة النمل، رقم الآية: 34

التصوير المبدع للحرب

وقال المتنبي يصور الحرب تصويرا إبداعيا:

رَكَضَ الْأَمِيرُ وَكَاللُّجَينِ حَبَابُهُ وَثَنَى الأَعِنَّةَ وَهُوَ كَالْعِقْيَانِ[1]

شرح الكلمات: اللجين: الفضة، الحباب: الفقاقيع التي تعلو الماء، العقيان: الذهب.

يقول: عبر سيف الدولة هذا النهر وركض خيله إلى الروم والماء أبيض كالفضة، فلما قتلهم وجرت فيه دماؤهم عاد وقد أحمر كالذهب." قدم المتنبي في هذا البيت التصوير المبدع المبتكر، والإبتكار هو سمة بارزة لشعره وقد حظي في شعره بالإبداع كما يقول له" اختص بالإبداع في وصف مواقف القتال"[2] وقدم تصويرا مبتكرا لماء النهر إذ شبهه باللجين والعقيان، وما كان نصيب شاعر جاهلي أن يصف الحرب كما وصف المتنبي بأسلوب إبداعي، وقد قل ذكر الأنهار في الشعر الجاهلي بسبب عدم وجودها عند العرب:

التشبيه المبتكر الجديد

وقال أبو الطيب يصف الحرب:

وَحَشَاهُ عَادِيَةً بِغَيرِ قَوَائِمٍ عُقُمَ الْبُطُونِ حَوَالِكَ الْأَلْوَانِ[3]

شرح الكلمات: عادية: من العدْو، الركض(صفة الخيل)، حوالك: شديدة السواد.

---

[1]- ديوان المتنبي، محمد خداش، ص: 344

[2]- تاريخ النقد الأدبي عند العرب، إحسان عباس، ص: 597

[3]- شرح ديوان المتنبي: 4/ 311

يقول: حشا ماء النهر سفنا تعدو ولا قوائم لها، وهي عقم لا تلد، وألوانها سوداء لأنها مقيرة- مطلية بالقار- شبه السفن بالخيل العادية والخيل لها قوائم، ومن عادتها أن تنتج، فبين أنه أراد السفن".([1])

المبالغة في وصف الحرب

وقال أبو الطيب يصف الحرب:

حَتَّى وَرَدْنَ بِسِمْنِينٍ بُحَيرَتَهَا تَنِشُّ بِالْمَاءِ فِي أَشْدَاقِهَا اللُّجُمُ([2])

سمنين: اسم موضع في الروم، النشيش: صوت الماء إذا غلي. يقول: حتى وردت هذا الخيل بحيرة هذا الموضع وكرعت في الماء فسمع للجمها نشيش في أشداقها لشدة حرارة الحديد، يريد أنها كانت محماة؛ فلما أصابها الماء نشت، ويريد أنها – لسرعتها- وردت الماء وشربت بلجمها." في هذا البيت نرى إسرافا واضحا كما هو سمة بارزة في شعره حيث إنه يقول فيه إن حديد اللجم قد استحر بسبب ركض الخيل حتى إذا دخلت في البحر يغلي الماء فيستدل به على شدة الحرب، فلا منازع هذا من إسرافات المتنبي، مثل قوله:

قلما دنا أخفى عليه مكانه شعاع الحديد البارق المتألق([3])

ومثل قوله:

إذا نكبت كنانته استبنا بأنصلها لأنصلها ندوبا

---

[1]- شرح ديوان المتنبي، 4/ 311

[2]- ديوان المتنبي، محمد خداش، ص: 349

[3]- شرح ديوان المتنبي: 3/ 56

يصيب ببعضها أفواق بعض فلولا الكسر لاتّصلت قضيبا[1]

الاتساع في تصوير الحرب

وقال أبو الطيب يصور الحرب :

وَمَا يَصُدُّكَ عَنْ بَحْرٍ لَهُمْ سَعَةٌ وَمَا يَرُدُّكَ عَنْ طَوْدٍ لَهُمْ شَمَمُ[2]

يقول: إن سعة بحارهم لا يصدك عنها، لأنك تقتعها وإن كانت واسعة، وارتفاع جبالهم لا يردك عنها، لأنك تعلوها وتصعدها."[3] يبرز فيه الاتساع الفكري والخروج عن الإطار القبلي بذكره البحر الواسع البسيط، وفيه تصوير الحربي يحيط بالجبال والبحار ما يدل على سعة فكره في وصف الحرب.

التركيب المبتكر الجديد

وقال المتنبي يصف الحرب بتركيب مبتكر جديد:

كَأَنَّ دَمَ الْجَمَاجِمِ فِي الْعَنَاصِي كَسَا الْبُلْدَانَ رِيشَ الْحَيقُطَانِ[4]

شرح الكلمات: العناصي: جمع العنصية والعنصاة، القليل المتفرق من النبت،[5]

الحيقطان: ذكر الدراج،[1] يقول: إن جماجم الأعداء الذين فيهم سيفه كانت تطير وشعورها المتلطخة بالدماء تنتشر على وجه البلدان، فكأن دماءهم قد كست البلدان ريشة هذا الطائر

---

[1]- المرجع السابق: 270/1

[2]- ديوان المتنبي، محمد خداش، ص: 349

[3]- المرجع السابق: 4 / 136

[4]- شرح ديوان المتنبي: 4/ 393

[5]- تاج العروس: 18 / 46

الكثير الألوان."في هذا البيت يأتي المتنبي بتشبيه جديد مبتكر لم يتناوله أحد من قبله من الشعراء حيث أنه يمثل شدة الحرب وسفك دماء الأعداء بريش الحيقطان- الطير الذي لم يعرف لدى الشعراء الجاهليين- وذكر الحيقطان يدل على اتساع محيط المشاهدة للمتبي، وكثرة معلوماته ومعرفته، ويدل أيضا على تجاوزه عن التشبيهات المكرورة إلى الألوان الجديدة.

التمثيل الإبداعي للحرب

وقال المتنبي يصور الحرب تصويرا مبدعا:

حَتَّى عَبَرْنَ بِأَرْسَنَاسَ سَوَابِحًا يَنْشُرْنَ فِيهِ عَمَائِمَ الْفُرْسَانِ[2]

أرسناس: نهر بالروم، بارد جدا، وقال ياقوت الحموي: اسم نهر في بلاد الروم يوصف ببرودة مائه، عبره سيف الدولة ليغزو."[3] هذا تمثيل رائع جميل و" ينشرن عمائم الفرسان " يريد لسرعتها في السباحة"[4] ولا منازع أن المتنبي قدم فيه التصوير الحربي الجميل ويعجب السامع جماله وروعته ولا سيما أنه يتبحر في العوالم الجديدة ويمتلك فكرا إبداعيا، فيظهر به التصوير الحربي المرعب كأن السامع ينظره بعينيه، وما كان نصيب شاعر جاهلي تقديم هذا التصوير الحربي.

التركيب الغريب

وقال أبو الطيب يصور الحرب:

---

[1]- تاج العروس: 19 / 208

[2]- ديوان المتنبي، محمد خداش، ص: 344

[3]- معجم البلدان، ياقوت الحموي، باب الهمزة والراء: 1/ 97

[4]- شرح ديوان المتنبي: 4/ 310

بِضَرْبٍ هَاجَ أَطْرَابَ الْمَنَايَا سِوَى ضَرْبِ الْمَثَالِثِ وَالْمَثَانِي[1]

وفي هذا البيت استخدم المتنبي تركيبا جديدا" المثالث والمثاني"في تقديم تصوير الحرب، والمثاني: من أوتار العود، الذي بعد الأول، واحدها مثنى، ومنه قولهم: رنات المثالث والمثاني.[2] وفي العصرالجاهلي استخدمه امرؤ القيس في شعره حيث قال:

وتخدي على حمر صلاب ملاطس شديدات عقد لينات مثاني[3]

والمثاني فيه من الدابة[4] وأخذه المتنبي ولكن استعمله في معنى آخر وابتكر فيه واستخدمه في تصوير الحرب، مع أن له صلة بآلات الموسيقى, ومن قبله ما كان الشعراء يستخدمونه في شعر الحرب.

المبحث الثاني

صور الحرب عند أبي فراس:

إن أبا فراس أقرب إلى التقليد بالنسبة لمعاصره وقرينه أبي طيب المتنبي، وقلّ عنده التعقيد المعنوي والأفكار الفلسفية التي عرف بها المتنبي، ولا يميل إلى الابتكار مثله ولكنه يمثل في شعره العواطف الصادقة لأنه كان قائد الحرب وخاض المعارك، ولكن- فيما أرى- أن بعض الابتكار قد ظهر في شعره غير متعمد إليه لأنه عاش في عصر التقدم والازدهار، ومن الطبيعي أنه تأثر

---

[1]- ديوان المتنبي، محمد خداش، ص: 453

[2]- تاج العروس: 37/ 290

[3]- المرجع السابق

[4]- المرجع السابق

بالحضارة الجديدة والابتكار قد ورد في شعره تلقائيا، وفيما يلي بعض النماذج من كلامه في تصوير الحرب:

التصوير الحربي التقليدي

وهو يقدم في هذا الشعر التصوير الحربي الرائع:

أَشُقُّ وَرَاءَهُ الْجَيشَ الْمُعَبَّا وَأَخْرُقُ بَعْدَهُ الرَّهْجَ الْمُثَارَا[1]

في هذا البيت إن أبا فراس يفتخر بذاته وينسب فعل شقّ الجيش المعبا، وملء الأرض بالجيوش، وإرهاج الغبار إلى نفسه، وبرز فيه كقائد حربي كبير، فلا يملأ الأرض بالخيول في الحرب إلا القائد الكبير، فلا منازع أنه كان من كبار الأمراء وكلامه كلام الملك، كما قيل له" بدئ الشعر بملك وختم بملك"[2] في هذا البيت يصور أبو فراس تصويرا رائعا للحرب كمطاردة الجيش وإرهاج الغبار في الحرب تمثيل تقليدي ونظيره في قوله:

وكم بلد شتتناهن، فيه ضحى وعلا منابره الغبار[3].

قدأخذ الشعراء الجاهليون هذه الصورة الحربية لإظهار شدة الحرب كما قال حسان بن ثابت:

عدمنا خيلنا، إن لم تروها تثير النقع موعدها كداء[4]

فمن المعلوم أن مثار النقع يدل على شدة الحرب وأظهرها به الشعراء سواء كانوا من المتقدمين أو المحدثين, وكما قال بشار بن البرد:

---

[1]- ديوان أبي فراس الحمداني، ص: 122

[2]- يتيمة الدهر، مؤلف: الثعالبي، ص: 10

[3]- ديوان أبي فراس الحمداني، ص: 158

[4]- شرح ديوان حسان بن ثابت الأنصاري للبرقوقي، ص: 7-9

كأن مثار النقع فوق رؤوسنا وأسيافنا، ليل تهاوى كواكبه[1]

وأبو فراس تابعهم في هذه الظاهرة التقليدية إلا أنه برز فيها كقائد من قواد الحرب الكبار الذي يهيمن عليها، إذ أنه ينسب فعل ملإ الأرض بالخيل وإرهاج الغبار إلى ذاته.

تصوير الحربي التقليدي

وقال الحمداني يصور الحرب مشهدا رائعا:

نُشَرِّدُهُمْ ضَرْبًا كَمَا شُرِدَ القَطَا ونُنْظِمُهُم طَعْنًا كَمَا نُظِمَ الْعِقْدُ[2]

شرح الكلمات: القطا: العصافير البرية، وننظمهم: نشكّهم بالأسنة.

وفي هذا البيت قال الحمداني يهدّد الروم إذا بلغه خبر نزول الروم على ثغور بلادهم ويصور فيها مشهد الحرب تصويرا رائعا وقال نحن دائما نخضعهم نغلبهم ونجعلهم يفرّون شاردين مثل القطا- العصافير البرية -لا ملجأ لهم ولا مناص، ونطاردهم ونشكّهم في أسنّتنا كما يُنظم اللئالي في العقد. ولا شك في هذا الأمر أن الحمداني يصور مشاهد الحرب بصورة تقليدية كما هو يقول:

دعانا والأسنة مشرعات وكنا، عند دعوته الجوابا[3]

فلا منازع هذا الشعر مثل عال في الفخر والحماسة ومن كلام الملك وفيها سمات تقليدية وأن بعض الشعراء الجاهليين يذكرون بطولاتهم في الأشعار، مثل قول عنترة بن شداد:

---

[1]- شرح ديوان المتنبي: 1/ 256

[2]- المرجع السابق، ص: 95

[3]- ديوان أبي فراس الحمداني، ص: 32

فشككت بالرمح الأصم ثيابه ليس الكريم على القنا بمحرم [1]

ومثل قول امرئ القيس:

فيا رب مكروب كررت وراءه وطاعنت عنه الخيل حتى تنفسا[2]

فلاجدال في، أن أبا فراس كان من أمثالهما في القتال بل أفضل منهما بسبب كثرة الجيش الذي كان يسوده، والحروب المتتابعة التي خاض فيها، واتساع إطار الحروب في العصر العباسي بالنسبة إلى العصر الجاهلي.

الاتساع الفكري في تصوير الحرب

وقال أبو فراس يصف الحرب تصويرا رائعا جميلا:

إِنْ زُرْتُ خَرْشَنَةً أَسِيرًا فَلَكَمْ أَحَطتُّ بِهَا مُغِيرَا[3]

خرشنة: قلعة الروم على نهر فرات، وقال الحموي: بلد قرب ملطية من بلاد الروم غزاه سيف الدولة بن حمدان وذكره المتنبي وغيره في شعره(وذكره أبو فراس أيضا)[4]

فيه يظهر الحماس الإسلامي وسعة الفكر في الشاعر لما توجه جيش سيف الدولة إلى الروم وكان أبوفراس في طليعة الجيش الذي أحاط "خرشنة" بلد رومي وقلعة منيعة على نهر فرات، وذكرها المتنبي أيضا في قوله:

3- نشوة الطرب في تاريخ جاهلية العرب، ابن سعيد الأندلسي، تحقيق: نصرت عبد الرحمن، كلية الآداب في الجامعة الأردنية: 1/ 209

[2]- رجال المعلقات العشر، مصطفى الغلاييني، ص: 20

[3]– ديوان أبي فراس الحمداني، ص: 123

[4]– معجم البلدان، ياقوت الحموي: 2/ 157

حتى أقام على أرباض خرشنة تشقى به الروم والصلبان والبيع[1]

وبعد أن أحاطها مغيرا، وصل إليها أبو فراس أسيرا، ولكنه يفتخر في السجن أنه أحاط بها مغيرا من قبله في الأيام الماضية، فلا منازع هذا كلام قائد الجيش وتظهر به عزة الملك واتساع الفكر، فلا سيما هذه العواطف نادرة قليلة في الشعر الجاهلي وما بعده.

سعة نطاق الحرب وبراعة التصوير

يقدم أبو فراس التصوير الحربي الإبداعي وهو يقول:

وَلَقَدْ رَأَيتُ النَّارَ تَنْ تَهِبُ الْمَنَازِلَ وَالْقُصُورَا[2]

هذا البيت يدل على سعة الحرب وامتدادها إلى المنازل والقصور حيث إنها تحترق بالنيران التي ألهبها جيش سيف الدولة في بلاد الروم، فيتجاوز هذا التصوير الحربي عن مستوى الحروب القبلية الصغيرة، لأنه فيه اتساع دائرة الحرب التي أحاطت نارها بالمنازل والقصور، وهذه صورة رائعة ومظهر لمهابة سيف الدولة التي ما قدمها من قبله شاعر إلا النادر القليل، وفيه قول حسان بن ثابت رضي الله عنه لما حاصر المسلمون قلاع الثقيف:

ففروا إلى حصن القصور وغلّقوا وكائن ترى من مشفق غير وائل[3]

ولكن التصوير الذي قدمه أبو فراس يعرض مشهدا مهيبا للحرب، وسبق بذلك غيره من الشعراء، ويبدو فيه كأنه يرى أحوال الحرب بعينيه وهو مشارك نشيط فيها.

---

[1]- ديوان المتنبي، محمد خداش، ص: 259

[2]- ديوان أبي فراس الحمداني، ص: 123

[3]- ديوان حسان بن ثابت، ص: 166

التصوير الحربي الرائع للانتصار

وقال أبو فراس الحمداني يصور الحرب:

وَلَقَدْ رَأَيتُ السَّبْيَ يَجْـ لَبُ نَحْوَنَا حَوًّا وَحُورَا[1]

شرح الكلمات: الحور: شدة بياض في العين مع شدة سوادها،[2] الحوّ: الأحوى من الخيل هو الأحمر السراة وفي الحديث:(خير الخيل الحو) وهو الكميت الذي يعلوه سواد.[3]

قد جاء بتصوير رائع لانتصار سيف الدولة على الروم بتركيب "حوّا وحورا" وكان الأسرى والأسيرات يجلبون إلى البلاد الإسلامية بعد الفتوحات وكثر العبيد والجواري في الأمصار الإسلامية ويمثلها أبو فراس مشهدا رائعا في شعر الحرب، وقول حسان بن ثابت:

فناغ لدى الأبواب حورا نواعما وكحل مآقيك الحسان بإثمد[4]

ولكن أبا فراس له فضل على الآخرين بشعره حيث أنه قدم تصويرا رائعا للانتصار.

تذكرة الأماكن الرومية في تصوير الحرب

وقال يصور المعارك التي دارت بين سيف الدولة والروم:

وَنَكَّبْنَـا الْفُـرُقْلُسَ لَـمْ تَرِدْهُ كَأَنَّ بِنَا عَنِ الْمَـاءِ اجْتِنَابَا

وَجُزْنَ الصَّحْصَحَانَ يَخُدْنَ وَخْدًا وَيَجْتَبْنَ الْفُلَاةَ بِنَـا اجْتِنَابَا

---

[1]- ديوان أبي فراس الحمداني، ص: 123

[2]- المعجم الوسيط ، ص: 205

[3]- تاج العروس: 14/ 206

[4]- ديوان بن ثابت، ص: 60

وَمِـــلْنَ عَنِ الْغُوَيرِ وَسِـرْنَ حَتَّى وَرَدْنَ عُيُونَ تَدْمَرَ وَالْحَبَابَا[1]

شرح الكلمات: الفرقلس: اسم ماء قرب سلمية في الشام،[2] الصحصحان: واد في طريق الشام من المدينة، موضع بين حلب وتدمر[3] الغوير: هو تصغير الغور، قيل هو ماء لكلب بأرض السماوة بين العراق والشام،[4] وتدمر: مدينة قديمة شهورة في برية الشام بينها وبين حلب خمسة أيام،[5] الجباب: وهو موضع عند ذي قار،[6] في هذا البيت استخدم الشاعر الأماكن الرومية وأكثر من ذكرها ما يدل على امتداد الحرب وسعتها وتجاوزها عن المعارك القبلية المحددة كما في قوله:

وويلك من أردى أخـاك بمرعـش وجلل ضربا وجه والدك العضبا

وويلك من خلى ابن أختك موثقا وخلاك باللقان تبتدر الشعبـا[7]

فيه يذكر أبو فراس البلاد الرومية وهي" المرعش": بلدة من الثغور بين الشام والعراق، واللقان: من بلاد الروم، وكما قوله:

وشردنا إلى الجولان طيئا وجنبّنا سماوتها جنابا[8]

---

[1]- ديوان أبي فراس الحمداني، ص: 33

[2]- معجم البلدان، 3/ 325

[3]- معجم البلدان، 3/ 83

[4]- المرجع السابق، 3/ 298

[5]- المرجع السابق، 1/ 403

[6]- المرجع السابق: 1/ 464

[7]- ديوان أبي فراس الحمداني، ص: 36

[8]- ديوان أبي فراس الحمداني، ص: 33

والجولان في الشعر قرية أو قيل جبل من نواحي دمشق،[1] فلا سيما أن أبافراس يكثر في ذكر بلاد الروم في أبياته بسبب الحروب التي دارت بين سيف الدولة والروم فلا جدال هذا من خصائص شعره.

التغير الدلالي في التشبيه

وقال الحمداني يصف الحرب تصويرا رائعا:

لَقَدْ جَمَعَتْنَا الْحَرْبُ مِنْ قَبْلُ هذِهِ فَكُنَّا بِهَا أَسَدًا، وَكُنْتَ بِهَا كَلْبَا[2]

في هذا البيت أخذ الشاعر استعارة الكلب ليمثل الجبن والاستحقار لأعدائه الروميين، ومثل قوله:

فلا كان كلب الروم أرأف منكم وأرعب في كسب الثناء المخلّد

والكلب حيوان كانت العرب تأخذه للمدح أيضا لبعض صفاته وكان هناك قصة شاعت في مجالس المتأدبين وفي بعض منتدياتهم في زمن المتوكل العباسي، إن علي بن الجهم كان بدويا جافيا، يقدم على المتوكل العباسي فأنشد قصيدته التي منها:

أنت كالكلب في حفاظك للود وكالتيس في قراع الخطوب

أنت كالدلو ما عددناك دلوا من كبار الدلى كثير الذنوب

فغضب منه جلساءه على هذا المدح وكادوا يقطعوا لسانه ولكنه عفي عنه لأجل بداوته[1]

---

[1]- المرجع السابق، (باب الجيم والواؤ): 2/ 34

[2]- ديوان أبي فراس الحمداني، ص: 33

ومن قبله كان حسان رضي الله عنه قد أورد مثل الكلب لإبراز بعض الخصال الرذيلة حيث يقول:

ولا من يملأ الشيزى، ويحمى إذا ما الكلب أحجره الضريب[2]

ومثل قوله رضي الله عنه:

كم من كريم يعض كلب مئزره ثم يفـرّ إذا ألقـمته الحـجرا[3]

وقال أمية بن أبي الصلت:

تبارى الريح مكرمة وجودا إذا ما الكلب أحجره الشتاء[4]

ويُعلم من الأنماط الشعرية المذكورة أن الكلب كان يمثل في الهجاء المقذع ولإظهار الأغراض الدنيئة ولكن التمثيل الذي قدمه أبو فراس أشد في القذع والمرارة واستخدمه سببا للأعداء وسبب هذا لأن الإسلام عرضه لتمثيل الخصال القبيحة وكما قال الله تعالى: (**فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ الْكَلْبِ، إِنْ تَحْمِلْ عَلَيْهِ يَلْهَثْ أَوْ تَتْرُكْهُ يَلْهَثْ**)[5] فصار الكلب تمثيلا للحرص والاحتقار عند الناس، فلذلك استعاره أبو فراس لأشد الهجاء.

أسلوب مبدع في الهجاء

وقال أبو فراس يصور الحرب بشكل إبداعي:

---

[1]- قصة علي بن جهم مع المتوكل نشر في مجلة العربية، عدد(250)، ذوالقعدة-الكويت، 1418هـ، ص: 58

[2]- شرح ديوان حسان بن ثابت للبرقوقي، ص: 58

[3]- المرجع السابق، ص: 225

[4]- الأغاني، لأبي الفرج الإصفهاني: 2/ 498

[5]- الأعراف، رقم الآية: 176

فَسَلْ بَرْدَسًا عَنَّـا أَخَاكَ وَصِهْرَهُ فَسَلْ آلَ بَرْدَالِيسَ أَعْظَمَكُمْ خَطْبَا

وَسَلْ قُرْقُوَاسًا وَالشَّمِيْشَقَ صِهْرَهُ وَسَلْ سِبْـطَهُ الْبِطْرِيقَ أَثْبَتَكُمْ قَلْبَا[1]

شرح الكلمات: بردسا: اسم والد الدمستق الحاكم الرومي، آل برداليس: الروم المنسوبون إلى بردس، قرقواس والشمشيق: من قواد الروم، البطريق: وجيه الروم.[2]

في هذا البيت من شعر أبي فراس تبدو العواطف الشعبية وحماس بالغ في تصوير انتصارات سيف الدولة على الروم، وكان أبو فراس دائما في مقدمة جيشه، وانتصر سيف الدولة على الروم بمشاركته النشيطة في كثير من المعارك، ولا جدال فيه براعة التصوير للحرب حيث إنه ذكر أسماء القواد الروميين بالتوالي، مع ذلك يُعدّ هذا تكرارا مملاّ كما قوله:

وسل آل بهـرام وآل بلنـــطس وسل آل منوال الجحاجحة الغلبا[3]

وسل بالبرطسيس العساكر كلها وسل بالمنسطرياطس الروم و العربا[4]

آل بهرام وآل بلنطس وآلمنوال: من أمراء الروم وكبرائهم، الجحاجحة: الأبطال، الغلب: الشجعان.[5] وكذلك يُرى فيها التكرار الممل ولكن الشاعر يظهر ما في قلبه من الحماس الزائد ويقدم تصوير الحرب في صورة مبدعة جميلة قل مثيله عند الشعراء الآخرين من المتقدمين والمعاصرين.

---

[1] – ديوان أبي فراس الحمداني، ص: 36

[2] - المرجع السابق

[3] – ديوان أبي فراس، ص: 37

[4] – المرجع السابق، ص: 3

[5] - المرجع السابق

التمثيل القرآني

وقال يصف الحرب وفيه الفكرة القرآنية:

هُمْ يُطْفِئُونَ الْمَجْدَ وَاللهُ مُوقِدٌ وَكَمْ يُنقِصُونَ الفَضْلَ وَاللهُ وَاهِبُ[1]

يقول فيه: تتكاثر حول الأعداء من محارب، يريدون أن يطفئوا شعلتي، ولكن الله يأبى إلا إبقاءها في أعلى الدرجات. وقال الله تعالى:(**يُرِيدُونَ لِيُطْفِئُوا نُورَ اللهِ بِأَفْوَاهِهِمْ، وَاللهُ مُتِمُّ نُورِهِ وَلَوْ كَرِهَ الكَافِرُونَ**)[2]. قد اقتبس أبو فراس من الفكرة القرآنية، وقدمها في شعره.

التصوير المبدع للحرب

وقال أبوفراس يصف الحرب تصويرا إبداعيا:

بِجَيْشٍ جَاشَ بِالْفُرْسَانِ حَتَّى ظَنَنْتَ الْبَرَّ بَحْرًا مِنْ سِلَاحِ[3]

في هذا البيت يصف أبو فراس الحرب وصفا إبداعيا حيث إنه يمدح قوة جيش سيف الدولة وشوكته بـ" بحر من السلاح"، فلا جدال هذا من أروع التشبيه الذي أتى به الحمداني لوصف الحرب وابتكر في تصويره ويدل على اتساع الحرب وبأس جيش سيف الدولة، وقليل من الشعراء الذين استخدموا البحر في وصف الحرب كما استعار أبو تمام "البحر" في وصف الحرب حيث يقول:

---

[1]- المرجع السابق، ص: 48

[2]- سورة الصف، رقم الآية: 8

[3]- المرجع السابق، ص: 85

كانت من الدم قبل ذاك مفازة غورا فأمست وهي منه معين

بحرا من الهيجاء يهفو ماله إلا الجناجن والضلوع سفين[1]

مع أن أبا تمام استخدم تشبيه البحر لوصف الحرب ولكن أبا فراس أخذ منه وابتكر فيه وجاء بتشبيه بحر من السلاح بدلا من أن يأتي ببحر من الدم.

الابتكار في التشبيه

وقال أبو فراس يصف الحرب تصويرا مبتكرا:

وَأَلْسِنَةٍ مِنَ الْعُذْبَاتِ حُمْرٍ تُخَاطِبُنَا بِأَفْوَاهَ الرِّمَاحِ[2]

العذبات: الأغصان أو أعواد الرماح.

في هذا البيت يصور أبو فراس الحرب تصويرا رائعا حيث يقول إن أعواد الرماح أصبحت حمرا، وهذا يدل على سفك دماء الأعداء بكثرة وفيه قول عمرو بن كلثوم:

وكنا نورد الرّايات بيضا ونصدرهن حمرا قد روينا[3]

فليس من المستغرب أنه أخذ الفكرة من شعر ابن كلثوم، وكان هو شاعرا فارسا يحب تقاليد الفروسية ويستذكر المآثر في أبياتهم، ولكنه أضاف فيه بقوله " تخاطبنا بأفواه الرماح".

---

[1]- ديوان أبي تمام: 312/1

[2]- ديوان أبي فراس، ص: 80

[3]- ديوان عمرو بن كلثوم، ص: 71

الفصل السادس

المقارنة العامة بين الشاعرين

يشتمل هذا الفصل على الموضوعات التالية:

-الانطباعات الفلسفية

-الإسراف والمبالغة في الوصف

-التعقيد المعنوي في شعرهما

-ذكر شعائر النصارى

-التشبيه الدقيق

-الأثر الثقافي

-الاتساع الفكري

-الآثار الدينية

بعد دراسة شعر المتنبي وأبي فراس وصلنا إلى نتيجة أن المتنبي يفوق معاصره في عملية الابتكار والإبداع، وهو شاعر الحكم والأمثال والإبداع في وصف مواقف القتال[1] وكان يأخذ التشبيهات والأفكار من المتقدمين ومن التراث القديم، ثم يعرضها في ثوب جديد كما يصف كرامة الموت في الحرب:

إِلَى أَيِّ حِينٍ أَنتَ فِي زِيِّ مُحْرِمٍ وَحَتَّى مَتَى فِي شِقْـــوَةٍ وَإِلَى كَـــمِ

وَإِلَّا تَمُتْ تَحتَ السُّيُوفِ مُكَرَّمًا تَمُتْ وَتُقَـــاسِي الذُّلَّ غَيرَ مُـــكَرَّمِ

فَثِبْ وَاثِقًا بِاللهِ وَثْبَـــةَ مَاجِدٍ يَرَى الْمَوتَ فِي الْهَيجَا جَنَى النَّحْلِ فِي الفَمِ[2]

ولكن المتنبي قد ابتكر فيه وشبه الموت بالعسل في الفم وظهر فيه توكّله على الله، ومع ذلك يظهر فيه تحرّره عن القيود الشرعية، وسوء تديّنه وإسرافه على الشعائر الدينية فقد استحقر الإحرام وجعله شقوة للمحرم، في المقابل إن أبا فراس يكرم الشعائر الدينية ويرفع شأنها حيث أنه يقول في بعض أبياته وهو في السجن مستغيثا به أن يفدي له ويتوسل بالإسلام والقرابة وهو يقول:

فَإِن لَـمْ يَكُـنْ وُدٌّ قَدِيمٌ نَعُدُّهُ وَلَا نَسَبٌ بَينَ الرِّجَالِ قِرَابُ

فَأَحْوَطَ لِلإِسْلَامِ أَن لَّا يُضِيعَنِي وَلِيَ عَنـكَ حَوطَةٌ وَ مَنَابُ[3]

---

[1]- تاريخ النقد الأدبي عند العرب، المؤلف: د. إحسان عباس، ص: 597

[2]- ديوان المتنبي، محمد حداش، ص: 14

[3]- ديوان أبي فراس الحمداني، ص: 44

ففيه حث كبير لسيف الدولة على إطلاق سراحه وإنقاذه من السجن، وتلمح فيه العواطف الصادقة لمجاهد في سبيل الله ومقاتل الإسلام، فلا منازع أنه يفوق المتنبي في صدق مشاعره لأنه كان صاحب السيف، وخاض في المعارك، وأما المتنبي فله فضل عليه لبراعة التصوير والابتكار في المعنى والأسلوب الرائع في رسم حوادث الحرب والخيال الرفيع، وظل المتنبي دائما في السعي لإتيان التشبيهات الغريبة والمعاني النادرة، ولأجل ذلك أورد في كلامه التراكيب الغريبة والمعاني النادرة ما سبقه إليها أحد، وهذا ما يدل على عبقريته وعقله النافذ.

وأما قرينه أبو فراس الحمداني، فلا يخلو كلامه من الابتكار ولكنه أقل في هذه الخصيصة بالنسبة للمتنبي، مع ذلك أنه أيضا ابتكر في التركيب عندما وصف الخيل وهو يقول:

وَقَائِدُهَا إِلَى ٱلْغَمَرَاتِ شُعْثًا بَنَاتِ السَّبْقِ تحتَ بَنِي الْكِفَاحِ[1]

فيراد ببنات السبق: الخيل العاديات، وبني الكفاح: المقاتلون، فيأتي بتركيبين جديدين في البيت الشعري الواحد.

الانطباعات الفلسفية:

هي سمة بارزة في شعر المتنبي لأن في طبعه ميلا نحو الفلسفة، وقد نشأ في عصر التقدم والازدهار في العلوم والفنون، وتغلغلت الفلسفة اليونانية آنذاك، وتأثر بها المتنبي تأثرا كبيرا، وكانت له صحبة أهل العلم والفن في مجتمع التقت فيه الثقافات المتنوّعة وفتح باب العلوم التي وردت من الأمم الأخرى كالفرس والهند واليونان، فتوفرت له العناصر المطلوبة لتثقيفه، وتوليد الأفكار المبتكرة في ذهنه، وطرأ الأفكار النادرة على باله، حيث يقول د. يحي شامي عن العصر الذي

[1]- ديوان أبي فراس الحمداني، ص: 84

عاش فيه المتنبي:" وهو من أزهى القرون للدولة العباسية في العلوم العقلية والنقلية والفلسفية والكلامية واللغوية والأدبية، وفي الأخذ بأسباب الحضارة والاجتماع."[1] قد تداولت العلوم الفلسفية في المجتمع العربي، ومن الطبيعي أن يتأثر المتنبي بهذا التيار الفلسفي تأثرا عميقا الذي مهّد له طريقا إلى الابتكار والتجدد في الشعر وساعده فيه الذهن المتوقد والذكاء الخارق والطبع المضطرب، وفي التالي بعض نماذج كلامه تدل على الظاهرة الفلسفية، مثل قوله:

وَكَانَ ابْنَا عَدُوٍّ كَاثَرَاهُ لَهُ يَاءَيْ حُرُوفِ " أُنَيسِيَانِ"[2]

انظروا إلى الأسلوب الفلسفي الدقيق في الشعر الذي لايُفهم إلا بعد تفكير عميق، و"أنيسيان" مصغر إنسان وهو من شواذ التصغير، ويتكون " إنسان" من خمسة أحرف، وهو مكبّر، فإذا صغّرتَه و قلتَ" أنيسيان" زاد عدد حروفه وصغر معناه، هو يقول مخاطبا سيف الدولة: عدوك الذي له ابنان وكاثراك بهما، كان زائدين في عدده، ناقصين من حسبه وفخره بأن يكونا ساقطين خسيسين كياءَي " أنيسيان" يزيدان في عدد الحروف وينقصان من معناه. وكذلك مثل قوله: .

أَ عَزمِي طَالَ هذَا اللَّيلُ فَانظُرْ أَ مِنكَ الصُّبحُ يَفْرَقُ أَن يَؤُوبَا[3]

فيه أيضا يورد المتنبي المعنى الفلسفي الدقيق حيث إنه يخاطب الليل وجعل الصبح كائنا حسيا يشعر ويخاف من غارة الشاعر الذي يكاد يشنّها بالفجر، فهذا التمثيل الدقيق ليس إلا من نصيب شاعر ينظر إلى الأشياء بتعمّق وإمعان، وكذلك قوله في وصف الفرس:

---

[1]- شرح ديوان المتنبي، التعليق: د. يحيى شامي، ط:1، 1997م، دار الفكر العربي، بيروت، ص:5

[2]- ديوان المتنبي، محمد خداش، ص: 454

[3]- ديوان المتنبي، محمد خداش، ص: 163

وَزَادَ فِي الْحِذْرِ عَلَى الْعِقَائِقِ يُمَيِّزُ الْهَـزْلَ مِنَ الْحَقَـائِقِ[1]

والعقائق: جمع عقعق، وهو ضرب من العقبان يُضرب به المثل في الحذر فيقال: أحذر من العقعق، وقوله يميز الهزل من الحقائق، يريد أنه(أي الفرس) إذا أحضره صاحبه- أي ركضه- فطن إلى غرضه وعرف هل يريد صاحبه اللعب أو الجد؟ وبعبارة أخرى هل يريد الميدان أو الغارة؟ فلعبَ وجدَّ حسب مراد صاحبه، في هذا البيت قد جعل الفرس كصاحب الحس والشعور مثل الإنسان، وهذا من ابتكاره وتظهر فيه النزعة الفلسفية، ومثل قوله في وصف الرماح:

وَيَرْجِعُهَا حُمْراً كَأَنَّ صَحِيحَهَا يُبَكِّي دَماً مِنْ رَحـمَةِ الْمُتَدَقِّقِ[2]

يريد أن الرماح في القتال متلطخة بالدماء تقطر منها، كأن صحاحها تبكي على ما تكسر منها من شدة الطعن رثاء لها ورحمة، ومثل قوله:

إِذَا مَا صِرتَ فِي آثَارِ قَومٍ تَخَاذَلَتِ الْجَمَاجِمُ وَالرِّقَابُ[3]

أي أن الرؤوس تتبرأ من الأعناق، والأعناق تتبرأ منها خوفا منك، فلا يبقى بينهما تعاون.

وأما قرينه ومعاصره أبو فراس فهو أبعد عن التعمق الفلسفي والمعنى الدقيق المعقد، بل تتدفق في داخله العواطف الصادقة ويتصف شعره بالحماس البالغ، فهو يبعد بالتعبير الفلسفي الدقيق الذي لا يلائم طبعه المتحمس والشجاعة والفروسية وكأن أشعاره هجوم مباشر على الأعداء، ومثله قوله في الهجاء:

---

[1]- ديوان المتنبي، محمد خداش، ص: 194

[2]- ديوان المتبي، محمد خداش، ص: 285

[3]- ديوان المتنبي، محمد خداش، ص: 314

لَقَدْ جَمَعَتْنَا الْحَرْبُ مِنْ قَبْلُ هذِهِ فَكُنَّا بِهَا أسدًا، وَكُنتَ بِهَا كَلْبَا[1]

ومثل قوله:

وِسَلْ صِيدَكُمْ آلَ الْمَلَايِينَ أَنَّنَا فَهَبِنَا بِبِيضِ الْهِندِ عِزَّهُمْ نَهْبَا[2]

ومثل قوله:

فَسَلْ بَرْدَسًا عَنَّا أَخَاكَ وَصِهْرَهُ وَسَلْ آلَ بَرْدَالِيسَ أَعْظَمَكُمْ خَطْبَا[3]

ومثل قوله:

بِأَقلَامِنَا أُحْجِرْتَ أَمْ بِسُيُوفِنَا وَأسدَ الشَّرَى قُدْنَا إِلَيكَ أَمِ الْكُتُبَا[4]

الإسراف والمبالغة في الوصف:

المبالغة في الوصف سمة شائعة في كلام المتنبي، ويميل إلى الإسراف، مثل قوله في وصف مشهد الحرب:

يَعَافُ خِيَامَ الرِّيطِ فِي غَزَوَاتِهِ فَمَا خَيمُه إلا غبارُ حُرُوبِ[5]

ومثل قوله في وصف قلعة مرعش- من بلاد الروم- التي فتحها سيف الدولة:

فَأَضْحَتْ كَأَنَّ السُّورَ مِنْ فَوقِ بَدْئِهِ إِلَى الْأَرْضِ، قَدْ شَقَّ الْكَوَاكِبَ وَالتُّرْبَا[1]

---

[1]- ديوان أبي فراس الحمداني، ص: 36

[2]- ديوان أبي فراس الحمداني، ص: 37

[3]- المرجع السابق

[4]- المرجع السابق، ص: 37

[5]- شرح ديوان المتنبي، 1/ 179

ومثل قوله في وصف الأداة:

إِذَا نَكِبَتْ كِنَانَتُــهُ اسْتَبَنتَا بِأَنْصُــلِهَا لِأَنْصُــلِهَا نُدُوبَــا

يُصِيبُ بِبَعْضِهَا أَفْوَاقَ بَعْضٍ فَلَــوْلَا الْكَسْرُ لَاتَّصَلَتْ قَضِيبَا[2]

فهذا البيت أوضح مثال لإسرافه في الوصف حيث إنه وصف رمي الممدوح حيث سهامه تنطلق على خط واحد ويدرك بعضها بعضا غير أن يميل عنه حتى تكاد تكون قضيبا لاستقامة هدفه، ومثل قوله في وصف الأداة وأسرف فيه:

فَلَمَّا دَنَا أَخْفَى عَلَيهِ مَكَانَهُ شُعَاعُ الْحَدِيدِ البَارِقِ الْمُتَأَلِّقِ[3]

عقول فيه لما قرب رسول الروم إلى سيف الدولة، أعشى بصره لمعان الحديد والسلاح حتى لم ير مكان سيف الدولة ولم يبصر موضعه لشدة لمعان الأسلحة حواليه، ويرى في هذا البيت إسراف واضح والمبالغة خلاف الحقيقة، فهذه سمة بارزة في كلام المتنبي، وكذلك شعره في وصف طعنة سيف الدولة وصفا لا يلائم الواقع وهو يقول:

وَإِذَا حَاوَلَتْ طِعَانَكَ خَيلٌ أَبْصَرَتْ أَذْرُعَ القَنَا أَمْيَالَا[4]

ومثل قوله في وصف الخيل أو تصويرا لشدة الحرب:

حَتَّى وَرَدْنَ بِسِمْنِينٍ بُحَيرَتَهَا تَنِشُّ بِالْمَاءِ فِي أَشْدَاقِهَا اللُّجُمُ[1]

---

[1]- المرجع نفسه : 3 / 134

[2]- ديوان المتنبي، محمد خداش، ص: 165

[3]- ديوان المتنبي، محمد خداش، ص: 286

[4]- شرح ديوان المتنبي: 3/ 261

يبدو فيه الإسراف حيث يقول إن لجم الخيل أصبحت حارة في شدة الحرب حتى صارت تستحر مثل الفحم، وإذا أدخلت في البحر يغلي ماءه، وهذا الإسراف لا يلائم الواقع ويعارض الحقائق وكذلك قوله في وصف الخيل:

يَذْرِي اللُّقَانُ غُبَارًا فِي مَنَاخِرِهَا وَفِي حَنَاجِرِهَا مِنْ آلِسٍ جُرَعُ[2]

يقول إن الخيل في مواصلة السير لم تستقر لشرب الماء من نهر آلس، بل تختلسه اختلاسا منه حتى بلغت اللقان- بلدة للروم تقع في مسافة بعيدة من آلس- والماء في حلوقها، وقد وصل في مناخرها تراب هذا الموضع. وهذا البيت أيضا من إسرافات المتنبي ويخالف الواقع، فنستطيع القول أن الإسراف والمبالغة هي ظاهرة سائدة في شعره.

وأما معاصره أبو فراس فإنه وإن أسرف فإن إسرافه أقرب إلى الواقع، مثل قوله في مدح بني حمدان:

وَنَحْنُ أُنَاسٌ لَاتَوَسُّطَ عِندَنَا لَنَا الصَّدْرُ دُونَ ٱلْعَالَمِينَ أَوِ ٱلْقَبْرُ[3]

ومثل قوله مادحا جيش الممدوح:

بِجَيشٍ جَاشَ بِالْفُرْسَانِ حَتَّى ظَنَنْتَ البَرَّ بَحرًا مِنْ سِلاَحِ[4]

فإسراف أبي فراس يختلف تماما عن إسراف المتنبي، بل هذه صفة عامة عند الشعراء، وأنه تابعهم فيه، وكان دائما يبرّ بقوله لكونه فارسا مغوارا ومقتحما في الحروب، وكثيرا ما بعث أميرا

---

[1]- ديوان المتنبي، محمد خداش، ص: 349

[2]- ديوان المتنبي، محمد خداش، ص: 259

[3]- ديوان أبي فراس الحمداني، ص: 130

[4]- ديوان أبي فراس الحمدانين ص: 80

على الجيش وفتح البلاد وحاصر الأمصار وصرح بذلك الثعالبي في يتيمة الدهر" وكان سيف الدولة يعجب جدا بمحاسن أبي فراس وتميزه بالإكرام في سائر قومه"[1] خاصة وأن شعره يوافق أفعاله ويقدم تصويرا صادقا لأحواله، وهو بعيد عن الغلو المسرف الذي وجد في شعر المتنبي.

التعقيد المعنوي في شعرهما :

التعقيد المعنوي من أبرز الخصائص لشعر المتنبي، فيضطرب به الكلام ويلتبس المعنى المراد على السامع أو القاري، ويشعر من يقرأ كلامه أن هذه نزعة سائدة فيه، وقلما يخلو بيت من أبياته من هذه النزعة، وافتخر هو بذلك حيث قال:

شَاعِرُ الْمَجْدِ خِدْنُهُ شَاعِرُ اللَّفْـ ظِ كِلَانَا رَبُّ الْمَعَانِي الدِّقَاقِ[2]

فلذا قد يدخل الناس في التباس حينما يقرأون شعره، وفي التالي بعض النماذج من شعره، وقال عندما خرج الإمام الخارجي على سيف الدولة مذمما له:

وَجَيشُ إِمَامٍ عَلَى نَاقَةٍ صَحِيحِ الْإِمَامَةِ فِي الْبَاطِلِ

فَأَقْبَلْنَ يَنْحَزْنَ قُدَّامَـهُ نَوَافِـرَ كَالنَّحْـلِ وَالْعَـاسِلِ[3]

انظر إلى الجملة "صحيح الإمامة في الباطل" وهو يذمه، تشير إلى المعنى المعقد والغامض في الشعر لأن الرجل بصحة الإمامة كيف يكون إمام المبطلين؟

1- يتيمة الدهر لأبي منصور الثعالبي، شرح و تحقيق: الدكتور مفيد قميحة، دار المكتب العلمية- بيروت، 1403هـ ، ص: 58

2_ شرح ديوان المتنبي: 3/ 110

3- ديوان المتنبي، محمد خداش، ص: 227

ومثل قوله:

عَلَى الفُرَاتِ أَعَاصِيرٌ وَفِي حَلَبٍ تَوَحُّشٌ لِمُلْقَى النَّصْرِ مُقْتَبَلِ[1]

ويريد بملقى النصر: سيف الدولة، انظروا في البيت فترون فيه ضعف التأليف ما يثير الغموض والإبهام في الشعر، فلا يمكن فيه الوصول إلى المعنى إلا بعد إلقاء النظر فيه، وإنه قال مخاطبا سيف الدولة إن الرياح تثير الغبار لمكان جيش أخيك ناصر الدولة، وفي حلب وحشة لأنك بعدت عنها، ومثل قوله وهو يمدح سيف الدولة:

وَنُصْفِي الَّذِي يُكْنَى أَبَا الْحَسَنِ الْهَوَى وَنُرضِي الَّذِي يُسَمَّى الْإِلهَ وَلَا يُكْنَى[2]

ويريد بإبي الحسن : سيف الدولة، لأن اسمه علي، والعرب- كما قال العكبري- تكني أولادها وهم صغار تفاؤلا أن يصيروا آباء، فيوجد فيه من الأثر التقليدي، فلا يُفهم مراده خلال الأفكار المفككة إلا بعد تفكير عميق، وهذا أيضا من غوامضه، ومثل قوله:

وَلَو غَيرُ الأَمِيرِ غَزَا كِلَابًا ثَنَاهُ عَنْ شُمُوسِهِمِ ضَبَابُ[3]

وكني بالشموس عن النساء وبالضباب عن غبار الحرب أو المحاماة دونهم، لأن الضباب يستر الشمس ويحول دون النظر إليها، أنظر فيه التعقيد والفلسفة معا، فلا يصل الإنسان إلى مفهوم الشعر إلا بعد التعمق والإمعان.

---

[1]- شرح ديوان المتنبي، ص: 3/ 164

[2]- شرح ديوان المتنبي: 4/ 299

[3]- ديوان المتنبي، محمد خداش، ص: 315

تذكرة شعائر النصارى وأسماء قوادهم وأمصارهم:

كلا الشاعرين التحق ببلاط سيف الدولة الذي كان أكثر الأوقات مشغولا بالحروب مع الروم، فكلاهما مدحه وذكر شجاعته في المعارك، وأكثر ذكر بلاد الروم وقوادهم وشعائر النصرانية، وهذه ظاهرة مشتركة بينهما، إلا في شعر أبي فراس- على حد علمي- توجد هذه الظاهرة أكثر بنسبة شعر المتنبي، وعلى سبيل المثال قول المتنبي في مدح سيف الدولة ينوّه بانتصاره على الروم:

سَرَايَاكَ تَتْرَى وَالدُّمُسْتُقُ هَارِبٌ وَأَصحَابُهُ قَتْلَى وَأَموَالُهُ نُهْبَى[1]

والدمستق: قائد الجيش الرومي، وقال يصور الحرب مع الروم ويذكر شعائر النصارى:

وَخَلَّى ٱلْعَذَارَى وَالبَطَارِيقَ وَالقُرَى وَشُعْثَ النَّصَارَى وَالْقَرَابِينَ وَالصُّلْبَا[2]

والبطاريق، جمع بطريق، وهم قواد الروم، والشعث، جمع أشعث، وهو مغبرّ الرأس، والمراد بهم الرهبان، والصلب: جمع صليب، ومثل قوله:

رَضِينَا وَالدُّمُسْتُقُ غَيرُ رَاضٍ بِمَا حَكَمَ القَوَاضِبُ وَٱلْوَشِيجُ[3]

والدمستق: من قواد الروم،

ومثل قوله:

حَتَّى قَامَ عَلَى أَرْبَاضِ خَرْشَنَةٍ تَشْقَى بِهِ الرُّومُ وَالصَّلْبَانُ وَالْبِيَعُ[1]

---

[1]- شرح ديوان المتنبي، ص: 188/1

[2]- المرجع السابق: 1/ 189

[3]- ديوان المتنبي، محمد خداش، ص: 257

فيه اسم بلد الروم وتذكرة معابدهم، ومثل قوله في وصف الخيل:

عَصَفْنَ بِهِمْ يَومَ اللُّقَانِ وَسُقْنَهُمْ بِهِنزِيطٍ، حَتَّى ابْيَضَّ بِالسَّبْيِ آمِدُ[2]

اللقان والهنزيط من أمصار الروم، وآمد بلد بالثغور ما يلي الروم منها وديار بكر،[3] فالأمر جدير بالملاحظة أنه يكثر من ذكر أمصار الروم في أبياته ما يدل على اتساع فكره ورفعة خياله، ومثل قوله:

أَخُو غَزَوَاتٍ مَا تُغِبُّ سُيُوفُهُ رِقَابَهُمْ إِلَّا وَسَيحَانُ جَامِدُ[4]

سيحان: نهير ببلاد الروم.[5] ومثل قوله:

لَا أَلُومُ ابْنُ لَاوِنٍ مَلِكِ الرُّو مِ، وَإِنْ كَانَ مَا تَمَنَّى مُحَالًا

يَجْمَعُ الرُّومَ وَالصَّقَالِبَ وَالْبُلْغَرَ فِيهَا وَتَجْمَعُ الْآجَالَا[6]

ذكر فيه ملك الروم باسمه"ابن لاون"والشعوب الرومية من الصقالب والبلغر ما يدل على معرفته بهم.

وأما معاصره أبوفراس، فلا يتخلف عن معرفته لبلاد الروم وأسماء قوادهم وشعائرهم لكونه مبارزا متواصلا للروم، وقال في بعض أبياته يذكر الأماكن الرومية:

---

[1]- المرجع السابق، ص: 259

[2]- شرح ديوان المتنبي: 1/ 397

[3]- شرح ديوان المتنبي: 1/ 397

[4]- شرح ديوان المتنبي: 1/ 398

[5]- المرجع السابق: 398/1

[6]- المرجع السابق: 3/ 257

وَنَكَّبْنَا الْفُرُقْلُسَ لَمْ تَرِدْهُ كَأَنَّ بِنَا عَنِ الْمَاءِ اجْتِنَابَا

وَجُزْنَ الصَّحْصَحَانَ يَخُدْنَ وَخْدًا وَيَجْتُبْنَ الْفَلَاةَ بِنَا اجْتِيَابَا

وَمِلْنَ إِلَى الْغُوَيرِ وَسِرْنَ حَتَّى وَرَدْنَ عُيُونَ تَدْمُرْ وَالْجَبَابَا[1]

الاسماء التي ذكرها أبو فراس في الأبيات السابقة هي: الفرقلس والصحصحان والغدير وتدمر، ومن قوله أيضا يبارز فيه أمراء الروم:

وَسَلْ آلَ بُهْرَامَ وَآلَ بَلَنطَسَ وَسَلْ آلَ مِنْوَالَ جَحَاجِحَةَ الْغُلْبَا

وَسَلْ بِالبَرْطِسِيسِ الْعَسَاكِرَ كُلَّهَا وَسَلْ بِالْمِنْطَرِيَاطِسِ الرُّومَ وَالْعُرْبَا[2]

آل بهرام وآل بلنطس وآل منوال وغيرهم من أمراء الروم وكبرائهم، قد ظهر من السطور السابقة أن المتنبي وأبا فراس لم يخل كلامهما من ذكر الروم وقوادهم وفيما يتعلق بهم، وهذه ظاهرة مشتركة بينهما.

التشبيه الدقيق في شعر المتنبي:

هذه سمة بارزة في شعر المتنبي حيث أنه قيل له" رب المعاني الدقاق"[3] ويصدق فيه هذا القول حيث أنه قد أورد في كلامه الدقائق وعرف بالعويص، مثل قوله:

وَكَانَ ابْنَا عَدُوٍّ كَاثَرَاهُ لَهُ يَاءَيْ حُرُوفِ أُنَيسِيَانِ[4]

---

[1]- ديوان أبي فراس الحمداني، ص: 33

[2]- ديوان أبي فراس الحمداني، ص: 37

[3]- المتنبي، المؤلف: محمود شاكر، ص: 4

[4]- ديوان المتنبي، محمد خداش، ص: 454

فانظروا كيف عمل فيه المتنبي عملا دقيقا، وقد حظي منه نصيب وافر، ولا يُفهم مراده إلا بعد دقة النظر والإمعان فيه، وكذلك قوله :

يَقْصُمْنَ فِي مَثَلِ المُدَى مِنْ بَارِدٍ يَذَرُ ٱلْفُحُولَ وَهُنَّ كَالْخِصْيَانِ[1]

فيه دقة وروعة وجمال وخير تمثيل لدقة التصوير في الحرب التي دارت بين سيف الدولة والروم، وقد سبق المتنبي بهذا النوع من التصوير الحربي، يصور فيه نهر الروم البارد ويصطدم الريح كالمدى لبرودته حتى تكون الفحل كالخصي لتقلّص خصيته لشدة البرد، فيبلغ المتنبي في هذا الشعر إلى الغاية في دقة وجمال.

الأثر الثقافي في شعر المتنبي وأبي فراس الحمداني:

عاش كلا الشاعرين في عصر الازدهار والتقدم وتنفس في البيئة الثقافية التي تغلغلت فيها العلوم والفنون وكان فيها التأثير المتواصل من قِبل الثقافات المتنوعة في كلامهما، فمن الطبيعي أن يظهر هذا الأثر في شعرهما. وأما المتنبي فقد استقى من الثقافة حظا وافرا قياسا بمعاصره أبي فراس الحمداني، فقد كان طالبا مولعا بالكتب، راغبا فى العلوم والفنون، وأتيحت له فرصا للقراءة الواسعة واصطحب العلماء فنضجت قريحته وترسخت علومه وصار عقله مصقلا، وترعرع في الثقافات المتنوعة، وعصر الازدهار العلمي، والتقدم الحضاري، حيث إن العصر العباسي الثاني يختلف تماما عن العصر الجاهلي البسيط، وقد تلمح الآثار الثقافية في شعره، كقوله:

وَكُلُّ فَتًى لِلْحَرْبِ فَوقَ جَبِينِهِ مِنَ الضَّرْبِ سَطْرٌ بِالْأَسِنَّةِ مُعْجَمُ[2]

[1]- ديوان المتنبي، محمد خداش، ص: 344

[2]- ديوان المتنبي، محمد خداش، ص: 253

فيه براعة التصوير والتشبيه النادر الدقيق، وضرب السيف يشبه بالسطر وطعن الأسنة يشبه بالإعجام، وهذا من الأثر الثقافي، وكذلك شعره في الفخر والحماسة لا يخلو من تذكرة القرطاس والقلم، حيث أنه يقول:

فَالْخَيلُ وَاللَّيلُ وَالْبَيدَاءُ تَعْرِفُنِي وَالسَّيفُ وَالرُّمحُ وَالْقِرطَاسُ وَالْقَلَمُ[1]

وأما أبوفراس، فهو أقل منه درجة في العلم، حيث أنه ما أتيحت له فرصة طويلة للحصول على العلوم كما أتيحت لقرينه المتنبي لتثقيف نفسه إلا أن الحروب هذبته في صورة قائد الحرب الباسل والفارس المغوار الذي لا قرار له إلا في رحاب المعركة، وقد تلمح في أبياته بعض الملامح الثقافية وإن كانت ضئيلة، وقال في بعض أبياته يساوي الخيل والقنا بالكتب والأقلام حيث يقول:

هَذَانَا غَرِيبُ شُزَّبُ الْخَيلِ وَالقَنَا لَنَا كُتُبٌ وَالْبَاتِرَاتُ رَسَائِلُ[2]

ومثل قوله:

بِأَقْلَامِنَا أَحْجَرْتَ أَمْ بِسُيُوفِنَا وَأَسَدُ الشَّرَى قُدْنَا إِلَيكَ أَمِ الْكُتُبَا[3]

نلاحظ من خلال هذه الأبيات أن المقارنة جرت ما بين أقلام والسيوف، والفرسان والكتب، لأهمية الأقلام والكتب للحياة الثقافية في ذلك العصر وقد آثر السيوف والفرسان لأنه عاش طول الحياة في ساحات الحروب.

---

[1] – ديوان المتنبي، محمد خداش، ص: 274

[2] – ديوان أبي فراس الحمداني، ص: 236

[3] – المرجع السابق، ص: 37

الاتساع الفكري عند الشاعرين:

لا ريب في أن الشعر العربي قد مر بعدة مراحل من التطور عبر العصور، وخرج من نطاق الحياة القبلية إلى الأفق الواسع، واتسع نطاق فكره مع الامتداد في ثغور المملكة الإسلامية، وبدأ احتكاك العرب بالشعوب المختلفة والثقافات المتنوعة والآداب الأجنبية، وقد أحدث هذا الأمر التغيير الفكري لدى الشاعر والأديب، فبدأوا ينشدون الشعر في الذود عن الشعب ويفتخرون دون القبيلة ويدافعون عن العرب في مواجهة العجم و عن الإسلام في مواجهة الكفر، وقد ترسخت هذه الظاهرة في عصر المتنبي وأبي فراس،فتأثرا بها، ويقول المتنبي:

رَضِينَا وَالدُّمُسْتُقُ غَيرُ رَاضٍ بِمَا حَكَمَ ٱلْقَوَاضِبُ وَالْوَشِيجُ

فَإِنْ يُقْدِمْ فَقَدْ زُرْنَا سَمَندُو وَإِنْ يُحْجِمْ فَمَوعِدُنَا الْخَلِيجُ[1]

وسمندو: القلعة الرومية، هي المعروفة اليوم ببلغراد، والخليج: يراد به الخليج قسطنطنية، نلاحظ من خلال هذه الأبيات الشعرية التي ذكر فيها المتنبي أسماء بعض الأماكن البعيدة عن الأراضي العربية أن المتنبي كان واسع المعرفة ويظهر فيه الاتساع الفكري لديه حيث إنه يذكر البلاد تقع في أقصى الحدود، وكذلك قوله:

فالعرب منه مع الكدري طائرة والروم طائرة منه مع الحجل[2]

[1]- ديوان المتنبي، محمد خداش، ص: 257

[2]- المرجع السابق، ص: 279

في هذا البيت ينوّه الشاعر بمواجهة العرب ضد الروم، وبها خرج المتنبي من الإطار القبلي والأغراض الضيقة إلى الأهداف النبيلة الرفيعة، ويمثل الأمة العربية مواجهة للأمة النصرانية، ومثل قوله:

مَلَاعِبُ جِنَّةٍ لَو سَارَ فِيهَا سُلَيمَانٌ لَسَارَ بِتَرجُمَانِ[1]

في هذا البيت يصف المتنبي وصفا مبتكرا لطبيعة المجتمع لذلك العصر وثقافة جيش سيف الدولة الذي اجتمع فيه شتى الأجناس والشعوب من الأقطار النائية المختلفة، فيتكلمون بلغاتهم، حتى لو دخل فيه سليمان عليه السلام نبي الله- مع ذلك أنه يعرف اللغات الكثيرة- ليحتاج إلى المترجم لفهم لغاتهم، فلا شك في ذلك الأمر أن هذا الوصف لم يخطر على بال شاعر جاهلي، وأما أبو فراس، فهو أيضا يميل إلى الاتساع الفكري مع ذلك أنه لم يبلغ إليه كما بلغ إليه المتنبي، فهو يقول:

إِنْ زرتُ خَرْشَنَةً أَسِيرًا فَلَكَمْ أَحَطتُ بِهَا مُغِيرًا[2]

انظر فيه الفكر الواسع قدمه أبو فراس في البيت والحماس الإسلامي يتجاوز عن إطار القبيلة والعشيرة إلى الشعب والأمة، وخرشنة من بلاد الروم وصل إليها أبو فراس أولا يحاصرها وتارة أخرى حمل إليها أسيرا.

الآثار الدينية في شعرهما:

مع بزوغ الإسلام في جزيرة العرب جعل الناس يلجأون إلى مبادئ الدين الحنيف وإلى تعليماته الحية حيث إن الآثار الدينية قد جعلت تترسخ في قلوب الناس، ومن الطبيعي قد

---

[1]- شرح ديوان المتنبي: 4/ 384

[2]- ديوان أبي فراس الحمداني، ص: 123

ظهرت هذه الآثار في الإنتاج الأدبي لشعراء ذلك العصر، فلا منازع في هذا الأمر أن القرآن الكريم والحديث الشريف قد أثرا في جملة أصناف الأدب من الشعر والنثر والخطابة عبر العصور، ولاسيما في العصر العباسي الثاني، وتأثر به كلا الشاعرين، حيث يقول المتنبي مادحا سيف الدولة:

قَلَّ نَفْعُ الْحَدِيدِ فِيكَ فَمَا يَلْقَاكَ إِلَّا مَنْ سَيفُهُ مِنْ نِفَاقِ[1]

استعمل فيه مصطلح "النفاق" الذي عرّفه الإسلام بعد دخول النفاق في أوساط المسلمين، وكثيرا ما نبّه رسول الله صلى الله عليه وسلم من هذه الرذيلة، ولا يُغفر للمنافق ولو قُتل شهيدا،"إن السيف لا يمحو النفاق"[2] وقال أيضا يمدح سيف الدولة:

عَلَى وَجْهِكَ الْمَيمُونِ فِي كُلِّ غَارَةٍ صَلَاةٌ تَوَالَى مِنْهُمُ وِسَلَامُ[3]

وهنا المراد بالصلاة والسلام: التعظيم كما يقول البرقوقي،[4] فهذا المصطلح قد ذكرها القرآن حيث قال الله تعالى: (**صَلُّوْا عَلَيهِ وَسَلِّمُوْا تَسْلِيمًا**)[5] والمتنبي قد استعمل هذا المصطلح تحت أثر القرآن، ومثل قوله:

وَكُلُّ أُنَاسٍ يَتْبِعُونَ إِمَامَهُمْ وَأَنتَ لِأَهْلِ الْمَكْرُمَاتِ إِمَامُ[6]

---

[1]- ديوان المتنبي، محمد خداش، ص: 201

2- صحيح ابن حبان بترتيب ابن بلبان، مؤلف: محمد بن حبان، الناشر: مؤسسة الرسالة- بيروت : 10/ 519

[3]- ديوان المتنبي، محمد خداش، ص: 323

[4]- شرح ديوان المتنبي: 4/ 112

[5]- الأحزاب ، الآية: 56

[6]- ديوان المتنبي، محمد خداش، ص: 323

استعمل فيه المتنبي المفهوم القرآني و أخذه من الآية: (**يَوْمَ نَدْعُوْ كُلَّ أُنَاسٍ بِإِمَامِهِمْ**)[1] وأما أبو فراس، فلا يتخلف عن معاصره في التأثر بالدين، بل يفوقه في التأثر الذي يظهر في شعره حيث إنه يقول:

فَأَحْوَطَ لِلإِسْلَامِ أَن لَّا يُضِيعَنِي وَلِيَ فِيهِ حَوطَةٌ وَمَنَابُ[2]

فيه يستعين بسيف الدولة ويتوسل بالإسلام أن يفدي له، لأنه جاهد في سبيله ضد الكفار من أهل الكتاب ما يدل على صلته بالدين، وقوله أيضا:

هُمْ يُطْفِئُونَ الْمَجْدَ وَاللهُ مُوقِدٌ وَكَمْ يُنقِصُونَ الْفَضْلَ وَاللهُ وَاهِبُ[3]

لاسيما فقد أخذ معانيه من الآية:(**يُرِيدُونَ لِيُطْفِئُوا نُورَ اللهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَاللهُ مُتِمُّ نُورِهِ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ**) [4]

ومثل قوله:

وَمَنْ كَانَ غَيرَ السَّيفِ كَافِلُ رِزقِهِ فَلِلذُّلِّ مِنهُ لَا مَحَالَةَ جَانِبُ[5]

فمفهومه من قول النبي صلى الله عليه وسلم، "جُعِلَ رِزْقِي فِي ظِلِّ رُمْحِي وَجُعِلَ الذِّلَّةُ وَالصَّغَارُ عَلى مَنْ خَالَفَ أَمْرِي".[1]

---

[1]- الإسراء، الآية: 71

[2]- ديوان أبي فراس الحمداني، ص:44

[3]- المرجع السابق، ص: 48

[4]- الصف، الآية: 8

[5]- ديوان أبي فراس الحمداني، ص: 51

الخاتمة:

تشتمل على ملخص البحث وأهم ما توصّل إليه البحث من نتائج، وبعض التوصيات:

ملخص البحث:

إن الحمد لله الذي بفضله قمت بهذا العمل المتواضع وأنا قليل البضاعة، فأشكر الله على ذلك كما ينبغي لجلال وجهه وعظيم سلطانه سبحانه وتعالى، وهو صاحب المن والعطاء. والخاتمة تشتمل على ملخص البحث وأهم نتائجه وبعض التوصيات التي اصطفيتها بعد القراءة الواسعة في هذا الموضوع، افتتحت البحث بالمقدمة وذكرت فيه ما واجهت من صعوبات وعوائق خلال كتابة البحث وما يحف به من المشقة والجهد، فما كان بد لي إلا أن أعبرها للوصول إلى كنوز المعارف ومعادن العلوم فلم أجد سبيلا إلا الكفاح المستمر والمثابرة على الطريق والصمود، ثم شرحت جوانب التقليد والابتكار في الأدب وقمت بكشف الوسائل والطرق التي تدفع موجات الابتكار في الأدب والشعر، ليشعر القارئ قيمة البحث في المقدمة تحت منظور الابتكار.

وفي التمهيد تناولت سيرة الشاعرين- المتنبي وأبي فراس- وكشفت عن الأحوال والظروف التي عاشا تحتها، والتي مهدت لهما الطريق إلى الابتكار، ولاسيما كانت في العصر العباسي المنافذ الكثيرة التي تطرقت من خلالها إلى الأفكار النادرة العجيبة، والتشبيهات المبتكرة الغريبة، ومع ذلك أوردت الآراء النقدية والتعليق الشامل من قبل كبار الأدباء والنقاد، وقدمت رأيي بعد

2- الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله صلى الله عليه وسلم، المحقق: محمد زهير بن ناصر الناصر: 7/ 405

استقراء النصوص فيما علمت حتى توضح لي خصائص كلامهما والجوانب المختلفة لشخصيتهما واضحا جليا، ثم وضحت فيه جذور العلاقة بين الشعر والحرب، ولأجل ذلك ذكرت نبذة من تاريخ الشعر اليوناني والملاحم اليونانية الطويلة مثل الإلياذة لهوميروس، وكذلك شاهنامة فردوسي بالفارسية، ومها بهارتا بالهندية، وذكرت أمثلة من الشعر الجاهلي تدل على أن الشعر له صلة وثيقة بالحرب التي تجعل الشعر أكثر تأثيرا في القلوب وأحلى على المسامع، والملاحم اليونانية أكبر نموذجا تعبر هذه الظاهرة، ثم ذكرت مفهوم الابتكار والتقليد لغة واصطلاحا مع صوره المختلفة، وراجعت القواميس وآراء الكتاب حتى يتضح مفهومه جليا، وأثبت بالبراهين الدامغة أن العصر العباسي هو عصر الابتكار والتجديد، وزمن نشوب الصراع بين الابتكار والتقليد، واندلاع الحرب بين القديم والجديد، فقد ثار الشعراء في هذا العصر على جميع الظواهر القديمة، وبدأت طبقة المحدثين من الشعراء في الظهور، وفي طليعتهم بشار بن برد، ومسلم بن الوليد، وابن المعتز، وأبو تمام، وابن الرومي وغيرهم من الشعراء المحدثين. ثم ذكرت أن الابتكار كان محمودا عند المتقدمين أيضا كما صرح بذلك ابن المعتز في مؤلفه " البديع" وأورد فيه أمثلة من القرآن والحديث النبوي الشريف ومن عهد الخلفاء الراشدين. ثم بينت أن قضية السرقات وثيقة الصلة بالابتكار وأحطتها بالشواهد بتقديم الآراء من قبل الأدباء والنقاد. ثم ذكرت بواعث الابتكار عامة وفي شعر المتنبي وأبي فراس الحمداني خاصة، وتحت هذا العنوان ذكرت منها البواعث الخارجية مثل العلوم المزدهرة، وثقافة المجتمع، والدوافع الحضارية والتمدنية، والاحتكاك الدائم للمجتمع العربي الأصيل بالشعوب المختلفة من الفرس، والترك، والحبش وغيرهم من الأمم مما أدت إلى تغيير التذوق الأدبي. ومع ذلك ذكرت البواعث الداخلية ومنها الأحوال النفسية للشاعر التي تولدت فيه بالظروف الخاصة التي عاش تحتها، والتأثير النفسي

يلعب دورا مميزا في الإنتاج الأدبي، ثم فسرت معنى التقليد لغة واصطلاحا وكما بينت سماته وأغراضه.

وفي الفصل الأول بينت جذور العلاقة بين الشعر والحرب تاريخيا، وبخاصة عند الأمة اليونانية والعربية ،وبخاصة الملاحم اليونانية الطويلة الحافلة بأحداث البطولة والفروسية، وتذكرة الشجعان والأبطال، ثم تناولت الشعر العربي الجاهلي وذكرت أهم الحروب كحرب البسوس وبعض قصص العرب الحربية التي اكتسبت شهرة واسعة، وبطولية عنترة بن شداد، فلأجل تخليد مآثرهم أوجدوا الشعر الكبير إثباتا أن الحرب لها دور مرموق في توليد الشعر، فتناولت من الشعر النموذجي الجاهلي للرثاء والهجاء والفخر وغيرها من الأغراض. ثم ذكرت بعض المعارك التي وقعت في العصر الإسلامي- عصر الخلافة وما بعدها- التي دارت بين الكفار والمسلمين، وكان المقاتلون ينشدون الأشعار المثيرة للحرب ويحثونهم على القتال، أبرزها شعر حسان الذي قاله يوم بدر، وكذلك تناولت نخبة من كلام الشعراء على مر العصور يظهر به علاقة الشعر بالحرب علاقة وثيقة .

وفي الفصل الثاني تناولت كلام الشاعرين لوصف الخيل التمست فيه وجوه الابتكار والتقليد، وأولا تناولت شعر المتنبي وعرضته للتحليل الشامل، فظهرت لي صور الإبداع والابتكار في كلامه لوصف الخيل، ثم ذكرت فيه مواضع التقليد. ثم تناولت شعر أبي فراس في وصف الخيل وعرضته للتحليل المباشر ألتمس فيه وجوه الابتكار والتقليد، فتبين لي أنه تابع المتقدمين من الشعراء في الوصف وقلما ظهر منه لون الابتكار.

وفي الفصل الثالث- الابتكار والتقليد في أدوات الحرب عند الشاعرين- أولا تناولت شعر المتنبي بالتحليل الفردي المباشر والتمست فيه وجوه الابتكار والتقليد، ثم تناولت أبيات أبي فراس

بيتا بيتا مع الشرح والتعليق التمست فيه وجوه الابتكار والتقليد، وبعد الإمعان ودقة النظر وصلت إلى النتائج مثلما وصلت في الفصل السابق، فتوجد في كلام المتنبي المواقف الزاخرة للإبداع والابتكار، وأما أبو فراس فتابع المتقدمين من الشعراء في الشعر.

وأما في الفصل الرابع فقمت فيه بالمقارنة بين المتنبي وأبي فراس في وصف قادة الحرب وفرسانها، وهذا الفصل كبقية الفصول حافل بنماذج الابتكار وبخاصة في شعر المتنبي الذي قدم التشبيه المبتكر والأفكار النادرة، والتمست فيه وجوه الابتكار والتقليد، ووصلت إلى نتيجة هي أن المتنبي له فضل على معاصره أبي فراس الحمداني في الإبداع والأفكار المبتكرة والتشبيه المبتكر الجميل.

وفي الفصل الخامس -الابتكار والتقليد في صور الحرب عند الشاعرين- اتبعت المنهج نفسه الذي استخدمته في الفصول السابقة لبحث وجوه الابتكار والتقليد، وقسمته إلى مبحثين، في المبحث الأول تناولت بعض النماذج الشعرية من كلام المتنبي يظهر فيه صور الحرب المبتكرة، وفي المبحث الثاني، اخترت أبياتا من كلام أبي فراس الحمداني يصف الصور الحربية يظهر فيها وجوه الابتكار والتقليد، ووصلت إلى نتيجة هي أن المتنبي له تفوّق على معاصره وقرينه أبي فراس في تقديم الصور الحربية المبتكرة وفي خلق المعنى الجديد والتشبيه النادر المبدع، وأما في كلام معاصره وقرينه أبي فراس الحمداني، فملامح التقليد واضحة جدا.

ثم في الفصل السادس عقدّتُ مقارنة عامة بين الشاعرين تتبعت فيها الخصائص العامة والسمات البارزة في شعرهما، واتبعت فيها آثار الشاعرين بطريق أبياتهما، وقدمت الصورة الشاملة التي ظهرت بالقراءة العميقة، ووصلت إلى النتائج الحاسمة الحتمية أن من الخصائص البارزة لكلام المتنبي الآثار الفلسفية، والتعمق في الأفكار، والمبالغة والإسراف في الوصف، والتعقيد المعنوي،

والمعنى الدقيق التي يسرت له السبيل إلى الابتكار. وأما أبو فراس الحمداني، فمن أهم خصائص شعره العاطفة الصادقة، وقوة البيان، والهجوم المباشر على الأعداء بشكل الهجاء المرير، والمعرفة للثقافة النصرانية. وكذلك الاتساع الفكري الذي اشترك فيه مع المتنبي.

وأخيرا نصل إلى نتيجة وهي أن المتنبي يفوق قرينه ومعاصره أبا فراس في الابتكار حيث إنه عرف بدقة التشبيه والتعقيد المعنوي والفلسفة والمبالغة والإسراف، فلذا توجد الصور المبتكرة في شعره أكثر من شعر أبي فراس. وأما أبو فراس، فتوجد في كلامه الصور التقليدية أكثر بالنسبة لشعر المتنبي، حيث إنه تابع أبطال الجاهلية وفرسانها في الشجاعة والفروسية، إلا أن هناك بعض الخصائص المشتركة بينهما، مثل تذكرة شعائر النصارى وأسماء بلادهم وقوادهم في شعرهما، وبالكلمة القرآنية والاتساع في تصوير الحرب والأثر الثقافي، فلا جدال أن المتنبي شاعر الإبداع في مواقف القتال، وشاعر الابتكار الذي جدد الصور التقليدية وعرضها في الملابس الجديدة، ويظهر من السطور السابقة، أن المتنبي قد تأثر بالتيارات الحديثة في الشعر أكثر قياسا بأبي فراس، فالابتكار الذي ظهر في شعره له جهتان؛ خارجية وداخلية، فالأولى؛ بسبب التقدم الحضاري والازدهار العلمي ورد الابتكار تلقائيا في كلامه، والثانية، الابتكار الذي نبع من ذاته بسبب الظروف الخاصة التي عاشها المتنبي والأحوال الباطنة التي اختلجت في داخله، وتحت الآثار النفسية التي عاشها ومضى ذكرها من قبل؛ مثل الحرمان الشديد في أيام الطفولة والطبع المضطرب والرغبات التي لم تشبع والحرص على المناصب العالية.

وأما أبو فراس- حسبما فهمت من سيرته الشخصية- فقد عاش حياة سوية منعّمة، وكانت رغبته الأولى؛ الإقدام والغارة على الأعداء، فبلغ ما بلغ في الشهرة والبسالة، ونال حظا وافرا من الاعتزاز والكرامة عند ابن عمه سيف الدولة، وظل نجمه في السعادة، فما عاش تلك الأحوال الصعبة والتجربة النفسية والكبت الذي عاشها المتنبي فيخلو كلامه من التعمق الفلسفي

والتعقيد المعنوي والإسراف الزائد عن الحدود كما هي سمة بارزة لكلام المتنبي، ويخلو أيضا من التصنع والتكلف، بل ينعكس في شعره العاطفة الصادقة حيث إنه شهد الحروب بنفسه وقدم التضحيات وتظهر فيه عزة الملك وبطولة الفارس المغوار، لأجل ذلك أنزله بعض النقاد منزلة امريء القيس لقوة كلامه ورفعة شأنه حيث يقول الصاجب بن عباد: "بدئ الشعر بملك وختم بملك؛ يعني امرأ القيس وأبا فراس.([1])

[1]- يتيمة الدهر للثعالبي، ص: 58

أهم نتائج البحث:

بفضل الله تعالى وبتوفيقه تمّ هذا البحث المتواضع ولله المن والعطاء، وبعد الاستقراء الشامل لجوانب هذا البحث، وصلت إلى هذه النتائج التي أرجو الله أن يُنتفع بها:

1: أولا، الوقوف على أن الازدهار العلمي والثقافي والاجتماعي يغير طبيعة الأدب والتذوق الأدبي لدى الناس.

2: المعرفة بأن الأدب يصور الحياة الاجتماعية لكل عصر ينشأ فيه، ولا يعيش الأدب في معزل عن المجتمع.

3: معرفة المسار الأدبي ومجراه في عصر المتنبي وأبي فراس وأوجه الابتكار والتقليد لديهما.

4: الوقوف على أن العصر العباسي الثاني ،عصر الابتكار والإبداع وفيه البواعث العديدة التى أثرت في الشعر والأدب لذلك العصر.

5: معرفة أن الظواهر الحضارية والثقافية تلمح في الأدب والشعر وهي تنبع من تقاليد الناس وميولهم ورغباتهم.

4: الوقوف على أن تيار التجديد في العصر العباسي كان ثورة على كل القديم، أدبا كان، أو ثقافة، أو دينا، يدعو إلى التحلل من القيود الماضية والقيم الأخلاقية ويرحب بالثقافة الأجنبية من ثقافة الفرس واليونان والهند وغيرها من الشعوب.

5: نشوب الصراع بين القديم والجديد في العصر العباسي.

6: وقف البحث على نماذج من شعر الحرب – للعصر الجاهلي والإسلامي والأموي- التي تدل على أن الحرب مهيج كبير للشعر، كما عرف بتاريخ الملاحم اليونانية الطويلة والملاحم العربية وما كانت توجد بين القبائل من صراعات ونزاعات.

7: والوقوف على أن الشعراء في العصر العباسي كانوا يتفاوتون في التذوق الأدبي، حيث مال بعضهم إلى التقليد واستنكره بعضهم ومالوا إلى الحداثة.

8: المعرفة على أن الظروف النفسية تلعب دورا مهما في تكوين شخصية الشاعر أو الأديب وتعد من أهم بواعث الإبداع والابتكار، قد اعترف بذلك علماء العصر الحديث مثل فرويد، ويونج، وأدلر.

9: التعرف على مواضع الابتكار والتجديد في شعر المتنبي وأبي فراس الحمداني.

10: الوقوف على أن المتنبي شاعر الإبداع والابتكار في مواقف الحرب والقتال من طراز أعلى وله تفوق على أبي فراس في هذا المجال ويفوق كثيرا من شعراء عصره.

11: وأن أبا فراس – وكان معاصرا للمتنبي- أقرب إلى التقليد وتابع المتقدمين من الشعراء في الحماسة والفروسية، كما كان بطلا مجربا وفارسا مغوارا، وأنزله بعض النقاد منزلة امريء القيس.

12: الوقوف على أن الحماسة والفروسية والشجاعة من الصفات التقليدية وقلما توجد في أشعار المحدثين حيث إن الشعر الجاهلي حافل بالمواقف البطولية.

13: الوقوف على أن الفلسفة هي باعث كبير من بواعث الابتكار وخلق الأفكار الجديدة والاتساع في الفكر.

14: الادراك أن الارتقاء في العلوم والفنون، والازدهار الحضاري، والتقاء الثقافات المختلفة، والطموحات الشخصية، والذكاء، والحاسة القوية، تلعب دورا بارزا في حدوث الابتكار في الشعر.

التوصيات:

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، فبعد القراءة الواسعة والتعمق والخوض في هذا الموضوع العميق والتوصل إلى بعض النتائج الحاسمة التي جعلتني متمكنا لتقديم بعض الاقتراحات المفيدة، وهي كما يلي:

1: على الباحث أن يلاحظ التأثيرات الابتكارية في الأعمال الأدبية خلال تحليلها.

2: يجب على الباحث النظر إلى ثقافة العصر وعلومها قبل الدخول في دراسة الشعر والأدب، ولا يتغاضى عن المؤثرات الثقافية والعلمية والاجتماعية في العمل الأدبي.

3: وعليه الاهتمام بالسيرة الشخصية للكاتب أو الشاعر الذي يتتبعه، ليفحص الآثار النفسية في أعماله الأدبية.

4: وعليه درس قضية السرقات تحت منظور الابتكار للوصول إلى حقيقتها والإحاطة بجوانبها كاملة.

5: لا يُنظر إلى التشبيهات والأفكار على أنها مسروقة، بل ينظر كيف ابتكر فيها الشاعر وألبسها لباسا جديدا.

المصادر والمراجع

1- القرآن الكريم.

2- الإبداع في الفن و العلم، د. حسن أحمد عيسى، عالم المعرفة، الكويت، ديسمبر، 1979م.

3- الأدب الكاتب لابن قتيبة، تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد، المكتبة التجارية- مصر، ط: 4، 1962م

4- أسرار البلاغة في علم البيان، المؤلف: الإمام عبد القاهر الجرجاني، التعليق: السيد محمد رشيد رضا، دار الكتب العلمية- بيروت، لبنان.

5- الأعلام، لخير الدين الزركلي، دار العلم للملايين- بيروت، ط: 5، مايو 2002م.

6- الأغاني، لأبي الفرج الأصفهاني، مكتبة دار الكتب المصرية، القاهرة، 1935م.

7- البحث الأدبي لشوقي ضيف، ط:8، دار المعارف- القاهرة، 1997م.

8- الإعجاز والإيجاز، أبومنصور الثعالبي، ط: 3، دار الغصون- بيروت، 1405هـ.

9- البداية والنهاية للحافظ ابن كثير، تحقيق: علي شيري، دار إحياء التراث العربي- 1408هـ.

10- البلاغة الواضحة، لعلي الجارم ومصطفى أمين، قديمي كتب خانه- آرام باغ، كراتشي.

11- البيان والتبيين للجاحظ، دار صعب- بيروت، 1968م

12- تاج العروس من جواهر القاموس، مرتضى الزبيدي، دار الهداية- القاهرة

13- تاريخ الأدب العربي، أحمد حسن الزيات، ط: 26، دارالثقافة- بيروت.

14- تاريخ الأدب العربي، د. عمر فروخ، ط: 8، دار العلم للملايين- بيروت.

15- تاريخ الأدب العربي، مصطفى صادق الرافعي، المراجعة والضبط: عبد الله المنشاوي، مهدي البحقيري، مكتبة الإيمان، القاهرة.

16- تاريخ الأدب العربي- العصر الجاهلي- شوقي ضيف، دار المعارف- القاهرة، 1999

17- تاريخ النقد الأدبي عند العرب، د. إحسان عباس، ط: 3، دار الثقافة- بيروت، 1983م.

18- تاريخ اليعقوبي، أحمد بن أبي يعقوب، دار صادر- بيروت، 1960م.

19- تزئين الأسواق في أخبار العشاق، داؤد بن عمر الأنطاكي الضرير، عالم الكتب- بيروت، 1413هـ.

20- تمهيد الأوائل وتلخيص الدلائل، أبو بكر الباقلاني، تحقيق: عماد الدين أحمد حيدر، مؤسسة الكتب الثقافية- بيروت، 1987م

21- تهذيب اللغة، الأزهري، أبو منصور الأزهري، المحقق: محمد عوض مرعب، دار إحياء التراث العربي- بيروت، 2001م.

22- الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله صلى لله عليه وسلم وسننه وأيامه، أبو عبدالله محمد بن إسماعيل بن إبراهيم البخاري، المحقق: محمد زهير بن ناصر الناصر، ط:1،دار طوق النجاة، 1422هـ.

23- حياة الحيوان الكبرى، كمال الدين محمد بن موسى الدميري، تحقيق: أحمد حسن بسج، دار الكتب العلمية- بيروت، 1424هـ

24- الحيوان، الجاحظ، أبو عثمان، تحقيق: عبد السلام هارون، ط: 1، دار الجيل- بيروت، 1416هـ.

25- خزانة الأدب ولبّ لباب لسان العرب، عبد القادر بن عمر البغدادي، تحقيق: محمد نبيل طريفي/ أميل بديع يعقوب، دار الكتب العلمية-بيروت، 1998م

26- الخصومة بين الطائيين وعمود الشعر العربي، الدكتور وحيد صبحي كبابة، اتحاد الكتاب العرب- دمشق، 1997م.

27- ديوان ابن الرومي، شرح: الأستاذ أحمد حسن بسج، المجلد: 1، دار الكتنب العلمية- بيروت، 1423هـ.

28- ديوان أبي فراس الحمداني، تقديم وشرح: محمد عبد القادر مايو، دار القلم العربي- سورية، 1420هـ

29- ديوان أبي فراس الحمداني بشرح نخلة قلفاط، مكتبة الشرق- بيروت 1910م.

30- ديوان امريء القيس، تحقيق: الأستاذ مصطفى عبد الشافي، دار الكتب العلمية- بيروت، 1425هـ.

31- ديوان بشار بن برد، شرح وتعليق: محمد الطاهر بن عاشور، لجنة التأليف والترجمة والنشر- القاهرة، 1386هـ.

32- ديوان حسان بن ثابت الأنصاري، شرح: البرقوقي، بمطبعة الرحمانية بمصر، 1928م.

33- ديوان الحطيئة، تحقيق: حمدو طماس، دار المعرفة- بيروت، 2005م.

34- ديوان الحماسة لأبي تمام بن أوس الطائي، تحقيق: د. عبد المنعم أحمد الصالح، دار الشئون الثقافية العامة- بغداد،

35- ديوان الخنساء،شرح وترتيب: حمدو طماس، دار المعرفة- بيروت، 2004م.

36- ديوان دريد بن الصمة، تحقيق: الدكتور عمر عبد الرسول، دار المعارف- القاهرة، 2009م.

37- ديوان زهير بن أبي سلمى، تحقيق واعتناء: حمدو طماس، دار المعرفة- بيروت، 1426هـ---2005م.

38- ديون عمرو بن كلثوم، تحقيق: الدكتور أميل بديع يعقوب، دار الكتاب العربي- بيروت، ط:1، 1411هـ---1991م.

39- ديوان المتنبي، تحقيق: محمد خداش، ط:1، دار الغد الجديد- القاهرة، 1433هـ

40- ديوان طرفة بن العبد، شرح وتقديم: مهدي محمد ناصر الدين، دار الكتب العلمية- بيروت، 1423هـ---2002م.

41- ديوان عنترة، شرح وتحقيق: محمد سعيد مولوي، المكتب الإسلامي، 1964م.

42- ديوان كعب بن زهير، تحقيق: د. درويش الجويدي، 1429هـ---2008م.

43- ديوان لبيد بن ربيعة العامري، دارصادر- بيروت.

44- ديوان النابغة الذبياني، مطبعة الهلال بالفجالة بمصر، 1911م.

45- الرحيق المختوم، صفي الرحمن مباركفوري، دار الوفاء للطباعة والنشر والتوزيع- المنصورة، 1991م.

46- الروض المعطار في خبر الأقطار، محمد بن عبد امنعم الحميري، المحقق: إحسان عباس، مؤسسة ناصر للثقافة- بيروت، 1980م.

47- سنن الترمذي، أبو عيسى الترمذي(---279هـ)، موقع الإسلام.

48- شرح ديوان أبي تمام، الخطيب التبريزي، ط: 2، دار الكتاب العربي- بيروت، 1414هـ.

49- شرح ديوان أبي فراس الحمداني، دار المكتبة الحياة- بيروت.

50- شرح ديوان الحماسة، المرزوقي، تعليق: غريد الشيخ، دار الكتب العلمية- بيروت، 1424هـ.

51- شرح ديوان عنترة، الخطيب التبريزي، ط: 1، دار الكتاب العربي- بيروت، 1412هـ.

52- شرح ديوان المتنبي، عبد الرحمن البرقوقي، دار الكتب - بيروت، 1986م.

53- .شعب الإيمان لأبي بكر أحمد بن الحسين البيهقي، تحقيق: محمد بن سعيد البسيوني زغلول، دار الكتب العلمية-بيروت، 1410هـ.

54- الشعر الجاهلي، منهج في دراسته وتقويمه، الدكتور محمد النويهي، ج:1، الدار القومية للطباعة والنشر- القاهرة.

55- الشعر والشعراء، لابن قتيبة، تحقيق: الدكتور عنر الطباع، ط:1، شركة دار الأرقم بن أبي الأرقم- بيروت، 1418هـ.

56- صبح الأعشى،لأبي العباس القلقشندي)، دار الكتب المصرية- القاهرة، 1340هـ.

57- صحيح ابن حبان بترتيب ابن بلبان، محمد بن حبان، مؤسسة الرسالة- بيروت

58- أبو الطيب المتنبي، دراسة في التاريخ الأدبي، ريجيس بلاشير، ط:2، ترجمه: إبراهيم الكيلاني، دار الفكر- دمشق،1985م.

59- فصل المقال في شرح كتاب الأمثال، المؤلف: أبو عبيد البكري، تحقيق: إحسان عباس، ط:1، مؤسسة الرسالة-بيروت، 1971م.

60- قاموس(عربي_ فرنسي_ إنجليزي)، المنظمة العربي للتربية والثفافة والعلوم- تونس، 1985م

61- القاموس المحدث،(العربي- الإنجليزي)

62- الكامل للغة والأدب للمبرد، تحقيق: محمد أبوالفضل إبراهيم، دار الفكر العربي – القاهرة، 1418هـ.

63- كتاب البديع، أبو العباس عبد الله بن المعتز (296هـ)، دار المسيرة- بيروت، 1982م.

64- كتاب تمهيد الأوائل وتلخيص الدلائل، لأبي بكر محمد بن الطيب الباقلاني، تحقيق: عماد الدين أحمد حيدر، مؤسسة الكتب الثقافية- بيروت، 1987م.

65- كتاب الصناعتين لأبي هلال العسكري، تحقيق: علي محمد البجاري، ومحمد أبي الفضل إبراهيم، المكتبة العصرية- بيروت، 1419هـ.

66- الكشكول، الشيخ بهاء الدين العاملي، تحقيق: محمد بن عبد الكريم ، دار الكتب العلمية- بيروت، 1418هـ

67- لسان العرب، لابن منظور الإفريقي، دار صادر – بيروت، ط:1

68- المتنبي، محمود محمد شاكر، جامعةالإمام محمد بن سعود الإسلامية بالرياض.

69- المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، لابن أثير، تحقيق: أحمد حوفي وبدوي طبانة، دار النهضة- مصر، ط: 2.

70- مجلة العربي، عدد: 250، ذو القعدة، تنشر من الكويت، 1418هـ.

71- المحكم والمحيط الأعظم، أبو الحسن علي بن إسماعيل المرسي، تحقيق: عبد الحميد الهنداوي، دار الكتب العلمية- بيروت، 2000م.

72- مصادر الشعر الجاهلي وقيمتها التاريخية، الدكتور ناصر الدين الأسد، دارالجيل – بيروت، ط:8، 1996م.

73- مصباح اللغات، مولانا عبد الحفيظ بلياوي، شركة مدينة للطباعة- كراتشي، مارس 1982م.

74- مصطلحات النقد الأدبي السيماؤي، الدكتور علي بوخاتم، موقع اتحاد الكتاب العرب- دمشق، 2005م.

75- معاهد التنصيص على شواهد التلخيص، الشيخ إبراهيم بن أحمد العباسي، تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد، عالم الكتب – بيروت، 1367هـ.

76- معجم البلدان، ياقوت بن عبد الله الحموي، دار صادر-بيروت، 1397هـ.

77- المعجم الكبير للطبراني، ط: 2، محقق: حمدي بن عبد المجيد السلفي، مكتبة العلوم والحكم- الموصل، 1983م.

78- مع المتنبي، طه حسين، ط: 13، دار المعارف- مصر.

79- ملامح يونانية في الأدب العربي، د. إحسان عباس، ط:1، المؤسسة العربية- بيروت، 1977م.

80- نشوار المحاضرة وأخيار المذاكرة، أبو علي المحسن بن علي التنوخي البصري، ط: 1، دار الكتب العلمية- بيروت، 2004م.

81- نشوة الطّرب في تاريخ جاهلية العرب، المؤلف: ابن سعيد الأندلسي، تحقيق: نصرت عبد الرحمن، كلية الآداب في الجامعر الأردنية.

82- نصرة الثائر على المثل السائر للصفدي، تحقيق: محمد علي سلطاني، مجمع اللغة العربية- دمشق.
83- النقد الأدبي الحديث، د. غنيمي هلال، الناشر: دار النهضة-مصر، 1997م.
84- نهاية الإرب في فنون الأدب، شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب النويري، دار الكتب العلمية- بيروت، 1424هـ---2004م.
85- الوساطة بين المتنبي وخصومه، القاضي علي بن عبد العزيز الجرجاني، المحقق: محمد أبو الفضل إبراهيم، علي محمد البجاوي، الناشر: عيسى البابي الحلبي، 1386هـ.
86- المعجم الوسيط(عربي___عربي)إبراهيم مصطفى، أحمد حسن الزيات، حامد عبد القادر، تحقيق: مجمع اللغة العربية، دار الدعوة.
87- يتيمة الدهر لأبي منصور الثعالبي، شرح وتحقيق: الدكتور مفيد قبيحة، دار الكتب العلمية- بيروت، 1403هـ.

الدوريات:

مجلة "العربي"، عدد: 250، تُنشر من الكويت، تاريخ النشر:ذو القعدة، 1418هـ.

عناوين الإنترنت:

1- www. Elebda3. Com
2-byotnakenanaonline. Com

3-mawdoo3.com

4-www. Awu. Dam. Org

5-www. Akhbaralyom. Com

6-www. Alwarraq. com

فهرس الآيات القرآنية رقم الصفحة

1- هَلْ جَزَاءُ الْإِحْسَانِ إِلَّا الْإِحْسَانُ(الرحمن- 60) 5

2- يأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَى تِجَارَةٍ تُنجِيكُمْ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ. تُؤْمِنُونَ بِاللهِ وَرَسُولِهِ وَتُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللهِ بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفسِكُمْ(الصف- 11) 33

3 - يَزِيدُ فِي الخَلْقِ مَا يَشَاءُ إِنَّ اللهَ عَلَى كُلِّ شَيءٍ قَدِيرٌ(الفاطر- 1) 34

4- وَكَفَى بِاللهِ عَلِيمًا(النساء- 70) 34

5- وَكَفَى بِهِ بِذُنُوبِ عِبَادِهِ خَبِيرًا(الفرقان – 58) 34

6- فَمِنهُمْ مَنْ قَضَى نَحبَهُ وَمِنْهُمْ مَن يَّنتَظِرُ(الأحزاب- 23) 35

7- اَلحَمْدُ للهِ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَى عَبْدِهِ الْكِتَابَ وَلَمْ يَجْعَلْ لَّهُ عِوَجًا(الكهف- 1) 35

8- اَلْحَمْدُللهِ الَّذِي خَلَقَ السَّموَاتِ وَالْأَرْضَ(الأنعام- 1) 35

9- اَلحَمْدُللهِ الَّذِي لَهُ مَا فِي السَّموَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَلَهُ الحَمْدُ فِي الْآخِرَةِ وَهُوَ الحَكِيمُ الخَبِيرُ(السبأ- 1) 35

10- طَلْعُهَا كَأَنَّهُ رُؤُوسُ الشَّيَاطِينِ(الصافات- 64) 49

11- وَإِنَّهُ فِي أُمِّ الْكِتَابِ لَدَينَا لَعَلِيٌّ حَكِيمٌ(الزخرف- 4) 51

12- هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيكَ الْكِتَابَ مِنهُ آيَاتٌ مُّحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ. (آل عمران-7) 51

13- واخفض لهما جناح الذل من الرحمة(الإسراء- 24) 51

14- واشتعل الرأس شيبا(مريم- 4) 51

15- أو يأتيهم عذاب يوم عقيم(الحج- 55) 51

16- وَآيَةٌ لَّهُمُ اللَّيلُ نَسْلَخُ مِنْهُ النَّهَارَ(يس- 37) 51

17- إِنَّكَ لَنْ تَخْرِقَ الْأَرْضَ وَلَنْ تَبْلُغَ الجِبَالَ طُولًا(الإسراء- 37) 89

18- لِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَـلٌ إِذَا جَاءَ أَجَلُهُـمْ فَلَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ.
(يونس- 49) 95

19- الَّذِينَ يُبَلِّغُونَ رِسَالَاتِ اللهِ وَيَخْشَونَهُ وَلَا يَخْشَونَ أَحَـدًا إِلَّا اللهَ وَكَفَى بِاللهِ حَسِيبًا.
(الأحزاب- 39) 96

20- زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالبَنِينَ وَالقَنَاطِيرِ المُقَنْطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ
وَالفِضَّةِ وَالخَيلِ المُسَوَّمَةِ وَالأَنْعَامِ وَالْحَرْثِ(آل عمران- 14) 99

21- إِنَّمَا أَشْكُو بَثِّي وَحُزْنِي إِلَى اللهِ(يوسف-86) 100

22- وَعَلَّمْنَاهُ صَنْعَةَ لَبُوسٍ لَّكُمْ لِتُحْصِنَكُمْ مِنْ بَأْسِكُمْ فَهَلْ أَنْتُمْ شَاكِرُونَ
(المؤمنون- 80) 119

23- ن. وَالْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ(القلم- 1) 120

24- الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ(العلق- 4) 120

25- وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَّسولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَومِهِ(إبراهيم- 4) 136

26- أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَينَهُمْ(الفتح- 29) 138

27- إِنْ يَّكُنْ مِّنْكُمْ عِشْرُونَ صَابِرُونَ يَغْلِبُوْا مِائَتَينِ (الأنفال- 65) 148

28- يأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوْا اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ.
(الحجرات- 12) 152

29- إِمَّا مَنًّا بَعْدُ وَإِمَّا فِدَاءً حَتَّى تَضَعَ الْحَرْبُ أَوْزَارَهَا(محمد- 4) 154

30- حَتَّى يُعْطُوا الْجِزْيَةَ عَنْ يَّدٍ وَهُمْ صَاغِرُونَ(التوبة- 29) 157

31- يَوْمَ نَدْعُوْ كُلَّ أُنَاسٍ بِإِمَامِهِمْ(إسراء- 71) 163

32- الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلاً(الملك- 2) 166

33- أَوْ كَصَيِّبٍ مِنَ السَّمَاءِ فِيهِ ظُلُمَاتٌ وَرَعْدٌ وَبَرْقٌ(البقرة- 19) 162

34- وَتُجَاهِدُوْنَ فِي سَبِيلِ اللهِ بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ(الصف- 11) 167

35- الَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ أَعْظَمُ دَرَجَةً عِنْدَ اللهِ (التوبة- 20) 167

36- اِدْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ (فصلت- 34) 169

37- ثُمَّ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا تَتْرَى (المؤمنون- 44) 178

38- فَتَرَى الْقَومَ فِيهَا صَرْعَى (الحاقة- 7) 185

39- إِنَّ الْمُلُوكَ إِذَا دَخَلُوا قَرْيَةً أَفْسَدُوهَا وَجَعَلُوا أَعِزَّةَ أَهْلِهَا أَذِلَّةً(النمل- 34) 187

40- فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ الْكَلْبِ، إِنْ تَحْمِلْ عَلَيهِ يَلْهَثْ أَوْ تَتْرُكْهُ يَلْهَثْ (الأعراف- 176) 200

41- يُرِيدُونَ لِيُطْفِئُوا نُورَ اللهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَاللهُ مُتِمُّ نُورِهِ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ. (الصف-8) 201

42- صَلُّوْا عَلَيهِ وَسَلِّمُوْا تَسْلِيمًا(الأحزاب-56) 221

43- يَومَ نَدْعُو كُلَّ أُنَاسٍ بِإِمَامِهِمْ (الإسراء- 71) 221

44- يُرِيدُونَ لِيُطْفِئُوا نُورَ اللهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَاللهُ مُتِمُّ نُورِهِ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ (الصف-8) 222

فهرس الموضوعات: رقم الصفحة

عنوان الموضوع: 1

الإهداء: 3

الشكر والتقدير 4

المقدمة: 6

إشكالية البحث 12

أهمية الموضوع 12

سبب اختيار الموضوع 13

الجديد الذي يضيفه البحث 13

الدراسات السابقة 13

الفصول والمباحث 15

التمهيد 17

حياة المتنبي 17

ولادته و نسبه 17

التأثيرات الخارجية في شخصيته 21

سبب تلقيبه بالمتنبي 23

ثقافته 24

وفاته 26
آراء النقاد في شعره 27
سيرة أبي فراس 27
وفاته 29
صفاته وأخلاقه 29
شعر أبي فراس 30
بعض سمات شخصيته 35
الابتكار 36
معنى الابتكار لغويا 37
التعريفات المختلفة للابتكار 37
الابتكار في شعر العرب 39
صور الابتكار 40
العصر العباسي – عصر الابتكار 42
الابتكارفي كلام الله والحديث الشريف 48
الابتكار في منظور قضية السرقات 52

بواعث الابتكار في شعر المتنبي وأبي فراس الحمداني 54

الآثار الثقافية 54

البواعث العلمية 56

البواعث المذهبية 58

الفلسفة اليونانية 60

البواعث النفسية 62

معنى التقليد لغويا 64

الفصل الأول

علاقة الشعر بالحرب 73

جذور العلاقة بين الشعر والحرب 74

شعر الحرب عند الأمم المختلفة 74

شعر الحرب عند العرب 76

الفصل الثاني

الابتكار والتقليد في تصوير خيل الحرب عند الشاعرين 81

المبحث الأولوصف خيل الحرب عند المتنبي 83

المبحث الثاني وصف خيل الحرب عند أبي فراس 95

الفصل الثالث

الابتكار والتقليد في أدوات الحرب عند الشاعرين **106**

المبحث الأول وصف سلاح الحرب عند المتنبي 109

المبحث الثانيوصف سلاح الحرب عند أبي فراس 125

الفصل الرابع

الابتكار والتقليد في تصوير قادة الحرب وفرسانها

عند الشاعرين **135**

المبحث الأول وصف القائد والفرسان عند المتنبي 136

المبحث الثانيوصف القائد والفرسان عند أبي فراس 168

الفصل الخامس

الابتكار والتقليد في صور الحرب عند الشاعرين **177**

المبحث الأول صور الحرب عند المتنبي 178

المبحث الثاني صورالحرب عند أبي فراس 198

الفصل السادس

المقارنة العامة بين الشاعرين **210**

الانطباعات الفلسفية 212

الإسراف والمبالغة في الوصف 215

التعقيد المعنوي في شعرهما 218

تذكرة شعائر النصارى وأسماءهم وأمصارهم 220

التشبيه الدقيق في شعر المتنبي 222

الأثر الثقافي في شعر المتنبي وأبي فراس الحمداني 223

الاتساع الفكري عند الشاعرين 225

الآثار الدينية في شعرهما 226

الخاتمة

الملخص 229

أهم نتائج البحث 235

التوصيات 238

المصادر والمراجع 239

فهرس الآيات القرآنية 248

تمّت بالخيـــــر